

ألفت الخشاب
مع علماء المسلمين
في بيوتهم
تقديم:
د. مصطفى الشكعة
الدار المصرية اللبنانية

ألفت الخشـــاب

مع علماء المسلمين
فـى بيـــــوتهم

الدار المصرية اللبنانية

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
هاتف : 3923525 - 3936743 ـ فاكس : 3909618 ـ ص ـ ب 2022
e- mail ALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

تجهيزات فنية : الإسـراء ت : 3143632
طبع: أمـون ت : 7944356 - 7944517
رقم الإيداع : 3455 / 2002
الترقيم الدولى : 0 - 795 - 270 - 977

الطبعة الأولى : القعدة 1423 هـ يناير 2003 م

ألفت الخشاب

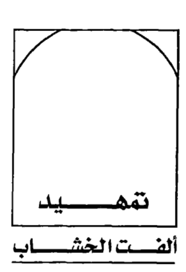
مع علماء المسلمين في بيوتهم

تقديم: د. مصطفى الشكعة

الدار المصرية اللبنانية

الغلاف والتصميم الداخلى: محمد حجى





هل نستطيع أن نتصور مجتمعا بلا قدوة؟!

أعتقد أن تبنى هذا التصور سيكون فى غير صالح هذا المجتمع بأى حال من الأحوال؛ ذلك أن علماء الفكر الدينى والاجتماعى والتربوى جميعهم يتفقون على أن آفة أى مجتمع هى افتقاد أبنائه القدوة فى المنزل وفى المدرسة وفى العمل، ووجدوا أن وجود القدوة الصالحة فى المنزل يُخرج للمجتمع جيلا صالحا، قادرا على بنائه والارتفاع به على دعائم رسخة.. ووجود هذه القدوة فى المدرسة يمد المجتمع بأجيال نشأت على أسس أخلاقية ودينية سليمة، فيصبح رصيد هذه الأمة فى أمان بوجود هذه الأجيال.. حتى إذا ما توافرت القدوة الصالحة فى العمل، وجدت هذه الأجيال من يساعدها على إكمال مسيرتها فى خدمة الأمة، فلا يصطدم شبابها بمن يهدم كل ما بنته الأسرة وقدمته المدرسة.. وبذلك يجد هذا المجتمع سبيله إلى الرقىّ والتقدم بما له من رصيد وافر فى صورة أجيال صالحة نافعة لنفسها ولأمتها.

إما إذا غابت القدوة الصالحة عن المجتمع، فإن الآية تنعكس، والصورة تنقلب.. ولنا أن نتصور طفلا يجد أباه كاذبا، وأمه لا تصون الأمانة، ومعلمه لايسعى إلا لجلب المال بشتى الطرق، وأولها الدروس الخصوصية.. حتى إذا ما خرج هذا الطفل للحياة وأصبح شابا عاملا فى أى جهاز، وجد قياداته تتنافس على نفاق رؤسائها وتشى بزملائها كى تنال الحظوة لدى هؤلاء الرؤساء.. فإذا ما

تعرض لأجهزة الإعلام والثقافة، وجد الكذب يُسَيِّرُها، والنفاق يضرب بأطنابه فى جنباتها، والسطحية والتفاهة سمتْين رئيستيْن من سماتها.. وفى هذه الحالة لنا أن نتخيل أى إنسان يكون هذا الطفل عندما يفتقد القدوة الطيبة طوال مسيرة حياته!!

من هنا، كان لزامًا على كل العاملين فى الحقل الثقافى والدينى والتعليمى أن يبحثوا للنشء عن القدوة الصالحة، ويقدموها إليه فى شتى القوالب والأشكال..

ومن هنا أيضًا جاءتنى فكرة هذا الكتاب ـ مع علماء المسلمين فى بيوتهم ـ الذى نقدم فيه حوارات مع مجموعة منتقاة من الشخصيات التى تمثل قيادات الفكر الدينى والعلمى.. وهى حوارات تدور حول محور حياتهم فى بيوتهم: كيف يتعاملون مع أولادهم وزوجاتهم؟.. وكيف تعلموا؟.. وكيف تزوجوا؟.. وما هى القيمة التى غرسوها فى نفوس أبنائهم وبناتهم؟

وقد اكتشفت من خلال هذه الحوارات واللقاءات مع أُسَر هذه الشخصيات، أن عالم الدين كلما كان أكثر فهما لروح الشريعة، كان أكثر نضجا وفهما فى تعامله مع أولاده، وأكثر استنارة فى تثقيفهم وتربيتهم.. مما يدل على أن التمسك بالفهم الدينى الصحيح هو طوق النجاة لنا ولأبنائنا.

هذا.. ويجدر بى أن أشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أكرمنى فى هذا الكتاب مرتين، أولاهما: حين قَدَّرَ لى أن أقدمه للمكتبة الإسلامية، وثانيتهما: أن قَدَّمَ له العلاّمة المصرى الكبير، الدكتور مصطفى الشكعة، تقديما طيبا أَعُدُّه دراسة قيمة ووافية لموضوعه.

أدعو الله أن يكرم الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة كما أكرمنى، وأن يجعلنى عند حسن ظنه وظن القارئ، إنه نعم المولى ونعم النصير.



تقـــديم

بقلم: د. مصطفى الشكعة

الحمد لله رب العالمين، حمدَ العابد الشاكر، حمدًا يليق بآلاء الله الخالق الأعظم، الذى وسعت رحمته كل شىء، والذى أنعم على عباده بالعقل الذى يهدى إلى الإيمان به، ربًا واحدًا قادرًا لا شريك له، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وأصلى وأسلم على سيدنا محمد إمام رسله وخاتم أنبيائه، الذى جعل طلبَ العلم فريضةً على كل مسلم، فكان الإيمان والعلم هما أداة معراج المسلمين إلى درجات العُلا ومراقى السعادة فى الحياة الدنيا والدار الآخرة؛ حتى فى فترة وجيزة من الزمان كان علماء المسلمين هم أئمة العالم فى كل فنون المعرفة من دينية ودنيوية: فى علوم القرآن، وحديث رسول الله ﷺ، والفقه، والأصول، والعقيدة، والشريعة، والتفسير، والسيرة، والرواية، واللغة والأدب وفروعهما؛ وكان الأمر كذلك فى العلوم التطبيقية من رياضيات، وفلك، وهندسة، وطب بفروعه، وصيدلة، وفيزياء، وكيمياء، وعمارة، وزخرفة، وفلسفة، ومنطق، وحُكم، وحكمة، وتراجم، وسائر صنوف المعارف التى دعا الإسلام إلى الاغتراف من بحورها، والارتقاء بها، والإضافة إليها، وتخليصها من كل زيف، وتنقيتها من كل عيب، وتقويمها من كل انحراف، ومن ثَمَّ صارت المعرفة جميعها لعدة قرون طوعَ يمين العلماء المسلمين، المنتشرين كالنجوم الساطعة فى سماء الكون، من حدود الصين شرقًا إلى سواحل الأطلسى الأورُبى والإفريقى غربًا.

ولكن العلم الإسلامى ظل صاحب التقدمة، وصار علماؤه هم الذين تُشَدُّ إليهم الرحال، وتضرب إليهم آباط الإبل؛ واتسعت أكناف المكتبة الإسلامية وكَثُرَ التأليف، وصار موضعًا للتسابق،، ومعرضًا للتنافس، حتى صار التأليف فى فنون المعرفة مَعْلَمًا من معالم الإسلام.

وبالنظر لكثرة أعداد العلماء وتنوع الفنون التى يكتبون فيها، ظهر بين المؤلّفات ما يُعرف بكتب الطبقات؛ فظهرت الطبقات الكبرى، وطبقات المفسرين، وطبقات القُرّاء، وطبقات الحُفّاظ، وطبقات الفقهاء - من شافعية، وأحناف، ومالكية، وحنابلة - وطبقات الصوفية، وطبقات الحكماء، وطبقات الشعراء، وطبقات الأطباء، وغير ذلك كثير.

ولكن ظل لكتب طبقات علماء الدين، الريادة والأسبقية والإقبال، نظرًا لمكانتهم المتقدمة على مكانة غيرهم من صنوف العلوم الأخرى، وذلك تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: «مَن يُرِدِالله به خيرًا يُفَقِّهْهُ فى الدين»- متفق عليه.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا، «مع علماء المسلمين فى بيوتهم»، الذى قامت على تأليفه الكاتبة الأديبة الأستاذة ألفت الخشاب، ينتمى إلى هذه الطائفة الأخيرة من كتب طبقات العلماء؛ وإنّ كتب الطبقات التى عنيت بعلماء الإسلام - هذا إلى جانب كتب الطبقات التى عنيت بالأعلام من كل طائفة، والأعيان من كل فئة - يصعب إحصاؤها ولا يستطاع استقصاؤها؛ فعندنا فى نطاق هذا المضمار كتب: طبقات الفقهاء، وطبقات المفسرين، وطبقات القراء، وطبقات الحفاظ، وطبقات الصوفية، وطبقاء الحكماء، وطبقات الأطباء، وطبقات الأولياء، وطبقات الشافعية، وطبقات المالكية، وطبقات الحنابلة، وغير ذلك كثير ووفير مما خَلَّفَه العلماء المسلمون، ليس فى علم الطبقات وحده، ولكن فى سائر فنون التراجم، وجميع صنوف المعارف التى دعا الإسلام إلى الاغتراف من بحورها الزاخرة، وحَضَّ على الارتواء من ينابيعها الصافية.

بل إن الإسلام أمرنا بأن نُخَلِّصَها من كل زيف، وأن نُقَوِّمَها من كل

اعوجاج، وأن نهذبها من كل انحراف، وأن نطهرها من كل دَنَس، بحيث تُقَدَّم للقراء وطالبى المعرفة من كل طائفة من طوائف البشر على اختلاف ألوانها وتبايُن أعرافها وتنافُر عقائدها، مزينةً بالصدق، مبرَّأةً عن الزيف، مُسَرْبَلَةً بالحكمة التى يَجِدُّ فى البحث عنها كل مسلم، يحتويها ويقتنيها، ويطبّقها على نفسه ويعلّمها للآخرين، وذلك مصداقًا ـ بل استجابةً وانصياعًا ـ لأمر رسول الله ﷺ فى قوله الشريف: «الحكمة ضالة المؤمن، أنَّـى وجدها فهو أَحَقّ بها».

فإذا ما أنعمنا النظر فى الكتاب الذى بين أيدينا «مع علماء المسلمين فى بيوتهم»، وجدناه ينتسب من حيث موضوعه إلى طائفة كتب طبقات العلماء؛ ليس على سبيل التعميم، ولكن على سبيل التخصيص فى واحد من أهم جوانب حياتهم، وهو جانب حياتهم فى بيوتهم؛ وتحقيق هذا الجانب يقتضى صدق المصارحة، وأمانة المكاشَفة، وليس فى ذلك كبيرُ مشقة ولا ثقيلُ ضَيْر، لأن العالِم المسلم لا يقول إلا حقًا، ولا ينطق إلا صدقًا.

ولقد ساءلتُ نفسى وأنا أقرأ مُسَوَّدَةَ الكتاب تمهيدًا لكتابة هذا «التقديم»: ما الذى دعا الكاتبة الفاضلة ألفت الخشاب حتى تقتحم هذا الميدان الصعب، بل هذا الموضوع الصعب؟.. فكانت الإجابة أسرع ما تكون على طرف قلمى ولسانى. إن السيدة ألفت الخشاب من الكاتبات الصحفيات الحرائر، وإلا فقد كان من اليُسر لها بمكان أنْ تَعْمَدَ إلى السهل من الموضوعات التى يتخطفها العَوَامّ من الناس، ويقتنيها المراهقون من البنين والبنات؛ كأن تكتب كتابًا عن الراقصات، أو الممثلين والممثلات، أو بعض المذيعات، فيكون المال أسرع إلى جيبها من سرعة السيل إلى الأرض اليباب؛ ولكنها لا تُقْدمُ على مثل هذا الصنيع الذى إنْ راق لبعض ذوات الأقلام، فإنه لا يروق للحرائر؛ ولكى أكون فى جانب الإنصاف، فإنه يَجْمُلُ بى أن أقرّر أنّ بين الكاتبات الصحفيات عددًا غير قليل من الصحفيات الحرائر، سواءٌ فى ذلك الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية، بما فى ذلك المجلات «الملونة»، وأعلم أنهن يحرّرن موضوعات جادة لا تجد طريقها إلى المطبعة إلا بعد كفاح

وجدال، وربما صدام مع بعض المسئولين فى تلك الصحف والمجلات؛ ولكنهن - أى الحرائر من المحررات - لم يصل بهن الكفاح بعدُ إلى تحرير كتاب هو فى صلب الأخلاق، بل فى الإصلاح الدينى للمجتمع، مثل كتاب «مع علماء المسلمين فى بيوتهم»؛ ولقد وددتُ صادقًا أنْ أضرب أمثلةً أذكُر من خلالها أسماءَ مَن أعرف من الكاتبات الحرائر، ولكن خشيتُ أن أغفل عن ذكر واحدة أو اثنتين من هذا الفريق النبيل الذى يضم الحرائر من كاتباتنا، فأكون بذلك قد أخطأتُ خطئًا كبيرًا، وَارْتَكَبْتُ ظلمًا عظيمًا!

وقبل أن أخطو إلى التعريف بالكتاب وما استهدفته الكاتبة الجليلة من وراء تأليفه، ينبغى أن أشير إلى أنها قد أمدّت المكتبة الإسلامية المعاصرة بكتابين نفيسين يعالجان بعض المشكلات المعاصرة، والتى يحتاج إليها المجتمع المعاصر أشد الاحتياج: أولهما كتاب «فتاوى المرأة»، وثانيهما كتاب «فتاوى الشباب».. وقد حرصت الكاتبة الفاضلة على أن تتحرى صحة مصادرها ودقتها، وأن تحسن اختيار مراجعها ومنابعها.

ومن المعلوم أن نواة المجتمع الإسلامى هى الأسرة وليس الفرد، لأن الفرد ينشأ ويُرَبَّى فى إطار الأسرة، وتبعًا لذلك فإن المجتمع الإسلامى يَصْلُحُ شأنُه إذا صلحت الأسرة، ويسوء حاله إذا كان الشأن على العكس من ذلك؛ وقد رسمت هذه الحقيقة للكاتبة الفاضلة المنهج الذى تتبعه وهى تعالج موضوعها، وتَجَلَّى ذلك النهج بشكل واضحٍ فى عناوين الموضوعات التى اختارتها لفصول الكتاب الذى يمثل كل فصل فيه شَخصية العالِم الذى تكتب عنه؛ وبعبارة أكثر دقة نقرّر أن الكاتبة اختارت أكثر عناوين فصولها عن زواج العالم أو أَمْرٍ يتصل بزواجه، والزواج - طبقًا لما يعرفه كل مسلم - هو اللَّبنات الأولى فى تكوُّن الأسرة المسلمة، التى هى نواة المجتمع الإسلامى طبقًا لما أوضحناه قبل سطور قليلة؛ وكانت الكاتبة الإسلامية النابهة السيدة ألفت الخشاب من الفطنة بحيث لم تُغفل دور الأم المسلمة فى كثير من فصول كتابها، وجعلتْ منها عنوانًا يشهد بفضلها، وينبئ عن عمق إيمانها على ما سوف نزيده توضيحًا فيما يلى من صفحات..

إن الشخصية الأولى التى استهلت بها الكاتبة الفاضلة كتابها هى شخصية الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى، ولقد لفت نظرى العنوانُ الطريفُ الذى اختارته المؤلفة النابهة للفصل الخاص بهذا الصديق العالم، وهو: «خطبتُ زوجتى دون أن أراها إعجابًا بأبيها»؛ ومَن كان فى مثل قدْر الدكتور الفيومى علمًا وأدبًا ومَوَدَّة، لايكون إعجابه بشخصٍ مّا إلا إذا كان هذا الإنسان يستحق الإعجاب والاحترام؛ وقد ذكرتْ الأستاذة المؤلفة عددًا من المواقف التى سمعتها من الدكتور الفيومى عن أفضال الرجل وشمائله، الأمر الذى شجعه على التقدم لخطبة كريمته، إذ من المبادئ السلوكية المعروفة لدى علماء الاجتماع وعلماء النفس أنَّ ابنة الرجل المحترم تكون فى العادة زوجة فاضلة؛ لأن الابنة عادةً مّا تكون صورةً من أمها فى احترام أبيها، وينتقل معها هذا السلوك إلى بيت الزوجية.

وبرغم حصول الدكتور محمد إبراهيم الفيومى على الدكتوراه من فرنسا، فإن النمط السلوكى الأزهرى الكريم يتمثل فى شخصيته الوَدُودَة؛ ولا شك فى أن هذه الشمائل نبعت من نشأته فى بيت أزهرى أصيل، فإن جده الشيخ إبراهيم الفيومى الكبير كان شيخًا للأزهر؛ ثم هو ـ إلى جانب ذلك ـ ينتمى إلى أسرة متصوفة، لايخلو بيتُهم فى «أوليلة» من أبناء «الطريق»، وهم من أتباع الشيخ حسين الحصافى شيخ الطريقة الحصافية.

هذه ملامح سريعة لوصف بيت عالم؛ وأما بقية الصورة، فإن الدكتور الفيومى قد تولى عمادة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالأزهر، وأسهم فى تأسيس جامعة قابوس فى عُمان، وعمل أستاذًا بجامعة قطر، وتولى منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وله عدد من المؤلَّفات النفيسة.

وفى داخل البيت أنعم الله عليه بالزوجة الفاضلة، تسهم معه قَدْرَ استطاعتها فيما يُعهد إليها من عمل؛ وقد رزقه الله منها بإبراهيم وهند وأسماء.. تعلموا الصلاة والصيام صغاراً تَمَشّيًا مع سلوك الأطفال فى بيوت العلماء.

ولقد صار الدكتور محمد إبراهيم الفيومى جَدًّا، وله عدد من الحَفَدَة المباركين - إن شاء الله - بعد زواج إبراهيم وهند وإنجابهما؛ وأما أسماء فهى فى طريقها قريبًا إلى بيت الزوج الكريم؛ والظاهرة السارة أن الأبناء الثلاثة يعيشون القرآنَ تلاوةً دائمةً.. أما الحِفْظ، فإنَّ كُلاً منهم يحفظ قَدْرًا كبيرًا من الكتاب العزيز، ولايزالون يحافظون على تنمية ما يحفظون من كتاب الله.

وأما العنوان الذى اختارته المؤلفة الكاتبة المسلمة، السيدة ألفت، لتقدم به للفصل الخاص بالأستاذ الدكتور محمد سليم العَوّا، فهو عنوان يتمحور - بل يتمركز - فى تحصيل العلم الدينى والسعى إلى اكتسابه، على الرغم من أن نشأته الأولى مدرسية، ومرحلته التالية جامعية قانونية؛ وليس عجيبًا أيضا أن هذا العالِم الجليل لم يهمل الحديث عن الزوجة والبيت والأولاد حسبما يَشى عنوان الفصل الخاص به، بل لقد أفاض فى الحديث عن الزواج والزوجة والأولاد الذى هو عصب فصول هذا الكتاب وهدفه فى تجلية تكوين البيت المسلم.. الذى هو - كما ذكرنا مِرارًا - وحدة المجتمع الإسلامى.

حتى الآن لمَ نذكر العنوان الذى اختارته مؤلفة الكتاب للفصل الخاص بالدكتور العوا.. إن العنوان مستمد من قول العالم الفاضل: «لم ألتحق بالأزهر نظاميًا، ولكن انتميتُ إليه بالدرس والتحصيل»، وهو بذلك يجيب بشكل مباشر على استفسارات الذين يلمسون أعماق العلم الدينى فى محمد العوا حين يتكلم، وحين يكتب، وحين يُحاضر، وحين يعالج مشكلةً مُسْتَحْدَثَةً تحتاج إلى رأى الدين فيها.. وما أكثر المشكلات من هذا القبيل فى هذه الفترة من زماننا!

إن الكاتبة الجليلة تتابع محمدًا العوا وهو ناشئ صغير يسأل أباه - وكان أبوه عالمًا جليلاً - عن مسألة ما، فلا يجيبه والدُه عن سؤاله، وإنما يشير إلى أحد الكتب الذى يحمل الإجابة، ويطلب إلى فتاه النجيب قراءة الإجابة واستيعابها من الكتاب؛ وكذا حَبَّبَ إليه أبوه الكتب، وعقد بينه وبينها مَوَدّةً ومُصَاحَبَةً استمرت معه إلى اليوم.

ويمضى حديث كاتبتنا الفاضلة مع الدكتور محمد العوا فى شأن العلوم الدينية، وفى مقدمتها القرآن الكريم.. وتسأله كيف استهل دراساته القرآنية؛ فيجيبها: «بقراءة تفسير ابن عطية الأندلسى، للميزات العديدة التى يتميز بها عن غيره فى تنشئة اليافعين من الدارسين تنشئةً قرآنية».

وعلى سَجِيَّته فى الوفاء، يتحدث الدكتور محمد العوا عَمَّنْ أَصْفَى لهم الود من أصحابه ومشايخه وأساتذته، فيذكر الشيخَ الجليلَ محمد مصطفى شلبى، أستاذه فى علم الشريعة بجامعة الإسكندرية، واستمرار رباط الود بينهما، إلىٰ أن انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى؛ وفى جملة مختصرة جميلة يجمع فيها أصحاب الفضل الذى أَسْدُوهُ إليه، فيقول: «وفضل هذا الشيخ علىَّ - يعنى الشيخَ شلبيًا - لا يقَاس إلا بفضل ثلاثة آخرين هم: أبى، والدكتور حسن العشماوى، والمستشار عبد الحليم الجندى.. فإلى هؤلاء يرجع الفضل فى صناعة ما هو الآن محمد سليم العوا».

وحين تدخل مؤلفة الكتاب بالدكتور العوا إلى حمى البيت، يبدأ حديثًا وَفِيًا نقيًا عن زوجته الدكتورة أسمهان توفيق - رحمها الله - فيقول: « كانت من صالحات المسلمات»؛ وكانت هى تقول له: «مصر أحسن بلد فى الدنيا»؛ ولم تكون مصر كذلك فى ذلك الوقت للأخطاء الجسيمة التى ارتكبت فى حقها وحق مواطنيها آنذاك؛ فلما انتهى ذلك العهد الذى لا يذكره معظم المصريين بالخير، وعاد الدكتور العوا وزوجته وأطفاله من غربة طالت كثيرًا، قالت له زوجته إجابةً عن رأيها فى مصر: إننى سمعت من والدى الحديث الشريف « إن أهل مصر فى رباط إلى يوم القيامة»، وإن النبى استوصى بأهلها خيرًا، ومن هذا الحديث عرفتُ أنه لا يمكن أن يقول الرسول ﷺ إلا صدقًا!

ويقول الدكتور العوا للأستاذة مؤلفة الكتاب ثناءً ووفاءً للمرحومة بإذن الله، الدكتورة أسمهان: «لقد توفيتُ المرحومة أسمهان بعد مرض طويل، مارستْ فيه أرقى أنواع الصبر»؛ ويضيف: « أذكر عندما قالت لها ابنتها ذات يوم: عَبِّرى عن

آلامك يا أمى ولا تكتميها؛ فأجابتها قائلةَ: إنى لا أريد أن أضيع أجرى!»؛ ويمضى الدكتور العوا قائلاً: «كانت امرأة عظيمة، وكان لها مصحفها، ولا يمر بها يوم إلا وتقرأ فيه آيات من كتاب الله» ؛ ثم يستطرد قائلاً: « وهى التى ربَّتْ أولادَها التربية الطيبة التى أنجحتهم فى حياتهم، فقد كان أسلوبنا فى تربية أولادنا الرفق المحض والشورى المستمرة».

ولقد أكرم الله الدكتور محمد العوا بعد انتقال الزوجة العظيمة إلى رحاب خالقها، بزوجة من بنات بيتٍ من أكرم بيوت مصر خُلُقًا ودينًا، وهى السيدة أمانى العشماوى؛ ابنة المرحوم بإذن الله، العالم العامل المجاهد المهاجر الدكتور حسن العشماوى؛ نسأل الله أن يفيض عليهما وأولادهما من خيره العميم، وفضله العظيم ما تَقَرُّ به أعينُهم.

ولا تكاد السيدة المؤلفة تفرغ من الفصل الخاص بالعالم الفاضل الأستاذ الدكتور محمد سليم العَوّا، حتى تدخل بنا إلى رحاب عالمٍ آخر، وهو الأخ الكريم، والفقيه الجليل، الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى. . . وتستهل الفصل الخاص به بقوله عن والدته: «منعتنى أمى من العمل بالقضاء خوفًا علىّ من النار»؛ فالتقطت الكاتبة الفاضلة هذا القولَ المُسَرْبَلَ بالتقوى، وجعلته عنوانًا للفصل الذى كتبته عنه.

إن هذه الأم الجليلة ـ بغير شك ـ صاحبةُ علمٍ بحديث رسول الله ﷺ عن القضاة فى قوله الشريف: «قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة»؛ فخَشِيَتْ على ولدها أن يكونَ أحدَ هذيْن القاضييْن؛ وبدلاً من ولاية القضاء وامتناعه عن الانخراط فى سلكه، أنعم الله عليه بالفضل الكبير والعلم الغزير، وصار فى مرتبة علمية فاقت مرتبةَ القضاة، وذلك بعضويته بمجمع البحوث الإسلامية، وما حصل عليه من علم وفير ونشاط إسلامى غزير، حتى صار واحدًا من مشاهير علماء المسلمين الذى يَعْمُرُونَ مساجدَ الله بناءً وتشييدًا، وإمامةً وصلاةً، وعبادةً وفناءً فى الدعوة إلى الله، وهو إلى جانب ذلك كله رَبٌّ صالحٌ لأسرة مسلمة

صالحة، تجمع الزوجة الصالحة، والأبناءَ البرَرَة، والأحفادَ المحفوظين بعناية الله الرحمن الرحيم.

ولعل من الخير أن نعرض لحوار السيدة ألفت مع الأم العظيمة العاملة، الأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين، التى تُعرف أيضًا بأنها «أم الأطباء»؛ فالأستاذ الدكتورة زهيرة صورةٌ كريمةٌ للمرأة المسلمة والطبيبة المسلمة والأم المسلمة.

إن قصة حياتها منذ ولادتها ومسيرتها الدراسية، لَمِمّا يُعَدُّ مَثَلاً أعلى يمكن للفتاة المسلمة أن تجعلها قدوةً ومثالاً؛ وقد عرضت الأستاذة مؤلفة الكتاب كل ذلك فى تفصيل بديع، ولكن الذى نهتم له هنا هو العلماء فى بيوتهم ونشاطهم، وإن بيت الدكتورة زهيرة يعد من البيوت المسلمة، النادرة نظامًا وترتيبًا وتَدَيُّنًا وإصلاحًا، ويمتد هذا المنهج إلى خارج البيت، بحث صار نشاطُها نشاطًا إنسانيًا ثقافيًا إصلاحيًا إسلاميًا؛ فقد أنشأت جمعية مرضى القلب الأطفال، ونجحت فى علاج المئات من الأطفال المرضى، كما أنشأت فى الدُّقِّى مستشفى الأطفال، وتقوم الآن بإنشاء دار للنساء المُسنّات فى مدينة (٦ من أكتوبر) وأخرى لضيافة الأرامل، وثالثة للطالبات المغتربات.

ولقد جعلت الدكتورة زهيرة من مستشفى الدقى للأطفال مركزًا للفكر الإسلامى، حيث يقيم موسمًا للمحاضرات كل عام، يرتاده الخاصةُ من طلاب المعرفة الإسلامية، ويقوم بإلقاء المحاضرات فيه كبارُ العلماء من مفكرى الإسلام.

تقول الدكتورة زهيرة للأستاذة ألفت: « وهبتُ نفسى لفعل الخير، فأكرمنى الله فى أولادى»؛ ولقد صدقت الدكتورة زهيرة فيما أعلنته من فعل الخير، ولكنها ذكرت القليل وحجبت الكثير، وقد استجاب الله سبحانه لها فأكرمها ببناتها، ومنهن **الدكتورة منى** التى أكرمتنى وأخى المرحوم العالِم الداعية الإسلامى الكبير، **الشيخ محمد الغزالى**، فى منزلها فى ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وتتولى كريمتها **الأستاذة الدكتورة هدى** ـ الأستاذة بكلية الطب ـ إكمال بعض الصورة، فتقول لمؤلفة الكتاب: لقد وهبتْ أمى نفسها للخير ومساعدة الفقراء والمراضى، ولذا أكرمها الله فينا.

ومن مَعِين هذه النفحات الطيبة العَطِرة، تعرض لنا الأستاذة المؤلفة قبسات وضّاءةً من سِيَر علماء الأمة، ونذكر منهم هنا أمثلة قليلة حتى لا تطول بنا المقدمة؛ **فالأستاذ الدكتور المهندس عبد الباقى محمد إبراهيم**، أستاذ العمارة الإسلامية فى كلية الهندسة، يقول: «عَلَّمْتُ أولادى أن إسكان الفقراء أهم من إسكان الأغنياء».

والشيخ سيد سعود، العالِم الجليل وكيل الأزهر، يقول: «فى دَقَادُوس كُنَّا نمارس الرياضة برئاسة **الشيخ الشعراوى**»؛ وإذا كان هذا القول فى ظاهره يحمل طابع الدُّعابة، فإنه فى جَوْهره يحمل الدعوةَ إلى إحياء شَعِيرَةٍ دينية.. رحم الله الشيخَيْن العالِمَيْن الجليلَيْن **سيد سعود ومحمد متولى الشعراوى!**

ويقول **الأستاذ الدكتور محمد أحمد المُسَيَّر** مُعْتَزًا بالأزهر: «أنتمى لعائلة تعتبر الأزهر عِرضها وكرامتها».

ومن بليغ القول وأعمقه حكمةً وتَفَكُّرًا، قول **الدكتور مصطفى أبى زهرة**، نَجْل العالِم الإمام الفارس **الشيخ محمد أبى زهرة**: «وصل أبى بعقله الراجح إلى العالِميَّة، وعندما مات بكاه الباعة الجائلون».

بقى بعد ذلك أن أهنئ الكاتبة الأديبة المسلمة التى تتخذ موقعها فى صف الصدارة من الكاتبات الحرائر؛ وأقرر أنها بهذا الكتاب المتواضع ـ انسجامًا مع تواضع مؤلِّفته ـ قد أَحيَتْ سُنَّةً ميتة، وهى الترجمة لعلماء المسلمين، وأضافت إليها ميزة «فى بيوتهم».. وأدعوها إلى مهمتَيْن:

المهمة الأولى:

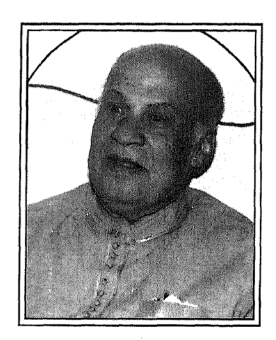
أن تُتبِعَ هذا الكتاب بأخ له، فما زالت مِصْرُ الوَلُودَةُ تزخر بعدد كبير من العلماء الأفذاذ، من حقهم أن يكتب عنهم لكى يعرفهم الناس فى زمن ذاعت فيه شهرة الراقصات والممثلات، وضاعت فيه شهرة العلماء.

والمهمة الثانية:

أن تدعو زميلاتها من الكاتبات الحرائر فى الأقطار العربية لكى يَنْهَجْنَ نَهْجَها، فتكتب كل واحدة منهن ما تستطيع أن تقدمه عن علماء بلدها تحت عنوان «مع علماء المسلمين فى بيوتهم».

شكَرَ الله للأخت الكاتبة المسلمة الأستاذة **ألفت الخشاب** حُسن صنيعها وجلال عملها وجميل تواضعها، وأكثَرَ من أمثالها، وتَقَبَّلَ عملَها هذا وجعله فى ميزان حسناتها، إنه سميعٌ مجيب.

والله من وراء القصد، وهو نِعْمَ المولى ونعم النصير.



خطبتُ زوجتى دون أن أراها إعجابًا بأبيها

د. محمد إبراهيم الفيومى

د. محمد إبراهيم الفيومى فى بيته

«نشأتُ فى ربوع قرية "أُولِيلَة" من أعمال مركز "مِيتْ غَمْر" بمحافظة الدقهلية، وترعرعتُ فى بيتٍ عُرف أهلُه بالتقوى والصلاح، وبين أسرة متوسطة الحال، تزهد فى الثراء ـ وهى تملكه ـ ولا تسعى إليه، وتُؤْثِرُ العلم وتسعى إليه. وقد كان يسعى إلى بيتنا باغةُ الكتب مِن الورّاقين، وكان والدى يحتفل بهم ويُطيل الجلوسَ معهم حتى يتصفح كلَّ ما يحملون معهم من كتبٍ جديدة، ثم يشترى منهم ما يعجبه.

فى ذلك البيت كانت ولادتى يومَ ٢٧ من يناير عام ١٩٣٨م.

وينتمى والدى إلى أسرة دينية، كان كبيرَها الشيخُ «إبراهيم الفيومى» شيخ الأزهر. فهى أسرة ارتبطتْ بالأزهر، وانتشرتْ فروعُها فى مصر والشام. وقد عُرفت هذه الأسرة بالتصوف، فكان يَؤُمُّ بيتَنا الشيخُ حسين الحَصَافِى شيخُ الطريقة الحصافية، وأولادُه: الشيخ محمد عبد الوهّاب الحصافى، والشيخ محمد عبد الفتاح الحصافى، والشيخ محمد عبد العليم الحصافى.. وكان إذا حضر أحدُهم يزدحم بيتُنا بالزوّار، وتُقامُ فيه حلقاتُ الذِّكر»..

بهذه الكلمات يصف لنا الدكتور محمد إبراهيم الفيومى فى كتابه «أيامى: حديث نفس مغتربة» نشأته فى بيت جمع بين العلم والدين. والدكتور محمد إبراهيم الفيومى هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر، ورئيس قسم أصول الدين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية والعميد الأسبق لهذه الكلية، كما كان أمينًا عاما للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وقد سافر إلى فرنسا بعد حصوله

على الماجستير فى الفلسفة الإسلامية للدراسة بالسربون وإعداد المادة العلمية لرسالة الدكتوراه التى كان يشرف عليها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود (رحمه الله) وموضوعها «القلق الإنسانى: مصادره وتياراته والعلاج الدينى له»، وقد أعير إلى جامعة قطر، وقد عاد وتولى عمادة كلية أصول الدين فى عام ١٩٨٧ فى عهد الشيخ محمد الطيب النجار ثم الشيخ الدكتور محمد السعدى فرهود، وشارك فى تأسيس جامعة السلطان قابوس بعمان عام ١٩٨٥، وتبلغ مؤلفاته ٣١ كتابا منها: (تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المغرب والأندلس)، و(المسألة الإسلامية)، و(أيامى: حديث نفس مغتربة)، وآخرها كتاب (الحلاج).

وله أربعة مؤلَّفات تحت الطبع، هى: (الإمام محمد عبده)، و(الشيخ مصطفى عبد الرازق)، و(الأزهر: رسالة وتاريخ)، و(مدارس التفسير والمفسِّرين).

وفى منزله المجاور للمعهد الأزهرى بمدينة نصر، أحاطت بنا أسرتُه الكريمة، وبدأ هذا الحوار..

يحكى لنا الدكتور الفيومى قصة بداية هذه الأسرة وقصة زواجه قائلاً:

«لقد كان زواجى إرادة للقدر قبل أن تكون إرادتى، ففى عام ١٩٧٠ كان أخى يسكن فى بيت بالعجوزة ملك للحاج إسماعيل خضير، فتعرف عليه، وحين توفى والدى جاء الرجل ليقدم لنا واجب العزاء فى بلدتنا «أوليلة» وجلس بجانبى، وكنت لم أتزوج بعد، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، وفهمت من حديثه أن لديه بنات، وبعد ذلك ذهبت لأشكره على حضوره للعزاء مع بعض أبنائه، وكان بيته الذى يقيم فيه فى شبرا أسفله مسجد، فصليت فى المسجد وأرسلت له من يخبره بوجودى، فخرج لاستقبالى.. ولا أدرى لماذا وجدت راحة نفسية لهذا البيت!

ودون أن أرى ابنته أو أعرفها طلبت من والدها أن يزوجنى إياها، فهو رجل طيب ومتدين وأنا لا أطلب أكثر من ذلك، وقد كان لى صديق من أشقائها هو الدكتور أحمد إسماعيل خضير رئيس جامعة قناة السويس الأسبق.

وحين تزوجتها ودخلت بها وجدتها خير معين، فقد كنت فى هذا الوقت مسجلاً لرسالة الدكتوراه، فوجدتها المرأة الصالحة التى وقفت إلى جانبى، ووجدت أن طباعها تناسب طباعى إلى حد بعيد، فهى لا تحب الخروج كثيرًا من المنزل، وأنا أحب القراءة وملازمة المنزل.

وفى حملها الأول فوجئت بالدكتور عبد الحليم محمود (رحمه الله) يخبرنى بموعد السفر إلى فرنسا، وإذا به يأتى فى يوم وضعها لابننا الأول إبراهيم، وبالفعل تركتها فى معاناتها ومخاضها وسافرت، وقد أسفر زواجنا عن إبراهيم وهند وأسماء».

لم يمنعنى من العمل

أما السيدة الفاضلة زوجة الدكتور الفيومى، نادية إسماعيل خضير، فتقول عن زواجها بالدكتور الفيومى:

«لقد رشحه لى أبى، وكنت فى ذلك الوقت فى السنة الثانية بكلية تجارة عين شمس، فقلت له: ما دمت تثق فى أخلاقه ودينه فإننى موافقة. وتم لقاؤنا فى بيت الأسرة، وتزوجت وأنا فى السنة النهائية بالكلية، وتخرجت وعملت بعد ذلك محاسبة فى الهيئة العامة لتعاونيات البناء والإسكان».

ولكن كيف استقبل الدكتور الفيومى فكرة عمل السيدة نادية؟

تقول: «كان لدينا طفل واحد فقط هو إبراهيم، وكنا قد سافرنا إلى فرنسا، وبعد عودتنا كنت أرغب فى العمل لأحقق ذاتى، فلم يمنعنى وقال: ما دمت تشعرين أنك ستستطيعين التوفيق بين العمل والمنزل فلا مانع. وبالفعل استطعت التوفيق بينهما حتى أنجبت هند فبدأت أحصل على إجازات دون مرتب، ثم سافرنا إلى قطر وأنجبت أسماء بعد ذلك، فقدمت استقالتى من العمل لأن الدكتور الفيومى سافر إلى عمان وبدأت أعباء الأولاد تزداد، فلم يكن يعقل أن يسافر هو وأذهب أنا إلى العمل وأترك رعاية الأولاد. البيت أهم!».

بدايات سليمة

بالقدوة الحسنة تحسن البدايات، وهذا ما توضحه تجربة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى والسيدة نادية خضير فى تربية أبنائهما.

يقول الدكتور الفيومى: «لقد بدأوا يتعلمون الصلاة والصوم اقتداء بى وبأمهم.. وكنا نشجعهم على ذلك حتى تعلموا الالتزام بالعبادات، فما دامت البدايات سليمة فلابد وأن تؤدى إلى نتائج سليمة. ولا مانع من التوبيخ فى بعض الأحيان بهدف لفت النظر عن أى تقصير».

وتعلق الأم: «نعم، فمن المهم جدًا متابعة الأم والأب لأولادهما حتى يتعلموا الالتزام بأداء العبادات، وبالفعل أصبح الالتزام جزءًا من شخصياتهم. إننا إذا خرجنا قبل صلاة العشاء تشعر ابنتى أسماء دائما بقلق مخافة ألا تؤديها فى وقتها، وتتلهف على العودة إلى المنزل من أجل ذلك».

الحفظ بالتشكيل والحفظ «علاولة»

وعن حفظ القرآن الكريم تقول كبرى الفتيات هند محمد إبراهيم الفيومى (خريجة كلية التجارة عام ١٩٩٧ وربة المنزل حاليًا، وزوجة الدكتور مدحت على سليمان المدرس بكلية التربية قسم اللغة الألمانية):

«لقد واظبت على قراءة القرآن الكريم بانتظام، وكثرة القراءة تجعل له مساحة طيبة فى الذاكرة. حقا إننى لا أقرؤه بهدف الحفظ، غير أننى أحفظه بسهولة بسبب كثرة القراءة، خاصة مع الفهم والوعى».

ولقد اشتركت هند فى السنة الأولى الثانوية فى مسابقة لحفظ القرآن الكريم بالمدرسة على الرغم من أنهم فى المدرسة كانوا لا يدققون مع الطلاب فى حفظ القرآن.. فهم يحفظون القرآن دون تشكيل أو تدقيق وفى ذلك تقول: «كان والدى يسمى ذلك «حفظًا يشبه قراءة الجرائد» فهو حفظ «علاولة»، ولذا كان يحرص على أن يقوم بتحفيظى القرآن بالتشكيل وقراءة النصوص والشعر بالتشكيل».

هند والقضبان

لم تواجه هند مشكلة مع الاختلاط فى الجامعة كما تقول، فهى ترى أنه لا مشكلة فى الاختلاط إذا كانت التنشئة سليمة للشاب أو الفتاة، لأن هذه التنشئة تضع لكل منهما خطوطا عريضة يعيها منذ الصغر ويسير على هداها مثل قضبان القطار التى لا يحيد عنها. . فهو يعلم أنه يذهب للجامعة بهدف الدراسة وليس لأهداف أخرى، وعن رأيها فى الصداقة بين الشاب والفتاة تقول:

«لا توجد صداقة، وإنما زمالة فى إطار الدراسة والعمل، لأن الصداقة لها التزاماتها، فمثلاً: إذا كانت لى صديقة فسوف أتحدث معها كثيرا وأكاشفها بخصوصياتى، وهذا أمر لا يعقل بين الشاب والفتاة».

وقد بدأت قصة زواج هند فى صالون منزل الدكتور الفيومى، حيث تعرفت على الدكتور مدحت عندما جاء لخطبتها، وتم الزواج التقليدى الناجح.

رجال حول الرسول

أهم هوايات هند هى القراءة، وفى ذلك تقول:

لقد كان أول كتاب جعلنى أحب القراءة كتاب (رجال حول الرسول) للأستاذ خالد محمد خالد رحمه الله. عندما رأيت هذا الكتاب فى البداية توجست منه خيفة فهو ضخم بعض الشىء، وشكله يوحى بصعوبة الفهم والاستيعاب. . وقبلها كان والدى يحضر لنا كتب «كليلة ودمنة» وما شابهها، وكنت أجدها صعبة الفهم بعض الشىء مقارنةً بما أقرؤه من كتب وقصص فى المدرسة، فتوقعت أن يكون كتاب «رجال حول الرسول» بهذه الصعوبة. . فلما قرأته واستوعبته أحببته ومن هنا بدأ حبى للقراءة».

هند والقرين

فى فترة سنية معينة يميل الشباب إلى قراءة كتب الغيبيات التى تتحدث عن عذاب القبر وتحضير الأرواح والسحر وما إلى ذلك. وقد مرت هند بهذه الفترة

التى لعبت فيها مُدرسة التربية الدينية فى ذلك الوقت دورا هامًا تقول عنه هند: «كنت فى السنة الأولى من المرحلة الثانوية وكانت مُدرسة التربية الدينية مولعة بالتحدث فى هذه الأمور، فكانت تحذرنا من النظر فى المرآة كثيرا قائلة: من ينظر كثيرًا للمرآة يظهر له قرينه. وكانت تقول إن الجن يسكن الحمام.. فأصبحت أخشى دخول الحمام مخافة أن يظهر لى القرين أو الجن، واستلزم الأمر وقتًا طويلاً من والدى لينزع من نفسى هذه المخاوف والأوهام. وأصبحت بمرور الوقت أدرك أن الآخرة ليست كلها عذاب القبر والثعبان الأقرع، ولكن بالتأكيد هناك أشياء أخرى جميلة!».

المهندس إبراهيم

هو الابن الأكبر للدكتور الفيومى. تخرج فى هندسة عين شمس عام ١٩٩٥، ويعمل فى وزارة التعمير، وأشرف على مبنى مشيخة الأزهر الجديد فى الدراسة، والذى تكلف إنشاؤه حوالى ٥٠ مليون جنيه. يروى قصة صيامه لأول مرة فيقول:

«أذكر وقت أن بدأت أتدرب على الصوم لأول مرة أننى كنت أتبارى مع ابن خالى فيمن يصوم حتى الظهر ومن يصوم حتى العصر، حتى استطعنا أن نواصل حتى المغرب وواظبنا على ذلك».

لم يدخل إبراهيم مدرسة أزهرية، ولكنه دخل مدرسة فرنسية.. وعلى الرغم من ذلك يقول: «لقد كنت أحفظ فيها القرآن، فقد كان لدينا مدرسو لغة عربية وتربية دينية ممتازين، كما كان هناك مسجد للصلاة غير أنه يرى أنه من الخطر ألا تدخل مادة التربية الدينية ضمن مجموع درجات الطالب.. لماذا؟ لأنها لو دخلت ضمن المجموع فسوف يهتم بها الطالب أكثر ويأخذها بشكل جدى، فما يحدث الآن أن الطالب يذاكرها ليلة الامتحان فقط، جزء من هنا ومن هناك، ويترك نصوص الحفظ طامعا فى درجة النجاح فقط!

ولا يجد المهندس إبراهيم وقتا لمشاهدة التليفزيون بحكم عمله، لكنه يعتقد أن مشاهدة التليفزيون ليست حراما، وإذا وجد وقتا يشاهد المسلسلات ونشرات الأخبار ومباريات كرة القدم وبرنامج عالم الحيوان.

ويقول عن سماعه للموسيقى: «لا أحب مشاهدة أو سماع الأغانى الشبابية أو الفيديو كليب كما يسمونها. إننى أفضل سماع الموسيقى العالمية لبيتهوفن مثلا والموسيقى الهادئة فى إذاعة الـ F.M ، كما إننى أحب سماع أم كلثوم وعبد الوهاب، لكنى لا أشترى شرائط كاسيت ولا يوجد فى سيارتى كاسيت»!

الإعلام والجامعة

والمهندس إبراهيم يرى أن الاختلاط فى الجامعة ضرره أكثر من نفعه فيقول: «حقا إننى كنت فى كلية الهندسة حيث لا وقت لدينا للاختلاط أو الصداقات، إلا أننى عندما كنت أمر على الكليات الأخرى وأرى ما فعله الاختلاط بالطلبة والطالبات، أزداد قناعة بضرر الاختلاط، وللأسف فللإعلام دور سلبى فى ذلك، لأنه جعل من الجامعة مكانا للحب والزواج ، وأغلب الأفلام والمسلسلات تجعل من الجامعة مكانا لبدء قصة حب بين الشاب والفتاة، الأمر الذى جعل أغلب الشباب يحلمون بدخول الجامعة لا بهدف العلم، ولكن بهدف مصادقة الفتيات والبحث عن الحب والزواج!».

شيشة حريمى

يجلس المهندس إبراهيم على المقاهى ولا يرى فى ذلك حراما أو عيبا، فكثيرا ما يجلس ـ بحكم عمله ـ مع العمال على المقاهى ليمنحهم أجورهم فى نهاية اليوم، ولكنه يقول: «لقد تعددت المقاهى وانتشرت، وأصبحنا نجد مقاهى تضم الفتيات إلى جوار الفتيان، فنشاهدهن يجلسن ممسكات بالشيشة مثل الرجال!».

ويضيف قائلاً: «إننى لست ضد المقاهى، فقد كان يجلس عليها كبار كتابنا مثل نجيب محفوظ، ومن الممكن أن يكون المقهى مكانا لارتكاب الحرام أو مكانا لارتكاب المعاصى».

١٠ إشاربات ومائة جنيه

أما أسماء محمد إبراهيم الفيومى فهى طالبة فى السنة النهائية بكلية عين شمس، وتزوجت من مهندس كمبيوتر يعمل فى المملكة العربية السعودية. تقول

عن الحجاب: «إنه فَرْض، وقد ارتديته بتوجيه من أبى وأمى، فقد قال لى والدى مشجعا على اتخاذ هذه الخطوة: إذا ارتديت الحجاب سوف أشترى لك عشرة إيشاربات وأمنحك مكافأة قدرها مائة جنيه. . فارتديته».

ولأن أسماء سوف تسافر مع زوجها فى إجازة منتصف العام فقد سألتها: ما رأيك فى سفر المرأة وحدها للعمل وتركها أولادها وزوجها؟

فأجابت: «من الخطأ أن تترك الزوجة أولادها وزوجها وحدهم وتسافر حتى لو كان ذلك سيزيد من دخل الأسرة».

سألتها: وهل ستمنحين زوجك مرتبك إذا عملت؟

ـ نعم لأننى عندما أذهب للعمل، فإننى أفعل ذلك بهدف زيادة دخل الأسرة. فمن المنطقى أن أضع مرتبى مع مرتب زوجى لزيادة دخلنا، وإلا فما الداعى للعمل؟».

سينما: لا. فيديو: نعم

لا يحب أبناء الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الذهاب إلى السينما أو المسرح، والدكتور الفيومى لا يحبذ الذهاب إلى دور السينما والمسرح، لكن لا يمنع أولاده من مشاهدة الفيديو. وتقول أسماء:

«لست من هواة مشاهدة الأفلام، إذ أفضل عليها مشاهدة المسلسلات، وأحيانا أشاهد فيلما أجنبيا فى برنامج أوسكار أو نادى السينما، فهما غالبا ما يقدمان أفلاما تقوم على قضية وهدف».

ليست صادقة

أما الأفلام العربية الدينية فهى فى رأى أسماء «غير صادقة، لأنها تظهر الكفار فى صورة غير واقعية، يأكلون الخرفان بأيديهم بأسلوب فيه نوع من التوحش، ويرتدون الذهب والفضة، وهذه كلها أمور غير واقعية وغير مقنعة، باستثناء بعض

الأفلام مثل فيلم رابعة العدوية وفيلم عمر المختار اللذين يقومان على قصة واقعية وأحداث تم تصويرها بحكمة وإتقان».

بعيدا عن القسوة

ترى أسماء أن أفضل وسيلة لتنشئة الأولاد على طاعة الله والالتزام بالقيم الأخلاقية هى التعامل معهم برفق بعيدا عن القسوة، فالرفق يساعدهم على التصرف دون خوف. وبالتالى إذا أخطأ أحدهم فلن يكذب ويخفى أخطاءه، وتقول:

«هذا ما اتبعه معنا أبى وأمى، فعندما كنت أخطئ، كنت أذهب إليهما وأحكى لهما ما فعلته لأننى أعلم أننى لن أواجه بثورة من الغضب أو معاملة كلها عنف وقسوة».

أما الدكتور مدحت على سليمان زوج هند فقد قضى سنوات طفولته وصباه فى ألمانيا، وتقول عنه السيدة نادية زوجة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى:

«على الرغم من نشأة مدحت فى دولة أجنبية، إلا أنه شديد التدين، ويحرص على أداء كل الفروض والسنن، وهو زوج مثالى يحسن معاشرة ابنتنا هند».

ـ سألته: قال الإمام محمد عبده «وجدت فى الخارج مسلمين بلا إسلام وهنا إسلامًا بلا مسلمين». . فلماذا لم ننجح من وجهة نظرك فى الالتزام بسلوكيات الإسلام ومبادئه على حين نجح غيرنا فى ذلك؟

ـ أجاب: «لأنهم هناك يحرصون على إتقان العمل وعدم الكذب، كما أنهم يحترمون الوقت، وأعتقد أن عدم الالتزام بالسلوكيات الإسلامية هنا سببه الجرى وراء المادة الذى يجعل الإنسان يتنازل عن الكثير من الأخلاقيات، بالإضافة إلى انعدام القدوة الصالحة فى الأسرة».

فى كل مناسبة

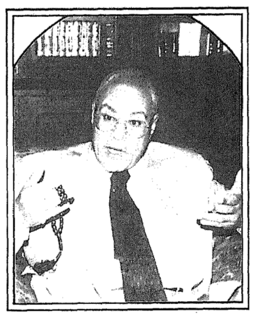
يحرص الدكتور محمد إبراهيم الفيومى والسيدة حرمه على أن تكون علاقتهم طيبة بالجيران، ويقول الدكتور الفيومى: «إن جيراننا أناس طيبون، وهم: الدكتور

عبد اللطيف الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية، والدكتور محمد سليم العوا المحامى الشهير، ودائما ما نتزاور فى الأعياد والمناسبات المختلفة».

وتقول السيدة نادية: «لدىّ ثلاثة أشقاء وشقيقتان دائما على اتصال بهم، وهم دائما على اتصال بى، وكذا لدى الدكتور الفيومى أربع شقيقات وأربعة أشقاء، دائما على اتصال بعضهم ببعض.. ونحن كثيرو الذهاب إلى قريتنا «أوليلة» فى كل مناسبة، كالأعياد والمناسبات التى تتعلق بأفراح الأسرة وأتراحها»..

وتضيف قائلة: «إن صلة الرحم من أهم ما أوصانا به الله سبحانه وتعالى، ولن يكلف الإنسان نفسه مشقةً كبيرةً إذا اقتطع من وقته خمس دقائق للاتصال بأسرته وأهله وأقاربه للسؤال عنهم».

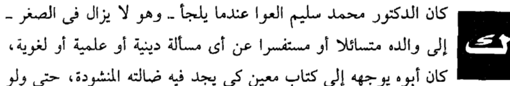
* * *



لم ألتحق بالأزهر نظاميًّا، ولكنى انتميتْ إليه بالدرس والتحصيل

د. محمد سليم العوّا

د. محمد سليم العوّا فى بيته



كان الدكتور محمد سليم العوا عندما يلجأ ـ وهو لا يزال فى الصغر ـ إلى والده متسائلا أو مستفسرا عن أى مسألة دينية أو علمية أو لغوية، كان أبوه يوجهه إلى كتاب معين كى يجد فيه ضالته المنشودة، حتى ولو كانت هذه المسألة بسيطة والإجابة عليها لا تحتاج إلى بحث أو دراسة.

وعندما .كان يسأل عن سر إصرار والده على توجيهه عند كل مسألة إلى كتاب معين، كان الوالد يجيب قائلا: « العلم الرخيص لا يستمر». . وبذا وعى الابن وتعلم أول وأهم درس فى حياته، وأدرك قيمة التعب وبذل الجهد من أجل الحصول على العلم. . وبهذا الدرس أصبح الدكتور محمد سليم العوا من أبرز المفكرين الإسلاميين، وبهذا الفهم أخرج للمجتمع أسرة نموذجية تقدر العلم وتعمل به.

ولد الدكتور محمد سليم العوا فى مدينة الإسكندرية لأب مولود فيها، وإن كان جده قد جاء من الشام، ولأم أصلها من المحمودية فى محافظة البحيرة، وكان ثالث إخوته الخمسة. يروى لنا قصة نشأته قائلاً:

«نشأت فى بيت شديد التدين، محب للعلم والعلماء، فقد تعلم والدى على أيدى جيل من كبار المشايخ وإن لم يكن أزهريا، وأذكر منهم الشيخ على رفاعى وحسن صقر ومحمد محفوظ، ثم صادق جيله من العلماء فأشربت من والدى ـ رحمه الله ـ حب العلم والعلماء».

وقد خلق هذا الجو العلمى فى نفس محمد سليم العوا رغبة تمنى تحقيقها وهى

الالتحاق بالأزهر الشريف. . وعلى الرغم من أن هذه الأمنية لم تتحقق، إلا أنه سعى إلى تحقيقها بأسلوب آخر هو الدرس والتحصيل، يروى لنا ذلك قائلاً:

أولى الذكريات.. فى المسجد

«كنت أواظب فى طفولتى مواظبة دائمة على مجالس العلماء فى المساجد الرئيسية بالإسكندرية، فكنت أحضر دروسا فى الفقه على الشيخ منصور النمر وكان مالكى المذهب، لكنه كان يدرس فى مسجده فقه المذاهب المختلفة، وكنت أحضر دروس الوعظ التى يلقيها الشيخ إسماعيل حمدى وكان عظيم التأثير فيمن يستمعون إليه، فكنت أتتبعه من مسجد إلى آخر، وكنت أحضر دروس التفسير التى كان يلقيها الشيخ محمد شلبى، وهو غير شيخنا الشيخ مصطفى شلبى، وكان قد أسس جمعية فى الإسكندرية باسم جمعية البر والتقوى، وكان له درس أسبوعى فى التفسير ودروس أخرى فى السيرة والتاريخ الإسلامى، وكان للشيخ محمد الصادق عرجون دروس منتظمة فى السيرة وفى الأخلاق وتاريخ الصحابة».

ويعترف الدكتور محمد سليم العوا قائلا: «لقد كانت أولى ذكريات عن طفولتى فى مسجد القبانى بالإسكندرية، وهو مسجد ضخم يجاور مدرستى.. مدرسة المعارف العمومية الابتدائية».

الأبواب المفتوحة

وفى المرحلة الثانوية، دخل الدكتور محمد سليم العوا مدرسة الرمل الثانوية، وكانت هذه المدرسة سيئة السمعة لكثرة إضرابات طلابها ومظاهراتهم وخروجهم دون إذن، فتولى نظارتها محمود بك شهاب والد الدكتور مفيد شهاب، وما كان منه إلا أن أصدر قرارا غريبا ولكنه حكيم، يقول عنه الدكتور العوا:

«أصدر فى اليوم الأول لتوليه أمر المدرسة قرارا شديد الغرابة، وهو أن تبقى أبواب المدرسة الثلاثة مفتوحة لا تغلق، وألغى الغياب والحضور فى الفصول، وقال إن الطابور اختيارى».

فى اليومين الأولين كنا لا نرى فى المدرسة أحدا، وفى اليوم الثالث بدأت الأعداد تتزايد، وقبل نهاية الأسبوع كان هناك طابور منتظم.. واستمرت السنتان اللتان بقيتهما بالمدرسة من أشد السنين انضباطا فى حياة مدرسة الرمل الثانوية.

وقد كان الأستاذ شهاب لا يدخل مكتبه إلا قليلا، ويقضى اليوم الدراسى بطوله فى المرور على الفصول... وحتى فى الفُسحة كان معنا.. وكان لا يغادر المدرسة إلا بعد خروج آخر تلميذ فيها.

وكان فى المدرسة عشرات من المدرسين العظماء، أذكر منهم الشاعر الفحل الأستاذ توفيق جبر الذى توفى قبل أيام قليلة، والأستاذ مصطفى الطباخ الذى علمنا الوطنية، فقد كان ضابط احتياط فى القوات المسلحة، ودربنا ضمن كتائب الدفاع المدنى أثناء العدوان الثلاثى على حمل السلاح، وكان ينتهز الفرصة ويعطينا فى كل يوم درسا فى حب الوطن.. وكان شريكه فى التربية العسكرية الأستاذ ميخائيل مدرس التاريخ، فكنا لا نكاد نفرق بين الدرس الذى يلقيه الأستاذ الطباخ والدرس الذى يلقيه الأستاذ ميخائيل.. فكلاهما يستشهد بالقرآن، وكلاهما يستشهد بشعر شوقى وحافظ والمتنبى».

هات الكتاب

تعلم الدكتور محمد سليم العوا فى طفولته درسا أثر فيه وكون تفكيره، فقد كان كلما سأل والده عن أى مسألة دينية أو علمية أو لغوية قال له: هات الكتاب الفلانى.. فإذا قال له الابن: إنها كلمة بسيطة! يجيب والده قائلا: «العلم الرخيص لا يستمر». يقول الدكتور العوا عن ذلك:

«كنت أقرب إخوتى إلى والدى، فكنت آتى بالكتاب فأفتحه، فأجد الإجابات متعددة، فأتساءل: أين الصواب وأين الخطأ؟.. فيقول لى والدى: كله صواب، ثم يشرح قائلا: هذا استعمل المنطق كذا، وذاك استَشهد بالآية كذا.. فتعلمتُ منه اتساع الأفق، والحِلم، وسعة الصدر، . وأن الحق وإن كان واحدا عند الله سبحانه وتعالى إلا أن العلماء لهم على الاجتهاد أجران إن أصابوا وأجر إن

أخطئوا، ولا تثريب على واحد منهم أن يعمل باجتهاده ولو كان خطأ فى واقع الأمر لأن العبرة بما قد وصل هو إليه لا بما قاله غيره.. وكان هذا الدرس من أهم ما تعلمته فى حياتى، وحاولت أن أورثه لأولادى، فلما قرأنا السيرة مثلا فى هذا البيت، قرأنا أولا كتاب المقريزى المسمَّى (إمتاع الأسماع بما لرسول الله ﷺ من الأنباء والأبناء والحَفَدَة والمتاع) لأنه يأتى أولا بما ترجح عنده من الخبر ثم يأتى بأقوال العلماء المختلفة، وأحيانا ينتقدها وأحيانا يتركها دون انتقاد، فإذا كان هذا بالوثائق التاريخية الثابتة فما بالك بالآراء!

ولما قرأنا تفسير القرآن قرأنا تفسير ابن عطية الأندلسى لأنه يورد رؤوس الأقوال فى كل مسألة ثم يرجح منها ما يراه صحيحا، فتعلم الأولاد أن فى الرأى سعة، وأن فى الاجتهاد مندوحة، وأن من حق الناس أن تتغير آراؤهم ويبقى فى ذلك احترامهم بعضهم لبعض، وتقديرهم لعلم كل واحد وهذا يعطيهم فى حياتهم قدرة على تحمل المخالفين، كما يعطيهم شجاعة على إبداء الرأى الذى يقتنعون به وإظهار العلم الذى يعرفونه، وهذا المعنى الجميل حفظته فى طفولتى من كلمتين للإمام الشافعى، الأولى يقول فيها: «رأيى صواب عندى ويحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ عندى ويحتمل الصواب»، والكلمة الثانية قوله عن مؤلفاته: لقد أَلَّفْتُ هذه الكتب ولم آل فيها، ولابد أن يوجد فيها خطأ، لأن الله تعالى يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.

أجيال جديدة

● يقول الدكتور العوا: «عشنا طويلا تحت ظل حكم فردى لم يكن يسمح لأحد أن يكون له رأى مخالف لرأى الحاكم، وانطبع هذا السلوك بطريق التقليد على مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع كافة، والقهر ينتقل فى المجتمع من إنسان إلى آخر كالعدوى، ومن طبقة إلى أخرى، كما تعدى الميكروبات الضارة، والحرية تفشو فى المجتمع كما تفشو الريح الطيبة تغشى القلوب والأبدان معا،

وليس معقولا أن يعيش مجتمع هذه الحقبة الطويلة التى عشناها فى مصر فى ظل حكم الفرد ثم يعافى منه ومن آثاره بين يوم وليلة، لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بتربية أجيال جديدة!».

من أجل الشريعة

وكما أحب الدكتور محمد سليم العوا العلم ومجالس العلماء فى بيت والده، أحب أيضا القانون ودراسة القانون، فقد كان لوالده عدد كبير من أصدقائه من رجال القانون، وأيضا عدد كبير من الأقارب يعملون فى القضاء، فكان يجلس إليهم ويستمع إلى مناقشاتهم المثيرة، وعرف أن الدراسة الحقوقية تتضمن قدرا كبيرا من دراسة الشريعة الإسلامية بطريق مباشر أو غير مباشر، لذا قرر الالتحاق بكلية الحقوق، وعن ذلك يقول:

«عرضت على أبى رغبتى فى الالتحاق بهذه الكلية فلم يمانع.. وهكذا أصبحت من طلابها. وقد كان من أكبر نعم الله علىّ أننى تعرفتُ فى اليوم الأول إلى الشيخ العلامة محمد مصطفى شلبى (عضو مجمع البحوث الإسلامية بعد ذلك، وأستاذ الشريعة الإسلامية فى جامعة الإسكندرية).. هذا الشيخ صحبته منذ عام ١٩٥٩ إلى وفاته فى عام ١٩٩٨ صحبة شبه يومية طالما كنت مقيمًا فى مصر، وصحبة برسائل أسبوعية متبادلة طوال إقامتى خارج البلاد، تعلمت منه الفقه بدرسه النظامى، والأصول قراءةً عليه فى كتب الأحناف والأصوليين من الشافعية، وفضل هذا الشيخ الجليل علىّ لا يقاس إلا بفضل ثلاثة آخرين هم: أبى، والدكتور حسن العشماوى، والمستشار عبد الحليم الجندى، فإلى هؤلاء يرجع الفضل فى صناعة ما هو الآن محمد سليم العوا».

سنوات الغربة

عين الدكتور محمد سليم العوا بعد تخرجه فى النيابة العامة، ثم نقل منها ـ جَبْرًا ـ بتهمة سياسية فى عام ١٩٦٧ إلى إدارة قضايا الحكومة، وهناك تعرف بأستاذه المستشار عبد الحليم الجندى الذى يقول عنه:

«لقد وجدت فيه نوعا من المعلمين الموجهين قل أن يوجد فى الدنيا. . لا فى زماننا وحده ولكن فى الأزمان كلها!».

وترك الدكتور سليم العوا مصر فى رحلة غربة طويلة استمرت ثمانية عشر عاما عمل خلالها فى إدارة الفتوى والتشريع بالكويت مع المرحوم حسن العشماوى، ثم ذهب إلى بريطانيا للدراسة، فحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢ فى فلسفة القانون المقارن، وبعدها عمل أستاذًا مساعداً فى جامعة أحمدو بللو بنيجيريا، ثم ذهب إلى جامعة الرياض فى السعودية عام ١٩٧٢ وبقى بها سبع سنوات، ثم انتقل إلى مكتب التربية العربى لدول الخليج ليكون مستشارا له مع مسئوليات أخرى عن الفريق المكلف بإنشاء جامعة الخليج العربى فى البحرين، وفى عام ١٩٨٥ عاد إلى مصر حيث درس القانون بجامعة الزقازيق مدة عشر سنوات، ثم اعتزل التدريس واكتفى بممارسة مهنة المحاماة.

وقد أخرج الدكتور العوا للمكتبة العربية العديد من المؤلفات، أهمها (فى النظام السياسى للدولة الإسلامية)، وهو كتاب يتناول نشأة هذه الدولة والقيم السياسية الإسلامية العامة، وقد طبع أكثر من سبع طبعات، ويدرس فى أكثر من عشر جامعات عربية. وكتاب (فى أصول النظام الجنائى الإسلامى)، وناقش فيه النظرية العامة للجريمة، وجرائم المرور والقصاص والتعازير. . وهناك كتاب عن تفسير النصوص الجنائية، تناول فيه الدكتور محمد العوا مناهج العلماء والفقهاء فى التفسير، وأيضا كتاب عن (الأزمة السياسية والدستورية فى مصر)، وكتاب عن (أزمة الخليج الثانية والعبث بالإسلام فى أزمة الخليج) وألف أيضا كتابا عن المستشار طارق البشرى عنوانه (طارق البشرى فقيها)، وكتاب عن «الإسلاميون والمرأة» ناقش فيه قضية عمل المرأة وخروجها وثقافتها وحقها فى الترفيه المباح وحقها فى العمل السياسى، وله كتاب مهم اسمه (الفقه الإسلامى فى طريق التجديد)، قام فيه برصد معالم التجديد الفقهى الإسلامى فى خمسين موضوعا فى السنين العشرين الأخيرة كمحاولة لإثبات أن الاجتهاد لم يتوقف. . ومن مؤلفاته أيضا كتاب (أزمة المؤسسة الدينية والحق فى التعبير).

من الصالحات

تزوج الدكتور محمد سليم العوا فى عام ١٩٦٧ من المرحومة الدكتورة أسمهان توفيق بكير، ويقول عنها:

«كانت من صالحات المسلمات، تخرجت من المعهد العالى للتمريض بجامعة الإسكندرية، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة عين شمس، وصحبتنى فى رحلة حياتى الطويلة، وكانت تحب هذا البلد ـ مصر ـ حبا عجيبا!

أذكر فيما بين خطبتنا وزواجنا وهى فترة قصيرة ـ أقل من شهرين ـ أننا كنا نتحدث عن تقييد الحريات، فقالت لى إن مصر مع ذلك أحسن بلد فى الدنيا.. ما رأيك أن نعيش فى عدة بلاد وإذا وجدنا ما هو أحسن من مصر نستقر فيها، وبالفعل قدر الله لنا الغربة، فعشنا فى الكويت وفى بريطانيا وفى نيجيريا وفى السعودية.. ثم عدنا إلى مصر، وكانت كلما ذكرت هذا الموضوع تقول: أنا كسبت الرهان! وبعد عشرين سنة من هذا الحديث سألتها ما الذى دعاها إلى هذا التقرير، فقالت: أنت، ربما من اللقاء الثانى أو الثالث فى بيتنا ـ وكان والدى يتحدث معك عن مصر، وكان من أساتذة التاريخ ـ فقلتَ له الحديث الشريف الذى يقول: إن أهل مصر فى رباط إلى يوم القيامة، وأن النبى استوصى بأهلها خيرا.. فسمعت هذا الحديث وعرفت أنه لا يمكن أن يقول الرسول ﷺ إلا صدقا.

أرقى أنواع الصبر

وقد توفيت الدكتورة أسمهان منذ ثمانى سنوات بعد مرض طويل مارست فيه ـ كما يقول الدكتور محمد سليم العوا ـ أرقى أنواع الصبر، ويضيف:

«أذكر عندما قالت لها ابنتها ذات يوم: عبرى عن آلامك ولا تكتميها، فأجابتها قائلة.. إنى لا أريد أن أضيع أجرى!.. فقد كانت امرأة عظيمة.. وكان لا يمر بها يوم إلا وتقرأ فى مصحفها، وهى التى ربت أولادها التربية الطيبة التي أنجحتهم فى حياتهم».

وقد أسفر زواج الدكتور محمد سليم العوا بالدكتورة أسمهان عن خمسة أولاد هم: فاطمة (وهى دكتورة فى القانون وتعمل فى منظمة الصحة العالمية)، وسلوى (وهى مدرس مساعد فى كلية الآداب قسم اللغة العربية)، ويقول عنها الدكتور العوا: «إنها تفخر وأفخر بأنها آخر تلميذات بنت الشاطئ، فقد صحبتها سنين عددا، وكتبت لها آخر مقدمة فى كتابها عن «الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم»، وهى الآن تعد رسالة دكتوراه عن «ترابط القرآن الكريم من وجهة نظر لغوية».

والابن الثالث للدكتور محمد سليم العوا هو أحمد، وهو معيد فى كلية صيدلة القاهرة ويقول: «أخذت مجال الصيدلة لأننى وجدت فيه العلوم التى أفضلها وهى الكيمياء والأحياء والفيزياء».. وعلى الرغم من هذا الاتجاه العلمى.. يحرص الدكتور أحمد على لغته العربية حرصًا شديدًا، فهو يتكلم بالفصحى أغلب الوقت.

ولأن الدكتور العوا زرع فى نفوس أبنائه الاستقلالية وحرية إبداء الرأى، اختار ابنه عبد الرحمن مجال طب الأسنان، وعن ذلك يقول:

«لأننى كنت أبحث عن مهنة لا يتحكم فيها أحد، أضع أنا لها قوانينها وأختار المكان الذى يناسبنى، فأخذت مهنة الطب، كما أن تخصص طب الأسنان فيه حرفية، وأنا أتمتع بالقُدرة على استخدام يدى كحرفة جيدا».

وقد تعلم عبد الرحمن من والده الكثير، وأهم ما تعلمه كما يقول: المثابرة والجد فى الحياة، وأن يكون لى هدف أجتهد حتى أحققه بكل السبل المشروعة، كما أننا جميعا تعلمنا من والدى أهمية احترام القانون، فلا يحدث مثلا وأنا أقود سيارتى أن أكسر إشارة أو أسير فى عكس الاتجاه، أو أحاول تخطى الصفوف».

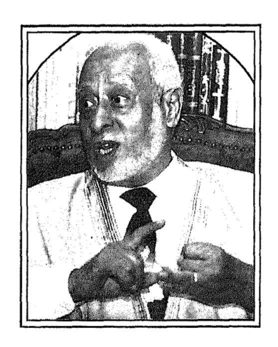
الرفق المحض

وبعد وفاة الدكتورة أسمهان تزوج الدكتور العوا من السيدة أماني حسن العشماوى ابنة أستاذه حسن العشماوى، وكانت قد ترملت قبله بثلاث سنوات، وعن ذلك يقول:

«نحن عائلة واحدة.. أولادها كأولادى، وأولادى كأولادها.. وهى محامية، ولكنها تهتم بكتابة قصص الأطفال».

ويجيب الدكتور محمد العوا عن سؤال حول أسلوب التربية الأمثل للأولاد قائلا: «ربينا أولادنا الخمسة وزوجتى ربت أولادها الثلاثة بأسلوب واحد هو الرفق المحض والشورى المستمرة، فنحن نتشاور فى كل شىء حتى في عطلاتنا وكيف نقضيها وفى زياراتنا خلال أيام العيد، فأنا لا أومن أبدا بأى نوع من أنواع الشدة فى التربية، وشدتي الوحيدة هى كلمة أو عبارة «هذا لا يليق أو لا يصح».. وأترك الباقى للقدوة الحسنة والأسوة والمقالة والآية والحديث.. هذا هو الذى نفعهم، فالتربية بالشدة تدمر ولا تصلح».





منعتنى أمى من العمل بالقضاء
خوفًا علَىَّ من النار
د. عبد الرحمن العَدَوى

د. عبد الرحمن العَدَوى فى بيته

ن «نَوِّينا السهر»! بهاتين الكلمتين كان الدكتور عبد الرحمن العَدَوى - الأستاذ بكليتىْ الدعوة والدراسات الإسلامية، وعضو مَجْمَع البحوث الإسلامية، وعضو مجلس الشعب - يبدأ سهرتَه مع ابنه عمر عندما كان هذا الأخير طفلا صغيرا يرهق أمَّه بكاءً، فيهرع إليه أبوه حتى تنال زوجتُه قسطا من الراحة!

خمسون عاما قضاها الدكتور العدوى مع زوجته الفاضلة السيدة زينب فى ود ورحمة، حتى أثمر زواجُهما أسرةً كبيرةً سعيدة.

فى سن العاشرة، أتم الدكتور عبد الرحمن العدوى حِفْظَ القرآن فى بلدته طنطا، ولأن السن القانونية للالتحاق بالمعهد الأحمدى فى طنطا لا تقل عن اثنتى عشرة سنة، فقد أرسل المعهد إلى الأزهر يطلب استثناء هذا الطفل النجيب من شرط السن. . وبذلك أصبح العدوى أصغر طلاب المعهد الأحمدى سنا وأصغرهم عند التخرج. وأتم العدوى دراسته الأزهرية فى المعهد بتفوق ملحوظ، وأراد الالتحاق بكلية الشريعة. . أما لماذا، فلذلك قصة يرويها لنا قائلا:

«ذهبت فى إحدى المرات وأنا فى العاشرة من عمرى إلى محكمة طنطا بعد أن قيل إن مكرم عبيد باشا سيترافع عن المتهم، وجلست لأشاهد المحاكمة، فإذا برجل مهيب يرتدى وشاحا أخضر صاح الحاجب عند دخوله بصوت جهورى، فوقف الجميع، فسألتِ من يجلس بجوارى: من الذى وقف له الناس جميعا؟ فقال: إنه القاضى!!

فى ذلك اليوم قررت أن أكون قاضيا، وفى اليوم التالى سألت شيخى بالكتاب: كيف أكون قاضيا؟ فقال لى: إنك أتممت حفظ القرآن ولكى تكون قاضيا تلتحق بالمعهد الأزهرى الأحمدى فى مذهب أبى حنيفة النعمان».

والتحق العدوى بالمعهد الأحمدى وأتم الدراسة فيه بتفوق ثم التحق بكلية الشريعة ليحقق حلمه فى أن يكون قاضيا.

لن تكون قاضيا!!

ولكن الدكتور عبد الرحمن العدوى بعد ذلك لم يصبح قاضيا، أما لماذا، فلأن والدته وكانت سيدة صالحة تتمتع بشفافية عالية، رفضت رفضا باتا أن يلحق ابنها بمدرسة القضاء الشرعى ويكون قاضيا.

يروى لنا الدكتور عبد الرحمن العدوى ذلك قائلا: كانت والدتى سيدة صالحة، سألتنى: فى أى تخصص ستلتحق بعد الشهادة العالية، فقلت لها: فى القضاء الشرعى، لقد قطعت كل هذا الشوط من أجل ذلك، فقالت لى: أبدا، لن تكون قاضيا!! وإذا فعلت ذلك لن أكون راضية عنك أبدا، أتريد أن تحكم فى قضايا الطلاق؟!.. فقد كانت الأم الصالحة تخشى على ولدها ارتكاب الذنوب والوقوع فى الكبائر إذا لم يوفَّق فى حُكم يرضى الله فالحديث النبوى الشريف يقول: «قاض فى الجنة وقاضيان فى النار» وأسقط فى يد الدكتور العدوى فهو لا يستطيع إلا أن يرضى أمه، فقدم فى تخصص التدريس، وكان هذا التخصص يدخله الطلاب بمسابقة، فدخل المسابقة وهو يأمل فى الرسوب، فإذا به ينجح ويلحق بتخصص التدريس ويتمه بتفوق فى عام ١٩٤٨.

طاعة الأم

يقول الدكتور عبد الرحمن العدوى.. فى ذلك الوقت أجرى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مأمون الشناوى شيخ الأزهر مسابقة لاختيار علماء للمعاهد الدينية اشترك فيها ٨٤٠ متسابقا اختاروا منهم ١٥ فقط وكانت المسابقة تجرى فى الشعب

المختلفة، ففزت بالمركز الأول على شعبة الفقه والأصول، وأثبتت لى الأيام، أن الله سبحانه وتعالى وفقنى إلى طاعة أمى، فقد كان من توفيق الله أن جعلها تصر على عدم التحاقى بتخصص القضاء، إذ إنه بعد تخرجى بست سنوات فى عام ١٩٥٥ ألغيت المحاكم الشرعية فلم يستطع زملائى الذين التحقوا بهذا التخصص أن يصلوا إلى مرتبة القضاة واضطروا أن يقدموا بعد كل ذلك فى تخصص التدريس، وأذكر منهم الدكتور زكريا البرى رحمه الله وزير الأوقاف، وكان تخصص فى القضاء الشرعى وعمل فيه ولما ألغى وجد نفسه لن يتعدى درجة كاتب فالتحق بتخصص التدريس.

تقاسم الدكتور عبد الرحمن العدوى والدكتور زكريا البرى الأولوية حيث كان العدوى يفوز بالترتيب الأول عاما والبرى عاما على الأوائل فى قنا!!

وعلى عكس ما توقعه الدكتور العدوى بعد فوزه بالمركز الأول فى المسابقة التى أجراها شيخ الأزهر مأمون الشناوى، فقد عُيِّنَ فى معهد فاروق الأول الثانوى بقنا بدلاً من أن يعين فى القاهرة، وهناك وجد جميع زملائه الأوائل فى انتظاره.. الدكتور موسى لاشين الأول فى التفسير والحديث، والدكتور عز الدين على السيد الأول على البلاغة والأدب وغيرهم، يقول الدكتور عبد الرحمن العدوى:

اندهشنا لذلك، وذهبنا إلى شيخ الأزهر نسأله عن سر تعييننا فى قنا ونحن الأوائل فقال: فى العام الماضى ارتكب طلاب معهد قنا جريمة الغش فى الامتحان فقمت بإلغاء امتحاناتهم، ولما بحثت عن أسباب ذلك وجدت أن السبب يكمن فى المدرسين، لأنه لا يذهب إلى قنا إلا المغضوب عليهم والمعاقبون، فيدرسون للطلاب وهم غير مهتمين ويحصلون على أجازات مرضية هربا من التدريس، فأدركت أن الطلاب معذورون فهم لم يحصلوا على حقهم فى العام ولم يذهب إليهم علماء يفيدونهم لذا نقلت جميع المدرسين من المعهد وأرسلت جميع الأوائل فى المسابقة إليه حتى يحصل هؤلاء الطلاب على حقهم من العلم.

هكذا سعى شيخ الأزهر للإصلاح فلم يجد الأوائل إزاء هذه الروح إلا الرضا والتأييد لخطة شيخ الأزهر وقالوا له: نحن نساعدك على هذه النية الطيبة.

ونجحت خطة شيخ الأزهر وانقلب حال المعهد فبعد أن كان معهدا للراسبين، أصبح يخرج أفضل الطلاب الذين تقلدوا مناصب عالية.

البحث عن الزوجة

وفى قنا شعر الدكتور عبد الرحمن العدوى بالغربة وقلة الحيلة، فهو لا يعرف كيف يعد الطعام أو يتدبر أموره المعيشية لأنه لم يسبق له العيش وحيدا، لذا قرر أن يتزوج فى الأجازة الصيفية، وبدأ رحلة البحث عن زوجة.

يقول الدكتور عبد الرحمن العدوى:

زوجتى هى ابنة خالتى، والأمر الغريب أننى لم أكن رأيت خالتى وأولادها أبدا بسبب وجودها فى بلد آخر وعندما عدت إلى بلدتى فى الأجازة الصيفية قال لى عمى وعمتى وخالتى، إن لك خالة لم ترها طوال حياتك وأنت عالم أزهرى وتعرف أهمية صلة الرحم، فذهبت لزيارتها وهناك رأيت ابنة خالتى وكانت فى السادسة عشرة من عمرها، ولفت نظرى مهارتها فى إعداد الطعام دون مساعدة من أحد، فعقدت العزم على خطبتها وأخبرت أمى برغبتى فرحبت وفى نهاية الأسبوع عقدت القران عليها.

بلا مهر

لم يدفع الدكتور عبد الرحمن العدوى مهرا، فوالد خطيبته قال له لن آخذ منك مهرا، ولكن جهز أنت بيتك بما تراه، إننى أرتضى لابنتى ما ترتضيه لنفسك.

يقول الدكتور عبد الرحمن العدوى: وبالفعل جهزت بيتى ولكن ليس فى قنا فقد أكرمنى الله بالنقل منها بعد عام إلى مدينة منوف بالقرب من تلا بلدة زوجتى.

كانت الزوجة الصالحة السيدة زينب فى بداية زواجها لا تعترض على شىء ولا تعرف فى قاموس الكلمات سوى «أنت وما تشاء» اللى تشوفه تعمله، حتى قال لها الدكتور عبد الرحمن، إنه ينبغى أن يكون لك رأى وأن تعترضى كما تشائين على ما لا ترغبين فى فعله.

تروى السيدة زينب زوجة الدكتور عبد الرحمن ذلك قائلة:

كنت فى البداية أفهم أن رضا الزوج فى الطاعة العمياء، إذا سألنى شيئا أقول له، افعل ما تراه فقال لى.. إننى أحب أن يكون لشريكة حياتى رأى، فالطاعة المطلقة تجعل الزوج يشعر أنه لم يتزوج وبالفعل أصبح لى رأى فى كل الأمور التى تعترضنا.

يتصورون العكس!

ويعلق الدكتور عبد الرحمن العدوى على ذلك قائلا: إن الشباب فى هذه الأيام يتصورون أنه ينبغى على الزوج أن تطيعه زوجته طاعة عمياء دون أى اعتراض، وهذا فى رأيى خطأ كبير، لأن الزوجة لها شخصيتها ولها رأيها، والرسول ﷺ استشار أم سلمة وكانت مشورتها خيرا وبركة، فعندما كان صلح الحديبية أمر الصحابة أن ينحروا وأن يحلقوا رؤوسهم، فتلكأوا وعز عليهم ذلك، فدخل النبى ﷺ إلى أم سلمة وقال: هلك الناس، أمرتهم ولم يأتمروا فقالت له اخرج إليهم ولا تحدث أحدا منهم واطلب حالقك وانحر هديك، ففعل ذلك فاقتدى به الصحابة.

احترام الزوجة

ويؤكد الدكتور عبد الرحمن العدوى أن الزوج الذى يريد أن يعيش حياته سعيدا ومطمئنا ينبغى أن يعطى لزوجته الحق فى إبداء الرأى والمناقشة، وأن يحرص على أن يتفاهم معها دائما بالمودة والرحمة، ولا يستخدم الصوت العالى ليخيفها، ولا يجبرها على أن تفعل شيئا لا ترغبه ولا تقتنع به، من هنا يستطيع الزوج أن يكسب احترام زوجته ويبنى أسرة سليمة.

وقد سلك الدكتور عبد الرحمن العدوى مع أزواج بناته سلوك والد زوجته معه، وفى ذلك يقول الدكتور عبد الحكيم زوج ابنته الكبرى الدكتوره رقية، وهما يعيشان فى أبو ظبى:

لم يكلفنى الدكتور عبد الرحمن شيئا فى زواجى، بل قال لى نحن نختار لابنتنا رجلا ذا خلق ودين، وقد تزوجتها وهى فى السنة النهائية بكلية الطب وحصلت أثناء زواجنا على درجة الماجستير والدكتوراة.

التوجيه السحرى

والابنة الثانية للدكتور عبد الرحمن هى إكرام مسئولة العلاقات العامة بجامعة عين شمس وهى خريجة كلية الدراسات الإسلامية قسم علم النفس وتقوم بإعداد رسالة دكتوراه عن الطفولة، وساهمت منذ أن كانت طالبة فى العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية كما كانت عضوا فى التنظيم النسائى.. تقول إكرام: كان أبى يشجعنى على هذا النشاط ولم يحاول أن يحد منه، ولكنه كان يوجهنى توجيها غير مباشر، أسميه التوجيه السحرى.. فقد اعتدنا أن نجتمع جميعا على وجبة الغداء وعلى الرغم من أنه كان يعود من العمل مرهقا، إلا أنه كان يحرص على الاستماع لكل واحد منا يحكى له ما يشاء وما حدث له فى يومه فكان يعلق ويوجهنا بأسلوب غير مباشر.

بعيدا عن الخداع

كان زواج بنات الدكتور عبد الرحمن العدوى كلهن وهن خمس بنات زواجا تقليديا وهن جميعا يقتنعن بذلك، ويقول الدكتور عبد الرحمن العدوى فى ذلك: إن معرفة الزوج خارج محيط الأسرة قد تؤدى إلى خداع الفتاة أو خداع الفتى، فقد يظهر بغير حقيقته فى مظهر خداع، أما التعارف فى محيط الأسرة فينتفى معه هذا الخداع، لأنه يعرف بمن يتزوج وهى تعرف بمن تتزوج، وقديما كان يتم زواج الفتاة من أجل أبيها وأمها للارتباط بأسرة طيبة ذات سمعة طيبة، وقد أثبتت الأيام أن الزيجات التى نشأت بهذا الأسلوب هى التى استمرت واستقرت أما الزيجات التى نشأت فى عرض الشارع بالتقابل بين الفتى والفتاة، وكل منهما يحاول أن يظهر للآخر بغير حقيقته فقد فشلت، لأنه بعد الزواج يظهر الجانب الخفى لكل منهما فتحدث التناقضات والمشاكل.

أكذوبة كبرى

ويؤكد الدكتور عبد الرحمن العدوى. . أن ما يتردد على ألسنة الشباب من أنه لابد وأن يكون الزواج عن حب، ما هو إلا أكذوبة كبرى، كانت ولا تزال سببا فى كثير من المشاكل التى نراها فى محاكم الأحوال الشخصية لأن كلمة الحب هذه فى حقيقتها ليست إلا اشتهاء الشاب للفتاة واشتهاءها له، وعندما يتم الزواج ينتفى الهدف الأول وتظهر العناصر الذاتية من الأخلاق والسلوكيات وبالتالى تبدأ التناقضات والخلافات، ولذا فالرسول ﷺ يقدم لكل شاب وفتاة النصيحة العظيمة قائلا: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» ويقول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفسادا» فالفتنة فى الأرض سببها الآن أنه عندما يتقدم شاب ذو دين وخلق ليتزوج فتاة ترفضه الأسرة ويفضلون عليه صاحب المال ظنا بأنه سيسعد ابنتهم بماله، وينطفىء بريق المال وتبقى الأخلاق والسلوكيات.

يعلق الدكتور عبد الحكيم زوج الابنة الكبرى قائلا: ذهب رجل إلى أحد الخلفاء الراشدين وقال له: جاءنى رجل يريد أن يتزوج ابنتى، فقال له: أهو على دين؟. . قال: نعم. . فقال: زَوِّجْها إياه، فإنه إن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

وقد كان ولا يزال الدكتور عبد الرحمن العدوى يتعامل بهذا المنطق مع زوجته فهى تقول عنه إنه نعم الزوج. . وكثيرا ما قدم لها يد المساعدة، وإذا وجدها غير قادرة على إعداد الطعام لم يغضب، بل يسرع إلى الثلاجة بحثا عن أى طعام ليعده بنفسه دون أن يرهقها، وإذا أسهدها بكاء الصغير، تولى عنها السهر به حتى أذان الفجر حتى تنال قسطا وافرا من النوم، وقد أثر هذا السلوك الطيب فى أبنائه فالتزم ابنه الأكبر محمد بنفس السلوك مع زوجته.

ابنة العمة

بل إن محمدًا نهج أيضا نفس نهج والده فى الزواج. فقد طلب الزواج من ابنة عمته وهو لا يزال طالبا فى الكلية، وفى ذلك يقول والده: عندما طلب محمد أن

يتزوج ابنة عمته قلت لنفسى ولم لا مادام الله يسر لى الأسباب وهذا ابنى شابا يطلب أن يتزوج فيجب على شرعا أن أعفه وأحصنه ما دمت قادرا على الإنفاق عليه وعلى زوجته حتى يتخرج.

شفقة ورحمة

تقول إكرام الابنة الثانية للدكتور العدوى: لقد من الله على والدى بصفات كثيرة طيبة أهمها الشفقة والرحمة، فقد تعامل معنا بهذه الصفات واهتم بالمعنى دون المال.. فهو لم يسع أبدا لجمع المال، حتى عندما كان يرزقه الله بشىء من المال كان يسارع بتوزيعه علينا، وأنشأ بيتا جعل لكل واحد من أولاده شقة فيه، والدكتور عبد الرحمن العدوى اشترك مع مجموعة من كبار العلماء منهم الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى والدكتور الراوى فى إنشاء مشروع خيرى كبير فى مدينة نصر اسمة «دار ابن الأرقم» يضم مسجدا ومكتبا لتحفيظ القرآن ودار حضانة ومستشفى يقدم الخدمات الطبية بتخصصاتها المختلفة بسعر رمزى وكثيرا ما يقدمها مجانا، حتى الجراحات لذوى الحاجات.

المساواة فى الهبة

يميل الدكتور عبد الرحمن العدوى إلى المساواة بين أولاده الذكور والإناث فى كثير من الأمور خاصة فى الهبات والعطايا، فيقول: ينبغى أن يساوى المرء بين أولاده جميعا فى أثناء حياته عندما يريد أن يعطى هبة، فالرسول ﷺ قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.. والأولاد تعنى الذكر والأنثى أما فى حالة المواريث فالتركة تقسم طبقا لشرع الله وهو عادل أتم العدل، لأنه عندما يعطى للذكر ضعف الأنثى يرتب على الذكر مسئوليات لا يرتبها على الأنثى، فالرجل إذا أراد أن يتزوج هو الذى يدفع المهر، والمهر تأخذه الأنثى وتحتفظ به بنص القرآن الذى يقول «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة» وكلمة نحلة تعنى هدية، كما يقول: «وإذا أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا» فمهر الزوجة وصداقها حق خالص لها.

تعلق إكرام على ذلك قائلة: لو أعطى المجتمع المرأة حقوقها التى شرعها لها الإسلام لأصبحت أسعد امرأة فى العالم.

عمر والإنترنت

الابن الأصغر للدكتور عبد الرحمن العدوى هو عمر طالب فى السنة الثالثة بكلية هندسة الأزهر، حفظ القرآن كله منذ الصغر وهوايته استخدام الكمبيوتر والدخول إلى شبكة المعلومات الدولية (إنترنت).

يقول: استخدام الإنترنت له فوائده ومضاره، مثل كل شىء نستخدمه فى حياتنا له جانب إيجابى وآخر سلبى، والأمر فى النهاية يتوقف على من يستخدم هذه الأشياء.

ويؤكد عمر عبد الرحمن العدوى أن هناك مواقع كثيرة إسلامية على شبكة الإنترنت منها موقع الأزهر ودار الإفتاء وبها معلومات غزيرة بالإضافة إلى أحدث ما صدر من كتب ومؤلفات فى مجال الهندسة المدنية.

أسأله.. هل هناك أمل فى أن تعود العمارة الإسلامية إلى عمارة هذه الأيام؟

فيجيب.. العمارة الإسلامية مكلفة ولذا فمن الممكن استخدامها فى المساجد والمنشآت ذات الطابع الخاص، أما بالنسبة للمساكن فالأمر صعب.. ومع زيادة عدد السكان لم يعد هناك اهتمام بالشكل الجمالى، فغاية ما يحلم به أى شاب هو أن يحصل على شقة متواضعة ليتزوج فيها ويبدأ حياتَه.

محمد.. والتدريس

ولأن محمد عبد الرحمن العدوى هو صورة مصغرة من والده، فقد بدأ حياته هو الآخر مدرسا فى المعاهد الأزهرية، ولكنه وجد صعوبة إزاء أخلاقيات طلاب هذه الأيام وصعوبة التوفيق بين مهنة التدريس وتوفير عمل إضافى، إذ إن مدرس الأزهر لا يعطى دروسا خصوصية، لذا فدخله أقل من زميله فى التعليم العام، لذا ترك محمد مهنة التدريس وعمل بمجمع البحوث الإسلامية فى إدارة الشرائط واكتفى بالتدريس لأبنائه. فكفاهم بذلك شر الدروس الخصوصية.

تقول زوجته السيدة مديحة مسئولة أغذية بمدينة الأزهر للطالبات: لم يحتج أحد من أولادنا للدروس الخصوصية فقد قام والدهم بهذا العبء بمساعدة منى.

أسأل محمد عبد الرحمن العدوى.. هل يقوم المجمع بدور مؤثر فى القضاء على ظاهرة الشرائط مجهولة الهوية التى نراها تباع على الأرصفة فيقول.. إن أى شريط يعرض على المجمع يقوم أساتذة متخصصون من كليات الفقه وأصول الدين والدعوة بمراجعتها فإذا وجدوا أى مخالفة يطلب من صاحب الشريط تصحيحها.

أو تبلغ وزارة الداخلية لمصادرة الشرائط المخالفة.

سحر.. والدروس الخصوصية

ترفض سحر الابنة الثالثة للدكتورة عبد الرحمن العدوى أن تعطى دروسا خصوصية على الرغم من مهارتها فى تدريس مادة الرياضيات قائلة: إذا لم يفهم الطالب منى فى الفصل، فلن يستطيع أن يفهم فى الدرس الخاص، مؤكدة أن من يلتفت لها فى الفصل لن يحتاج إلى دروس خصوصية.

تعلق الأم السيدة/ زينب.. لقد كان أولادنا يرفضون تماما منذ الصغر فكرة الدروس الخصوصية.. وفى الواقع لم يكونوا فى حاجة إليها لأن الدكتور عبد الرحمن العدوى كان يجمعهم وقت المذاكرة فى مكان واحد ويقدم المساعدة لكل من يحتاجها منهم، حتى عندما عمل مديرا للمساجد فى وزارة الأوقاف.. وكان فى ذلك الوقت يخرج قبل الفجر للمرور على المساجد والاطمئنان إلى وجود الأئمة وقت الصلاة، وكان يقضى أغلب اليوم فى العمل، ولم يقصر فى مساعدة الأولاد، فقد كانوا يتصلون به تليفونيا لسؤاله عن كل ما يقف أمامهم من عقبات أثناء المذاكرة.





تحملتُ فى صباىَ مالا يستطيع أن يتحمله البشر

الشيخ أبو العينين شعيشع

الشيخ أبو العينين شعيشع فى بيته

لم يَحْظَ الشيخ أبو العينين شعيشع ـ نقيب القُرّاء، وأعرق مَن تبقى من قراء كتاب الله العزيز ـ لم يحظ بطفولة سعيدة.. ففى الوقت الذى كان فيه أقرانه يلعبون ويمرحون، كان هو يتحمل عبء إطْعام أسرة مكونة من ١٢ فردا هم إخوته وأخواته الذين تركهم له والده وهو لا يزال طفلا صغيرا لم يتعدَّ التاسعة من عمره.. ولهذا ترك المدرسة والتحق بالكُتّاب متفرغا لحفظ القرآن الكريم. وقد كان القرآن أحبَّ شىء إلى قلبه؛ ولذا فقد سَعِدَ بنصح أقاربه له بحفظ كتاب الله وترتيله لما يتمتع به من صوت جميل جعل الجميع يهتفون لسماعه ويسعون إليه. ومن ذلك الوقت بدأت رحلة الشيخ أبو العينين شعيشع مع القرآن.. وهى رحلة تَحَمَّلَ فيها الشيخُ كثيرا من المعاناة والتعب فى صباه، ولكنها كُلِّلَتْ فى كبره بمزيد من السعادة والهناء والتقدير.

ولد الشيخ أبو العينين شعيشع عام ١٩٢٢ فى مدينة بِيَلا بمحافظة كفر الشيخ؛ وكانت أسرته متواضعة الحال، يعمل عائلُها موظفا بسيطا فى هندسة الرى ببيلا.. وشاء القدَر أن يموت هذا العائل ليُلْقِىَ عبءُ رعاية الأسرة على ابنه الصغير أبى العينين.. وفى ذلك يحدثنا الشيخ قائلا:

تحملتُ فى صباىَ مالم يتحمله بشر، لأننى بعدما جئتُ إلى هذه الدنيا بتسع سنوات توفى والدى، ووجدتُنى ـ وأنا الطفل الصغير ـ مسئولا عن رعاية ١٢ أخا وأختا.. والغريب أننى كنت أصغرَهم، لكن إرادة الله شاءت أن أكون أنا المسئول عنهم.. وقد جاءت هذه المسئولية عن طريق القرآن الكريم.

أسفل الدكة

كان والد الشيخ أبو العينين شعيشع يتمنى أن يكون ابنه ضابطا فى الجيش ولذا أدخله مدرسة ابتدائية. . ولكن الشيخ أبو العينين كان يتمنى فى نفسه شيئا آخر. ويحكى لنا ويقول:

كنت أميل منذ صغرى للعلوم الدينية وكنت وأنا فى عمر خمس أو ست سنوات أذهب إلى الليالى التى يقرأ فيها المشايخ فأجلس أسفل الدكة العالية التى يجلس عليها القارئ وأستمع إليه وأنا تحت رجليه جالس على الأرض، حتى يغلبنى النوم. . والقرآن فى أذنى وفى دمى، وبعد وفاة والدى. . كان لابد أن يكون هناك شخص مسئول عن إطعام هذه الأسرة وقد كان لدى سبع شقيقات وثلاثة أشقاء، وقبل وفاة والدى كان أهل البلدة كلما أقاموا حفلاً يرغبون فيه أن يستمعوا إلى القرآن جاءوا إلىّ ليسمعونى على الرغم من أننى لم أكن حفظت القرآن بعد، باستثناء ماهو مقرر علىّ فى المدرسة الابتدائية، فكانوا يعجبون بصوتى. . ولذا عندما توفى والدى نصحوا والدتى بإدخالى الكتاب خاصة وأننى كنت أتمنى ذلك. . وأكرمنى الله فحفظت القرآن كله ترتيلاً وتجويداً فى عامين فقط على يد واحد من أحسن المحفظين هو الشيخ يوسف شتا، وكان سيدنا عندما يرغب فى إكرامى وإراحتى من الحفظ يجعلنى أحمل ابنه إبراهيم، ومنذ عامين فوجئت وأنا فى السفارة الإيرانية برجل يأتى إلىّ مصافحا باشتياق ويقول لى إنه إبراهيم الدسوقى شتا ابن الشيخ يوسف شتا، ذلك الطفل الذى كنت أحمله صغيرا، وكان يدرس اللغات الفارسية فى كلية الآداب.

٥٠ قرشا

خلال العامين اللذين حفظ فيهما الشيخ أبو العينين شعيشع القرآن تنازل عن طفولته وأصبح عائلاً بدلا من أن يكون معالاً فقد كانت الأسرة تعانى ماديا ولابد من مساعدتها. . يقول الشيخ شعيشع:

بدأ الناس يطلبون سماعى وأنا مازلت أحفظ القرآن فى الكُتاب، فكنت أذهب

فى كل المناسبات وأقرأ حتى يبح صوتى مقابل خمسين قرشًا فى الليلة، وعندما بلغت سن الرابعة عشرة وكان ذلك عام ١٩٣٩ أقامت المنصورة احتفالا لذكرى شهداء الطلاب الذين قتلوا فى مظاهراتهم وجهادهم ضد الاستعمار، وكانت هناك ساحة كبيرة يقام فيها هذا الاحتفال، وعندما دخلت الحفل فوجئت بآلاف يحضرون الاحتفال.. ولم أكن معتادا على القراءة لأكثر من ثلاثمائة شخص، وأخذ بعض الطلاب يسخرون منى متعجبين، وقائلين.. أأنت الذى ستقرأ القرآن؟! فقد كان المقرئ فى ذلك الوقت رجلا كبيرا لا صبيا صغيرا، فجلست وقرأت.. «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» فإذا بالحفل كله يضج بأصوات الإعجاب والاستحسان، وإذا بالطلاب الذين كانوا يسخرون منى يحملوننى على الأعناق بعد انتهاء الحفل.

فى الإذاعة

بعد ذلك بثلاث سنوات.. دخل الشيخ أبو العينين شعيشع الإذاعة، فكان بذلك أصغر قارئ للقرآن على مستوى العالم. أما كيف دخل.. فلذلك قصة يرويها قائلا:

كنت فى بلدتى «بيلا» وتوفى واحد من كبار العلماء اسمه الشيخ الخضرى وكان لى قريب اسمه طه سلطان، وكان نسيبا للشيخ الخضرى، فذهبت معه كى نقدم التعازى وقرأت فى السرادق.. فوجدت أحد الشيوخ منبهرا بصوتى وأنا لا أعرفه، وأقبل علىّ بعد انتهائى من القراءة وأخذ يقبلنى وهو يقول: أحسنت يا شيخ أبو العينين، الحمد لله لقد سمعنا من سيكون خليفة للشيخ محمد رفعت. كان هذا الشيخ هو عبد الله عفيفى إمام الملك ومؤلف القصة النبوية الشريفة، وطلب منى ألا أعود إلى بيلا وأن أذهب إلى الإذاعة، وفى الإذاعة قال السيد باشا لطفى رئيس الإذاعة عندما رآنى: إنه لا يزال صغيرا، فرد عليه الشيخ عفيفى قائلا.. سوف تسمعه وترى، وأجروا لى اختبارا تركونى أقرأ فيه دون توقف وكنت أرى على وجوههم علامات الاستحسان وكان بينهم الأستاذ على خليل شيخ الإذاعيين متعه الله بالصحة.

الأول

كان الشيخ أبو العينين شعيشع ـ كما ذكرنا ـ أول قارئ صغير يدخل الإذاعة على مستوى العالم كله، وأول قارئ يسجل صوته على الأسطوانات فى عام ١٩٤٩، وأيضا أول قارئ يسافر خارج مصر، وهو لا يقرأ القرآن إلا برواية حفص عن عاصم وفى ذلك يقول:

إنها أيسر القراءات ويقول عنها الإمام الشاطبى: وحفص وبالإتقان كان مفضلا.

فلم يحدث أن استخدمت قراءات أخرى على الرغم من أن بعض القراء يلجأون إلى القراءات الأخرى لإبهار المستمعين، ولكننى والحمد لله كنت أجدهم منبهرين بقراءة حفص.

*** ما هو عدد القراءات؟**

** القراءات سبع لنافع وعاصم وابن كثير وابن عمرو البصرى وعبد الله الشامى بن عامر وحمزة والكسائى، وكل قراءة منها تقرأ بأسلوبين، وهناك ثلاث قراءات أخرى ليعقوب الخضرى، وأبو جعفر المدنى وخلف العاشر وقد أتت إلينا هذه القراءات متواترة عن النبى ﷺ بعد أن أملاها عليه جبريل عليه السلام، فجميعها من عند الله سبحانه وتعالى، وهناك أربع قراءات شواذ.

فى يافا

بعد دخول الشيخ أبو العينين شعيشع الإذاعة بعام واحد وبالتحديد عام ١٩٤٠ فتح قسم عربى بإذاعة لندن فطلبوا من الشيخ أن يسافر إلى فلسطين ليقرأ فى هذه الإذاعة.. وطلب أصحاب الإذاعة وهم الإنجليز من الدكتور طه حسين أن يرشح لهم مذيعًا معى.. فاختار لهم سامى داود وكان مسيحيا ومذيعا جيدا.

يقول الشيخ أبو العينين: أذكر أن سامى كان يدخل الحمام، ويجرب صوته قائلا: هنا إذاعة الشرق الأدنى.. نقدم لكم المقرئ أبو العينين شعيشع.

فى ذلك الوقت كان عمرى ١٨ سنة وكنت شديد التعلق بوالدتى بعد وفاة

والدى، فلم يمض شهر حتى بدأت أشتاق إلى رؤيتها، فطلبت من مدير الإذاعة وكان مستشرقًا إنجليزيًا اسمه شمس الدين مارساك، أن أسافر لرؤية والدتى فرد قائلا.. معلوم معلوم.. ولم يفعل شيئا، وكررت الطلب عدة مرات دون جدوى، فأصابنى حزن شديد، وحكيت ذلك لصديق لى من أعيان يافا اسمه يوسف بك بامية، فقال لى: لا تحزن سوف أسفرك، وبالفعل استطاع أن يحضر أوراقى من الهجرة وأن يسفرنى، حتى أننى فى الليلة التى وصلت فيها إلى بيتنا بالعباسية سمعت الراديو يقول: نحن الآن فى انتظار المقرئ الكبير محمد أبو العينين شعيشع، وهم لا يعلمون أن المقرئ الكبير فى القاهرة واضطروا أن يضعوا موسيقى، إذ لم تكن هناك تسجيلات فى ذلك الوقت.. وقد بلغنى بعد ذلك أنهم ذهبوا يبحثون عنى فى كل مكان دون جدوى، وقررت عدم العودة، حتى فوجئت فى أحد الأيام بمدير الإذاعة مارساك يدخل علىّ ويطلب منى أن يتناول الغداء معنا، ويأكل الملوخية، وعلى الغداء قال لى.. لماذا لم تقل لى إنك تريد العودة إلى مصر لترى والدتك؟ فقلت له لقد قلت لك ذلك مرارا وتكرارا فاعتذر وقال إنه لن يفعل ذلك ثانية.

أين ذهب الإنشاد الدينى؟

كان فضيلة الشيخ أبو العينين شعيشع وهو صغير من عشاق سماع القرآن بصوت الشيخ محمد رفعت، ويقول عنه:

إننى أحبه لأن قراءاته تمتاز بالخشوع والإحساس فالقارئ الذى يفتقد الإحساس فى الأداء يصبح كالببغاء.. كما كنت أعشق الشيخ علـى محمـود من بـين المنشدين، وبعده الشيخ طه الفشنى.. وكان صوته من أجمل الأصوات فى الإنشاد الدينى.

*** أين ذهب الإنشاد الدينى؟**

** الإنشاد الدينى بالمفهوم القديم غير موجود الآن، وإنما الموجود هو مجرد

ابتهالات، أما الإنشاد الدينى فيوجد فى سوريا الآن. وعن أسباب تراجع الإنشاد الدينى يقول الشيخ أبو العينين:

إننى يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى. . فقد وجد أبناء هذا الفن أن الابتهالات أيسر، فهم لا يريدون أن تعمل وراءهم بطانة، ولذلك لم نعد نخرّج قراء على مستوى عال كما كان يحدث قديما بسبب تراجع فن الإنشاد الدينى.

ويضيف: إن التواشيح الدينية هى أساس الموسيقى فى مصر، فالذى لا يدرسها لا يستطيع أن يكون مقرئًا أو موسيقيًا، ولذلك تجد أن الذين نبغوا فى الغناء هم أم كلثوم وعبد الوهاب لأنهم اهتموا فى صغرهم بالتواشيح الدينية والقرآن، ويؤكد الشيخ أبو العينين: إنه لو استطعنا أن نعيد الإنشاد الدينى إلى عرشه القديم سوف نخرّج قراء للقرآن يستطيعون أن يصلوا إلى مكانة العمالقة القدماء.

جنيه واحد!!

تشغل نقابة القراء كل وقت الشيخ أبو العينين شعيشع بعد أن تولى منصب النقيب منذ سبع سنوات واستطاع أن يجاهد حتى يرفع أجر القراء ويجعل لهم معاشا، وفى ذلك يقول:

كان القارئ يأخذ جنيهًا واحدا فقط فى السهرة مقابل قراءته فى عمر مكرم. . الآن والحمد لله نتيجة لاستجابة وزارة الأوقاف خاصة الدكتور محمد على محجوب والدكتور محمود حمدى زقزوق استطعنا أن نرفع هذا الأجر إلى ٤٠ جنيهًا فى الشهر، كما كنت والحمد لله أول من أخرج معاشا للقراء من النقابة، فعندما استلمت النقابة بعد وفاة الشيخ عبد الباسط - عليه رحمة الله - وجدتهم يتخوفون من إخراج معاش للقراء حتى لا تنفد الموارد فاستطعت أن أحصل على إعانة من وزارة الأوقاف تبلغ ٥٠ ألف جنيه وأخرجت معاشا للقراء يبلغ ١٥ جنيها فى الشهر وقد طلبت من الدكتور زقزوق وزير الأوقاف أن يرفع الإعانة إلى مائة ألف جنيه حتى أستطيع أن أضاعف المعاش للقراء ليكون ٣٠ بدلا من ١٥ .

أنواط و أوسمة

حصل الشيخ أبو العينين شعيشع على كثير من الأنواط والأوسمة منها على سبيل المثال وسام الرافدين من الدرجة الأولى وقد حصل عليه من الملك فيصل عندما ذهب ليقرأ فى مأتم والدته، ووسام الاستحقاق من الرئيس السورى شكرى القوتلى ووسام الأرز من لبنان ونوط الامتياز من الطبقة الأولى الذى منحه له الرئيس حسنى مبارك وهو أكثر ما يعتز به، كما حصل على أوسمة من تركيا والصومال.

فى السيدة زينب فقط

أخذ الشيخ أبو العينين شعيشع على نفسه عهدا أمام الله ألا يقرأ القرآن إلا فى مسجد السيدة زينب كل يوم جمعة حتى ولو عرض عليه آلاف الجنيهات، وبالفعل عرض عليه الدكتور أحمد نعينع أن يقرأ فى أحد المآتم مقابل عشرة آلاف جنيه فرفض.

ولقراءته فى مسجد السيدة زينب قصة.. يرويها لنا الشيخ قائلا:

فى الزمن الماضى كنت أقرأ فى عمر مكرم، ولما توفى الشيخ على محمود وكان يقرأ يوم الجمعة فى مسجد سيدنا الحسين، أرسل لى وزير الأوقاف آنذاك وطلب منى أن أقرأ فى الحسين، واعتبرت ذلك شرفا كبيرا لى. فلما عدتُ إلى المنزل، جاء الشيخ محمد الصيفى لزيارتى، وكنتُ أحبه حبا شديدا وأعتبره والدى وكان من أكثر القراء التزاما بأحكام التجويد، وقال لى: هل صحيح أنك تريد أن تقرأ فى سيدنا الحسين، أيكون أبوك - يقصد نفسه - موجوداً وتقرأ بدلا منه.. فأخذته من يده وذهبنا إلى وزير الأوقاف وقلت له إننى أتنازل عن القراءة فى مسجد سيدنا الحسين لوالدى الشيخ محمد الصيفى، ومنذ ذلك اليوم حدثت لى أحداث كثيرة جعلتنى أشعر أن أهل البيت قد غضبوا علىّ حتى كان عام ١٩٩٠ حين ذهبت لعقد قران أحد أبناء الأسرة وكان قد تزوج ابنة الوزير الدكتور محمود الشريف وهناك قابلنى الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف السابق وقال لى: أريدك

أن تقرأ فى مسجد السيدة زينب وكان ذلك بعد وفاة الشيخ إبراهيم الشعشاعى، ومنذ ذلك الوقت وأنا لا أقرأ إلا عند السيدة زينب.

مع الخامئنى

تربط الشيخ أبو العينين شعيشع علاقة صداقة طيبة بالإمام الإيرانى على الخامئنى، الذى أعلن فى أكثر من مناسبة حبه الشديد لصوت الشيخ أبو العينين شعيشع، حتى أنه قال: لقد كنا فى أيام حكم الشاه مستهدفين نخشى الظهور ونتخفى خوفا من بطشه، وعندما كان يحضر الشيخ أبو العينين شعيشع ليقرأ القرآن.. كنت أتخفى وأقترب قدر المستطاع من المكان الذى يقرأ فيه حتى أستطيع سماع القرآن الكريم بصوته. ويقول الشيخ أبو العينين عن ذلك:

إن الإمام على الخامئنى يحرص على دعوتى فى كل عام إلى إيران لقراءة القرآن وهو يحبنى، وقد حملنى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر رسالة له يطلب منه فيها تغيير اسم الشارع الذى أطلق عليه اسم قاتل السادات.. وأنوى ذلك عند لقائى به إن شاء الله.

لا أوفيها حقها

توفيت زوجة الشيخ أبو العينين شعيشع منذ ثلاث سنوات ومازال يبكيها حتى الآن.. ويروى لنا قصة زواجه منها قائلا:

تأخرت فى الزواج حتى سنة ١٩٥١ بسبب مسئوليتى نحو أسرتى، فلم أتزوج حتى زوّجت أخواتى البنات جميعا، والحمد لله أصبح أولادهن الآن أساتذة فى الجامعة وأطباء، فقد أكرمنى الله فيهن وكانت تربطنا بأسرة زوجتى علاقة صداقة وجيرة، فكنا نتزاور ووجدت فيها العقل والحكمة، فتزوجتها، وقد نفعتنى فى حياتى حتى أننى لا أستطيع أن أوفيها حقها، لما قدمته لى.

ويضيف قائلا: كانت هذه السيدة الفاضلة تفهم ما أريده من نظرة عينى وكانت تأتى إلىّ فى الصباح وعلى وجهها ابتسامة رائعة هى أجمل ابتسامة رأيتها فى حياتى.. إننى مازلت أبكيها حتى الآن.. وقد عرض على البعض الزواج حتى

أجد من يخدمنى.. فرفضت وقلت لا يمكن أن أستبدلها بغيرها حتى ألقاها، فقد رأيت معها أسعد أيام حياتى وتحملت عنى الكثير، لأن مثلنا يمر بكثير من المشاكل، وتمر عليه أيام ضيق وأيام فرج، فكانت تجعل كل هذه الأيام تمر مر السحاب، حتى الذين ماتوا لى، كانت تخفف عنى فراقهم ولم أشعر بموتهم إلا بعد موتها.

محمد.. وطب العائلة

رزق الله الشيخ أبو العينين شعيشع ثلاثة أولاد هم الدكتور محمد حسام وهو أستاذ طب فى جامعة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية.. وكان قد سافر فى منحة دراسية بعد حصوله على بكالوريوس الطب من جامعة الأزهر، ودرس وتفوق هناك ثم تزوج واستقر، وقدم أبحاثًا كثيرة فى طب العائلة.. ويدرس هذه المادة فى جامعة لوس أنجلوس، وله طفلان آدم ورمزى. ويقول عنه الشيخ أبو العينين شعيشع:

يحرص محمد على الاتصال بى فى كل يوم سبت وكان قد مضت عليه سنوات دون أن يحضر إلى مصر، ثم عاد فجأة منذ ثلاث سنوات لزيارتى قبل أن تتوفى والدته بيومين فقط!

أما الابن الثانى للشيخ أبو العينين فهو المهندس محمود، ويعمل فى الائتمان الزراعى، وهو يتصف بالخجل الشديد والحساسية المفرطة كوالده، ولم يتزوج بعد.

أما الابنة الثالثة للشيخ أبى العينين فهى منى، خريجة جامعة الأزهر فى تخصص الترجمة الفورية، وتقول:

كان مجموع درجاتى يؤهلنى للالتحاق بأى كلية وأى جامعة، ولكننى فضلت الالتحاق بجامعة الأزهر حتى يتسنى لى دراسة العلوم الدينية.

ولمنى ثلاثة أولاد، هم: مصطفى ومعتز (وكلاهما فى المرحلة الإعدادية)، وماجد الذى لم يدخل التعليم بعد لحداثة سنه.. وعنه تقول:

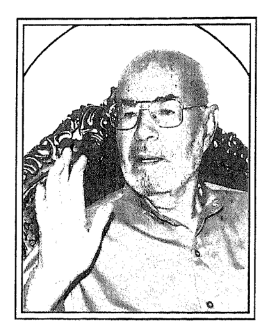
يحرص ماجد على الوقوف وراء والده ووراء جده فى الصلاة، ويحاول أن يتعلم من جده حفظ القرآن الكريم.

وباستثناء الدكتور محمد، فإن أولاد الشيخ أبى العينين يتسمون بالخجل الشديد، وكذلك أحفاده.. فقد ورثوا عنه هذه الصفة.

والشيخ أبو العينين بطبعه رقيق الطبع والحاشية، ولم يلجأ فى حياته إلى الشدة مع أحد، سواء مع إخوته أو أبنائه أو أى إنسان.. وفى ذلك يقول:

إننى لا أستطيع أن أرى دجاجةً تُذبح، ولا أستطيع كذلك مشاهدة خروف العيد وهو يُذبح، وأدخل حجرتى وأغلق على نفسى بالمفتاح حتى لا أرى ذلك.. وإذا ما رأيتُ حيوانا يعامَل بقسوة أبكى تأثرا عليه.. ولذلك فلم يحدث قَط أن ضربتُ أحد أولادى، وكانوا هم يقدروننى ويفهمون ما أريد من نظراتى دون حاجة للكلام أو الشدة!





عندما قدّم المراغي استقالته، خلعنا العمامة و «الكاكولة»

د. محمد نايل

د. محمد نايل فى بيته

قضى الدكتور محمد نايل ـ العالِم الأزهرى، وعضو مَجْمَع اللغة العربية ـ سنوات كثيرة من عمره فى العمل السياسى، أو ـ كما يقول ـ فى الشقاوة؛ فقد كان يرى فى الوفديين كثرة بلا فائدة، فانضم إلى أحمد حسين فى حزب مصر الفتاة، ثم تركه وانضم إلى الإخوان المسلمين، ووطد علاقته بالسعديين وبكتلة مكرم عبيد باشا.. ولكنه فى النهاية ـ وفى واقع الأمر ـ لم ينضم إلى حزب بعينه، ولم يمكث طويلا فى أى حزب حتى نستطيع أن ننسبه إليه.

وعندما اختلف الشيخ المراغى ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ مع الملك فاروق بسبب قانون تطوير الأزهر وقدم الشيخ المراغى استقالته، أشعل محمد نايل وزملاؤه نار الثورة، وخلعوا العمامة والكاكولة، ولم يرتدوهما إلا عندما أجبروا فاروق على عودة الشيخ المراغى.

وعندما قرر الدكتور الشيخ محمد نايل أن يتزوج، تم زواجُه فى سبعة أسابيع فقط، بعد أن وقع اختيارُه على السيدة تحية العمروسى ابنة محمد بك العمروسى مدير مصلحة المساحة آنَ ذاك.

عمرٌ طويلٌ مَدِيدٌ قضاه الشيخ نايل فى حركة دائبة؛ فهو صاحب رأى.. وصاحب موقف.

النخلة والنور

ولد الشيخ محمد نايل يوم ٢ يناير من عام ١٩٠٩ فى قرية دشلوط مركز ديروط بمحافظة أسيوط ـ وقد كانت السيدة والدته تشعر بحزن عميق قبل ولادته إذ مات لها سبعة ذكور قبله فخشيت على مولودها الثامن مما حدث لمن قبله من ذكور، فى ذلك الوقت، فشاهدت رؤيا رأت نفسها فيها تجلس بجوار نخلة كبيرة ذات فرعين وأعلاها نور، فأسرعت إلى الشيخ عبد الحافظ شيخ كتاب القرية تسأله أن يفسر لها هذه الرؤيا، فبشرها بأنها ستلد طفلا له شأن كبير وطلب منها أن تسميه «محمد» وقد كان، فأنجبت محمد الابن الذكر الثالث بعد سيد نايل وهو مزارع من الوجهاء والسفير خيرى نايل والذى توفى منذ عام.

منافسة فى الحفظ

تعلم الشيخ نايل القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فى كتاب الشيخ عبد الحافظ وأتم الحفظ وهو فى الحادية عشرة من عمره، وفى ذلك يقول:

أذكر أننى وزملائى فى الكتّاب كنا نتنافس فى حفظ القرآن فكان كل واحد منا يحفظ أكثر من ربع فى اليوم ويقول لزملائه إنه لم يحفظ سوى ربع.

وأراد والداه بعد ذلك أن يدخلاه الأزهر فقيل لهم إنه تم فتح معهد فى ديروط اسمه معهد القرشية مثل الأزهر تماما فى كل شىء وفى علومه ومناهجه، فقالت الوالدة، إذن يذهب إليه لأنه أقرب من أسيوط وحتى يستطيع أن يقضى معنا يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع، وبالفعل دخل الشيخ محمد نايل هذا المعهد، ولكنه اكتشف بعد انقضاء عام أنه معهد أهلى، فتركه والتحق بالسنة الثانية فى المعهد الأزهرى فى أسيوط وأتم الدراسة فيه حتى المرحلة الثانوية، ثم التحق بكلية اللغة العربية.

إلغاء درس الثلاثاء

ودارت الأيام وبدأت الحكومة تضيق على الإخوان المسلمين. وفى أحد الأيام

سار الشيخ محمد نايل فى ميدان الحلمية فوجده قد امتلأ عن آخره بشباب الإخوان فسألهم ماذا حدث، يروى لنا الشيخ نايل ذلك قائلا:

قالوا لى إن الحكومة قررت إلغاء درس الثلاثاء وهو درس الأستاذ حسن البنا، ووجدت الشرطة تقف على باب مقر الإخوان لا تسمح بدخول أحد أو خروج أحد، وكانوا يعرفوننى فسمحوا لى بالدخول، وفى الداخل وجدت حسن البنا يجلس مهموما، فلما رآنى قال: صدق رسول الله ﷺ إذا قال: «إنكم لتكثرون عند الفزع»!

فى ذلك الوقت كانت لى صلة وطيدة بحكومة السعديين، فاتصلت من مكتب حسن البنا بسكرتير النقراشى باشا وكان آنذاك وزيرا للداخلية، فأكد أنه لم يصدر أمرا بذلك وانفضت المشكلة.

فى ذلك الوقت أيقنت أن كثرة الإخوان المسلمين كثرة فاشلة لاخير فيها، إذ كيف يكونون بهذه الكثرة ويقفون عاجزين أمام عدد قليل من العسكر وهم قليلو الحيلة لايستطيعون أن يستجلوا الأمر.

وقد تسببت الاهتمامات السياسية للشيخ نايل فى تعطيله عن الدراسة، إذ أمضى فى الدراسات العليا سبع سنوات بدلا من ثلاث وكان من أبرز أدواره السياسية دوره فى الوقوف هو وطلاب الأزهر إلى جانب الشيخ المراغى فى موقفه مع الملك فاروق.

المراغى.. وفاروق

يقول الشيخ محمد نايل: فى عام ١٩٢٩ تولى الشيخ محمد مصطفى المراغى منصب شيخ الأزهر. ثم قام بإعداد مشروع قانون لإصلاح الأزهر يقلل من سلطة القصر على الأزهر الشريف، فلما ذهب القانون إلى القصر ليوافق الملك عليه، قال ذو الفقار باشا سكرتير الملك، للملك: الشيخ المراغى سحب سلطتك من على الأزهر، فغضب الملك وأعاد القانون إلى الشيخ المراغى دون موافقته، فلما وصل القانون إلى الشيخ المراغى وضعه فى مظروف، وكتب استقالته ووضعها فى

مظروف آخر، وقال للمرسال، بلغ جلالة الملك وقل له يأخذ أحد المظروفين، فإما المظروف الذى فيه القانون وإما المظروف الذى فيه استقالتى.

وبالطبع كبر على الملك أن يتحداه شيخ الأزهر فقبل استقالة الشيخ المراغى، وعين الشيخ أحمد الظواهرى بدلا منه.

وبالطبع غضب طلاب الأزهر غضبا شديدا خاصة وأن الشيخ الظواهرى قلل الرواتب، وتسبب الشيخ محمد نايل وبعض زملائه فى إيقاد شرارة الثورة.

الظواهرى.. والمصوِّر

يقول الشيخ نايل: كنت متجهًا فى الصباح وزميل لى إلى الأزهر، فوقع فى أيدينا جريدة الأهرام وقد نشر بها صورة للشيخ الظواهرى وهو يسلم على صدقى باشا، التقطها المصور وكأن شيخ الأزهر ينحنى ليقبل يد صدقى باشا، فغضب زميلى غضبا شديدا وألقى بالجريدة فى الأرض وقررت أنا وهو أن نخلع العمامة والكاكولة ونرتدى البدل ولا نعود للزى الأزهرى، وأنضم إلينا الكثيرون من طلاب الأزهر وأضربنا عن الدراسة، فألغت الحكومة الدراسة والامتحانات بل وفصلت منا خمسين كان منهم الشيخ الباقورى عليه رحمة الله، ولكننا لم نتراجع وكان لنا لجان تنفيذية فى كل محافظة، واحدة فى الزقازيق برئاسة الشيخ محمد متولى الشعراوى ولجنة فى طنطا برئاسة الشيخ محمد كامل الفقى، ولجنة فى الإسكندرية، برئاسة الشيخ عبد المنعم النمر ووصل بنا الأمر إلى مرحلة اليأس فقررنا أن نخرج الشيخ الظواهرى ونعيد الشيخ المراغى لمشيخة الأزهر بأى ثمن وأقسمنا على المصحف والخنجر والمسدس بأن نقطع خطوط السكك الحديدية فى حوالى ١٢ موقعا وأن من يفشى سر هذا القرار يقتل وبالفعل قمنا بشراء المواد الناسفة.

المراغى يعود

ولكن هل نفذ هذا القرار؟! يقول الشيخ محمد نايل:

كان معنا واحد اسمه الشيخ إمام خرج من الاجتماع وهو حزين ومتخوف من

مغبة هذا القرار الذى اتخذناه وذهب إلى قريب له فى بيت السودان، فلم يكن للسودان سفارة فى ذلك الوقت ولاحظ قريبه أنه مهموم وحزين فأخذ يسأله عن السبب حتى أخبره بخطتنا وأفشى له بسرنا، فما كان منه إلا أن أخبر رؤساءه الذين اتصلوا بالسفير البريطانى ورئيس الوزراء، وتدخل السفير البريطانى لدى الملك، إذ إنه من المستحيل عليهم أن يحموا خطوط السكك الحديدية فى طول البلاد وعرضها، وأذعن الملك مكرها وقرر أن يعيد الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر.

يضيف الشيخ نايل: كان الأستاذ خالد محمد خالد ـ رحمه الله ـ لديه صورة للملك وهو يوقع قرار عودة الشيخ المراغى، يبدو فيها وكأنه يبكى.

وعاد العلماء المفصولون، وأخذت التخصص وعملت فى الكلية مدرسا مدة أربع سنوات.

سبعة أسابيع!!

لم تستغرق قصة زواج الدكتور محمد نايل سوى سبعة أسابيع فقط. ففى عام ١٩٤٨ عندما كان فى سن الأربعين وبعد حصوله على درجة الدكتوراه وعمله بالكلية خمس سنوات، رشح له صديق له كريمة محمد بك العمروسى مدير المساحة آنذاك فأخذ الدكتور محمد نايل يلف ويدور حول فيلا العمروسى بك عسى أن يلمح طرف العروس فلم ير شيئا وأدرك أنهم أسرة شديدة المحافظة، فتقدم للزواج من السيدة تحية محمد العمروسى وفى أقل من سبعة أسابيع أتم الزواج، يقول الدكتور محمد نايل: عندما تقدمت لخطبتها وعرفوا أننى من رجال الأزهر، تخوفت والدتها بعض الشىء، إذ تصورت أننى شديد التزمت، وقام عمها وكان قاضيا بالسؤال عنى فى الأزهر فاطمأن إلى سيرتى ونصح والدها بإتمام الزواج، ويضيف ضاحكا.. عندما علمت والدتها أننى من رجال الأزهر كانت تقول.. هل هو من المشايخ الذين عندما يضحكون يقولون.. هق.. هق.. هق؟! فقد كانت تتصور أن المشايخ يضحكون بأسلوب خاص.

خمسمائة جنيه!

ولأن السيدة تحية محمد العمروسى كانت ابنة محمد بك العمروسى مدير المساحة وهى وظيفة تصل إلى درجة الوزير، دفع الدكتور محمد نايل مهرا كبيرا يقول عنه:

كان أكبر مهر يدفع فى ذلك الوقت فقد بلغ خمسمائة جنيه، واشتريت أيضا شبكة غالية.

كان والد السيدة تحية شديد التزمت فلم يدع بناته يكملن تعليمهن بعد المرحلة الثانوية ورفض إدخالهن الجامعة.. ولكنهن استعضن عن ذلك بالقراءة والاطلاع.. تقول السيدة تحية:

كأنما كان الله سبحانه وتعالى يهيئنى منذ الصغر للزواج من شيخ يهوى الأدب والشعر، فقد كنت منذ سن الثانية عشرة من عمرى أهوى القراءة فى الأدب والقصص، فقرأت فى الأدب العالمى وقصص عالمية وروايات الجيب التى كانت تتناسب مع من هم فى مثل سنى مثل مرتفعات وذرينج وروايات المنفلوطى، وكان لدى كشكول أسميه خواطر فتاة أجمع فيه ما يلفت نظرى من أقوال وأشعار من الكتب والصحف والمجلات.

يعلق الدكتور محمد نايل قائلا.. عندما تزوجتها كان معها كرتونة وضعت بها ما لايقل عن خمسمائة رواية.

أسأل السيدة تحية.. هل مازلت تحتفظين بهذه الهواية؟

فتجيب.. بعد الزواج انشغلت بتربية الأولاد، فقد أنجبت أربعة منهم فى أربع سنوات ولم يكن لدى وقت للقراءة، والآن أصبحت أهتم أكثر برعاية الأحفاد وقضاء الوقت معهم.

أولاد.. وأحفاد

أسفر زواج الدكتور محمد نايل من السيدة تحية العمروسى عن خمسة أولاد: ثلاث بنات وولدين وهم هدى حاصلة على ليسانس آداب من جامعة الأزهر

ولديها أربعة أولاد هم وسام ـ بكالوريوس تجارة ـ وأحمد طالب فى معهد اللغات وطالب فى الثانوية العامة ثم آية الله فى المرحلة الإعدادية.

ومنى أيضا خريجة آداب الأزهر ولديها أربعة أولاد أيضا هم مروة ليسانس آداب قسم إنجليزى وصفا فى نفس الكلية وشيماء فى الثانوية العامة ومحمد فى السنة الأولى الإبتدائية.

أما الابنة الثالثة للدكتور محمد نايل فهى أصغر الأولاد واسمها نهى لديها ثلاثة أولاد هم عمرو فى كلية التكنولوجيا فى العاشر من رمضان وآلاء فى السنة الثانية الثانوية ومحمد.. وللدكتور نايل ولدان هما المهندس أحمد نايل والمحاسب نايل محمد نايل.

ضد العمل

ويرفض الدكتور محمد نايل أن تعمل فتياته، ويقول: أنا ضد عمل المرأة فالفتاة خلقت لتكون ربة أسرة، ومهما بلغت أعلى المناصب وحصلت على أعلى الدرجات فهى فى النهاية ربة أسرة.

وعلى الرغم من ذلك شذت الابنة الوسطى «منى» عن هذه القاعدة واضطرت للعمل، أما لماذا؟ تقول الأم لأنها أرادت أن تقدم لابنتها فى مدرسة فاشترطت عليها إدارة المدرسة أن تعمل بمدرسة علم نفس واجتماع فى المدرسة حتى يقبلوا ابنتها فجاءت إلى والدها تستأذنه واضطرت للعمل من أجل ابنتها.

يقول الدكتور محمد نايل.. إذا اضطرت المرأة للعمل فلابد وأن يكون لديها سيارة حتى لا تتعرض لما يهين كرامتها ويسبب لها أية متاعب.

دبلومة فى الإعاقة

أما الابنة الصغرى للدكتور محمد نايل «نهى» فهى تفضل عدم العمل وتكرس كل وقتها لأولادها، ولأن ابنها الصغير محمد ولد بإعاقة ذهنية

التحقت بجمعية الحق فى الحياة لرعاية المعاقين، وحصلت منها على دبلومة حتى تستطيع رعاية ابنها.

لم تعان السيدة تحية العمروسى زوجة الدكتور محمد نايل كثيرا فى تربيه أولادها، ويقول:

لقد نشأوا جميعا فى بيئة أزهرية وجميعهم تخرجوا من الكليات الأزهرية وكانوا دائما يعيشون فى جو تسوده المودة والرحمة، فقد كنت ووالدهم نحرص على إسعادهم والترفيه عنهم فى نهاية كل أسبوع بالخروج معهم فى نزهة تروح عنهم.

ويقول الدكتور محمد نايل.. لم نستخدم مع أولادنا أسلوب الإكراه فى أى أمر ولكننا كانت مهمتنا هى زرع الأخلاق القويمة فى نفوسهم، فأسلوب الإكراه دائما ما يأتى بنتيجة عكسية.

عائلة نايل والسباحة

جميع أولاد وأحفاد الدكتور محمد نايل يهوون رياضة السباحة ويتقنونها، وفى ذلك يقول الدكتور محمد نايل:

تتحول بلدتنا عند الرى الصيفى إلى جزيرة تحوطها المياه من كل جانب، فكان لابد لنا من تعلم السباحة وكان من الطبيعى أن أعلمها لأولادى.

أسأله.. وهل تشجع ممارسة رياضة السباحة للبنات؟

فيجيب.. لم لا.. إن ممارسة الرياضة مطلوبة للبنات مثل الصبيان، المهم أن يرتدين الملابس المناسبة.

لِمَ لا؟!

تزوجت هدى محمد نايل وهى فى السنة الرابعة من الكلية وخطبت وهى فى الثانوية العامة وكانت أول فتاة تدخل الجامعة فى قريتها، ولاترى فى الزواج المبكر بأسا وتقول:

مادام الزوج مناسبا فلم لا.. وقد كان زوجى صبرى محمد قناوى ابن صديق والدى فقد كان والدى عميدا لكلية اللغة العربية ووالد زوجى الدكتور محمد قناوى عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، وقد تعلمت السيدة هدى من والدها حب القراءة.. وأيضا حب الصراحة وتقول:

لقد تعلمت من والدى قول كلمة الحق مهما كانت المخاطر، فقد نشأنا على أنه لا وسط بين الحق والباطل، إما أبيض وإما أسود.

ولأن الدكتور محمد نايل اتبع مع أولاده أسلوب التوجيه غير المباشر، اتبع أولاده نفس الأسلوب مع أولادهم، وفى ذلك تقول هدى نايل:

الصداقة بين الآباء والأبناء أمر مطلوب فبها يستطيع الوالدان أن يعرفا مايدور فى عقول أولادهم، وبها يستطيعان إسداء النصح لهم.

محاذير

أسألها.. هل تتركين أولادك يشاهدون الفيديو والتليفزيون؟

فتجيب.. نعم أتركهم ولكن هناك محاذير، فهناك الكثير من الانحرافات فى المجتمع، ومن واجبى كأم أن أحمى أولادى من هذه الانحرافات بالتوجيه السليم المستمد من شريعتنا وعاداتنا وتقاليدنا خاصة أننا جميعا من خريجى الأزهر الشريف ونشأنا على قيمه الدينية وسلوكياته الحميدة، لقد تعلم أولادنا منا إجلال واحترام الكبير.

وقد شجعت السيدة هدى أولادها على ممارسة الرياضة على الرغم من تفوقهم فابنتها الصغيرة آية الله بطلة السباحة فى نادى الشمس ونادى الزهور والابن الثانى يمارس لعبة كرة الماء وهو أيضا من المتفوقين وابنها أحمد ـ ليسانس آداب ـ يهوى القراءة ووجد فى مكتبة جده الزاد لإشباع هوايته وهو يقرأ فى كل شىء.

٢٠٪ نجاح!!

أما الابن الأول من الصبيان للدكتور محمد نايل فهو المهندس أحمد نايل تزوج من ابنة خالته وسافر بها إلى المملكة العربية السعودية، أسأله عن رأيه فى الزواج الذى يتم بعد التعارف بين الشاب والفتاة شهورا أو سنين، فيقول: أعتقد أنه أسلوب غير ناضج، فالمعرفة عن طريق الأهل والأسرة هى الأسلوب الأمثل للزواج، أما تلك الزيجات العصرية فمحكوم عليها بالفشل ولا ينجح منها أكثر من ٢٠٪ فقط وهى تترك آثارا نفسية سيئة على الفتاة وعلى الأولاد.

ويستطرد قائلا: هذا لا يمنع أن يرى شاب فى محيط العمل زميلة له ويعجب بها ويطلب يدها، لأنه فى مثل هذه السن يكون قد وصل إلى درجة عالية من الكفاءة والنضج.

الثقافة الدينية المفقودة

ويرى الأستاذ نايل محمد نايل الابن الثانى للدكتور محمد نايل أن خريج الأزهر أكثر انضباطا فى حياته بما استطاع أن يحصله فى الجامعة من ثقافة دينية، ويقول..

إن خريج الأزهر يدرس موادا دينية: قرآن كريم وأحاديث بالإضافة إلى الدراسات العلمية المناظرة للكليات الأخرى، وهذا بلاشك يمنح الطالب من الثقافة الدينية واللغوية ما يقيه ويقويه فى مواجهة التيارات الوافدة.

ويهوى الأستاذ نايل قراءة الشعر العربى القديم كما يقرأ فى السياسة والاقتصاد، كما يهوى مثل بقية أولاد الدكتور نايل ممارسة السباحة.

زواج مبكر

أما الابنة الأخيرة للدكتور نايل فهى حاصلة على ليسانس آداب قسم اجتماع، وزوجة للمهندس أحمد ابن الدكتور موسى لاشين شاهين أستاذ علوم الحديث والوكيل السابق لجامعة الأزهر.. وتقول:

تزوجت وأنا فى السنة الأولى بالجامعة، ولا أرى بأسا فى الزواج المبكر مادام العريس تتوفر فيه كل الشروط الطيبة وأهمها التدين والأسرة الطيبة.

وقد كانت نهى تهوى وهى طالبة العزف على آلة الأكورديون كما تهوى الرسم، الآن أصبح كل اهتمامها ينصب على رعاية أولادها، خاصة الابن الصغير محمد والذى يعانى من بعض الإعاقة الذهنية.. تقول نهى:

لقد عانيت كثيرا بعد مولد محمد، فلم تكن توجد مدرسة يمكن إلحاقه بها، ثم حصلت على دبلومة فى الإعاقة من جمعية حق الحياة، واستطعت مع مجموعة أخرى النضال حتى تكونت جمعية أخرى اسمها أصدقاء الغد المشرق. أدخلنا فيها أولادنا الذين يعانون من هذه الإعاقة، وهى جمعية على مستوى عال، وتقوم بدور كبير فى هذا الصدد.





عَلَّمتُ أولادى قولَ الحق، وحرية إبداء الرأى

الشيخ رزق حبة

الشيخ رزق حبة فى بيته

لم يحفظ الشيخ رزق خليل حبة - شيخ عموم المقارئ - القرآنَ الكريم حتى بلغ سن السابعة عشرة من عمره، ففى هذا العام (والذى يوافق عام ١٩٣٩) نزل بلدته - قرية كفر سليمان البحرى مركز شربين - القارئ الشهير الشيخ أبو العينين شعيشع، وكان يصغر الشيخ رزق حبة بسنتين أو ثلاث، وبدا وجيه المظهر، يرتدى طربوشا وجبة وقفطانا. .

فلما سمعه الشيخ رزق حبة يقرأ قولَه تعالى ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ويعيده أكثر من مرة، ورأى كيف انبهر به كبار البلد واحترموه رغم صغر سنه؛ سُرَّ بهذا المظهر، وقرر أن يحفظ القرآن. وبالفعل حفظه كله فى ثمانية أشهر فقط!!

ولد الشيخ رزق خليل حبة فى قرية كفر سليمان البحرى يوم ٢٨ أغسطس من عام ١٩١٧ وهى قرية تتبع مركز شربين بمحافظة الغربية قديما ثم صارت تابعة لمحافظة الدقهلية. . يقول الشيخ رزق خليل حبة، نشأت فى هذه القرية نشأة دينية بين أبوين صالحين. . ولم أدخل الكُتّاب، ولكننى دخلتُ المدرسة الأولية بالقرية، وتعلمتُ فيها العلوم الأساسية كالخط والحساب والإنشاء، إلى أن أتممتُ الدراسة بهذه المدرسة، وكنت فى نفس الوقت أتعلم صناعة النجارة بورشة النجارة التى كان يملكها والدى - عليه رحمة الله - وكان معى فى هذه المدرسة الدكتور فوزى السيد وكيل وزارة الصحة، والمهندس حسب الله الكفراوى ابن عمتى وكان أصغر منى فى السن، لم يكن لدى فكرة أو خاطر يدفعنى لحفظ القرآن الكريم، حتى

بلغت سن الـ ١٧ سنة، وكان الشيخ أبو العينين شعيشع المقرئ الشهير يصغرنى بسنتين أو ثلاث فقط فلما جاء إلى قريتنا كى يقرأ فى مأتم كبير، وكان ذلك فى عام ١٩٣٩، وجدته شابًا وجيها يرتدى الطربوش ويأخذ أجرًا جيدًا، فلما سمعناه يقرأ قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ويكرره أكثر من مرة، ورأيت كيف أن كبار القرية يحترمونه ويبجلونه رغم صغر سنه، أسرت وانبهرت بهذا المظهر، فعزمت على أن أقرأ القرآن بعد أن أتم حفظه كاملا وشجعنى على ذلك أننى كنت مقبلاً على التجنيد وكان من يحفظ القرآن الكريم كله فى ذلك الوقت يعفى من التجنيد، أو يدفع ٢٠ جنيها تصل إلى ٥٠ جنيها فى حالة التأخير، فقلت لنفسى، إننى أستطيع أن أحفظ القرآن الكريم كاملا دون حاجة إلى دفع ٢٠ أو ٥٠ جنيها، وذهبت إلى المرحوم الشيخ حسن أحمد سعيدة، وكان أشهر من يحفظ القرآن الكريم فى البلد، وقلت له أريد أن أحفظ القرآن يا شيخ حسن، فقال لى.. كيف، لا يمكن أن تحفظه فى هذه المدة القصيرة، إنك تحتاج أكثر من سنتين لتتم حفظ القرآن، فقلت له.. كم ربعا فى القرآن، فقال لى ٢٤٠ ربعا، قلت له، إننى أستطيع أن أحفظ فى كل يوم ربعا، قال لى.. هذا غير ممكن، قلت له.. سيكون ممكنا بإذن الله.

فى أعلى المسجد

وبالفعل استطاع الشيخ رزق خليل حبة أن يفى بوعده ويحفظ فى كل يوم ربعا من القرآن، وأصبح القرآن يشغل كل تفكيره وكل وقته، يقرأه قائما، قاعدا، ماشيا فى كل وقت وفى كل مكان.. يروى لنا الشيخ رزق ذكريات حفظه للقرآن الكريم قائلا..

حذرنى الشيخ حسن أحمد سعيده بأننى سأحتاج لتكراره وقراءته على أحد العلماء كى يصححه لى، فقلت له إننى سأقرأه وأصحح لنفسى، فقد كنت أهوى منذ الصغر حضور الليالى التى يقرأ فيها القرآن الكريم، فقد كان يأتى إلى القرية

الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ شفيق أبو شهبة، وكان هناك الكثير من القراء الذين كنت أهوى سماعهم، هذا السماع قرّب القرآن إلى ذهنى وجعل السور التى كانت تقرأ فى تلك الليالى حاضرة فى ذهنى، وبدأت حفظ القرآن وذهبت إلى والدى أطلب منه إعفائى من العمل معه فى ورشة النجارة، وكنت أصعد إلى أعلى المسجد وأختلى بنفسى فوق سطحه وأمسك المصحف ولأننى كنت ملما إلماما جيدا باللغة العربية كنت أعرف بالفطرة إذا أخطأت فى قراءة آية كما أن أذنى كانت تلتقط القراءات السليمة من مشاهير القراء، فكنت أقرأ السورة قراءة سليمة دون أن أعرف أحكام التجويد، وهذا يذكرنى بالشيخ عبد العظيم زاهر - رحمه الله - فعندما تقدم فى الإذاعة لنمتحنه فى أحكام التجويد، قال لنا، أنا لا أعرف أحكامًا، اسمعونى أقرأ واحكموا، هل قراءتى سليمة أم لا، وبالفعل كان يقرأ بالسليقة قراءة سليمة جيدة دون أخطاء.

ثمانية أشهر.. فقط

لم تمض فترة قليلة إلا وكان الشيخ رزق خليل حبة قد أتم حفظ ربع القرآن الكريم حتى قال له الشيخ حسن أحمد سعيدة متعجبًا، إنك بذلك ستصل إلى غايتك إن شاء الله، يقول الشيخ رزق خليل حبة:

وصل بى التعلق بالقرآن الكريم حدا بعيدا، فأصبح فى عقلى وفى نفسى، لا أذهب إلى أى مكان إلا ومعى المصحف، وكنت أحفظ فى كل يوم ربعا، حتى إذا وصلت إلى سورة مثل سورة يوسف التى نسمعها كثيرًا فى المآتم، حفظت منها ربعين وليس ربعًا واحدا، فلم يأت الشهر الثامن إلا وقد أتممت حفظ القرآن الكريم كله. وأذكر أن الشيخ حسن - عليه رحمة الله - طلب منى أن أقرأ عليه القرآن كله من جديد فقرأته عليه فى ثلاثة أيام، ثم جاءت إشارة التجنيد وذهبت إلى شربين، وكان هناك لواء اسمه أحمد كامل رئيس اللجنة المكلفة باختبارنا ومعه القاضى الشرعى والمأذون، وكنت قد مرضت بعد حفظى للقرآن الكريم بالحمى ولزمت الفراش مدة شهرين لا أخرج. فلما ذهبت إلى اللجنة وجدتهم يختبرون

أكثر من واحد فى اللجنة الواحدة، فطلبت من اللواء أحمد كامل أن يختبرنى بمفردى لأننى مريض وأريد أن أذهب إلى الطبيب فى المنصورة فوافق مشكوراً على ذلك.

الإعفاء.. فى الحال

على الرغم من مرض الشيخ رزق حبة والإعياء البادى عليه فى لجنة الامتحان طلب منه أن يختار سبع وريقات من سبعة أجولة مكتوب على كل ورقة منها اسم السورة التى سيمتحن فيها، يقول:

إننى أذكر أن أول ورقة كانت فى سورة النساء فقرأت السورة جيدا حتى ظن اللواء أننى أعرف مسبقا السور التى سأمتحن فيها، فاختار لى سوراً أخرى وكانت سورة يوسف وما بعدها وما قبلها، حتى أيقن تماما أننى أحفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا، سليما، فقال لى: اقرأ سورة الكوثر، وقم، وكان صوتى جميلاً فى القراءة فقد كنت أهوى قراءة القرآن، فقال لى.. مادمت أعطيتنا هذه المنحة، لا ندعك حتى ينتهى الامتحان، وإنما ستحصل حالا على الإعفاء.

وكان للشيخ رزق خليل حبة أخ يعمل مديرا لميزانية الأزهر والمعاهد عرف باسم الأستاذ حبة وقت أن كان الشيخ مصطفى المراغى شيخا للأزهر، سمع أنه ينوى حفظ القرآن الكريم بصوت جميل، فأرسل إليه كى يحضر إلى القاهرة ويقطن معه فى شقته الكائنة أمام جامع السلطان أبو العلا، وبالفعل ذهب الشيخ رزق إلى القاهرة، وعن ذلك يقول:

عندما ذهبت إلى أخى فى مصر التحقت بالقسم العام فى الأزهر الشريف، وكان يشرف على هذا القسم الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر - عليه رحمة الله - وتعلمت فى هذا القسم النحو والفقه واخترت المذهب الشافعى، وأثناء ذلك افتتح أول معهد للقراءات فى عام ١٩٤٥ فالتحقت به وحصلت على الشهادة العالية وتخصص القراءات من كلية اللغة العربية فقد كان المعهد تابعا لها وحصلت على الترتيب الأول على زملائى، وكانوا ثمانية فقط منهم الشيخ صادق قمحاوى

صاحب كتاب البرهان فى تجويد القرآن والدكتور محمد محيسن والشيخ إبراهيم عطوة، والشيخ عبد الرؤوف سالم، فلما تخرجت عينت فى نفس القسم بالكلية مدرسا على زملائى، ثم أكرمنى الله ورقيت إلى مدرس أول ثم مفتش على مستوى الجمهورية.

تفوق الشيخ رزق خليل حبة فى تدريس علم الفواصل ورسم المصحف وضبطه وما يتعلق به من وقف وابتداء، وأصبح - كما قلنا - مفتشا لعلوم التجويد والقراءات وما يتصل بها فى المعاهد الأزهرية الإعدادية والثانوية.

وفى عام ١٩٤٤ وبالتحديد فى شهر أبريل من ذلك العام عُين الشيخ رزق خليل حبة مقرئا فى الإذاعة وعن ذلك يقول: كنت فى ذلك الوقت أهوى قراءة القرآن الكريم بصوت جميل، فوافق محمد فتحى كبير المذيعين وعلى خليل - أمد الله فى عمره - وكيل الإذاعة على قراءتى للقرآن الكريم مدة نصف ساعة شهريا مقابل جنيه مصرى، ولكننى توقفت فى عام ١٩٥٤، عندما قال لى زملائى بالكلية، إنه لا يصح أن أكون مدرسا وأقرأ فى الإذاعة.

وقد عمل الشيخ رزق حبة وكيلا للجنة مراجعة المصحف منذ إنشائها فى عام ١٩٥١ وكان ذلك فى عهد الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر.. وكان المصحف يراجع قبل ذلك على يد بعض المشايخ ومنهم الشيخ خلف الحسينى شيخ المقارئ، ولم تكن هناك لجنة رسمية لمراجعته، حتى قام أحد أغنياء الخليج ويدعى الشربتلى بعمل تفسير للمصحف، راجعه الشيخ رزق حبة والشيخ عبد الفتاح القاضى فوجدا فيه أكثر من ألف خطأ أخرجوا بها كتابا، يقول الشيخ رزق حبة:

كان وزير الأوقاف فى ذلك الوقت هو الدكتور محمد البهى، فقال.. إن هذه النسخ خسارة كبيرة، ولذا عليكما بتصحيحها وبالفعل أصبحنا نصحح فى كل يوم مائة نسخة حتى ينتفع بهذه النسخ، بعدها تقرر إنشاء لجنة لمراجعة المصحف تتولى مراجعة ما يطبعه الأزهر أو أى مطبعة أو ما يرد إلينا من الخارج.

فى حاجة للمراجعة

*** سؤال.. هل مازلت وكيلا للجنة مراجعة المصحف؟**

- لقد تركت رئاسة هذه اللجنة منذ سنوات بسبب ما وجد فيها من انحراف أعلنته فى حينه، وفى هذه الأيام وصلتنى عدة شكاوى من الغيورين على القرآن الكريم يحملنى أصحابها المسئولية أمام الله عمّا يحدث من أخطاء أو إهمال فى طباعة بعض المصاحف والتسجيلات القرآنية الحديثة وقدموا إلىّ بعض هذه الأخطاء المتداولة. يضيف الشيخ رزق حبة.. إن المصحف فى حاجة إلى مراجعة لعلامات الوقف والوصل فهناك علامات للوقف أهملت وعلى سبيل المثال.. نجد فى سورة النحل.. «وقالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان»، إن الوقف على كلمة سليمان، وهذا خطأ والأولى أن يكون الوقف بعد كلمة نفسى، لأن الوصل هنا يوهم معنى فاسدًا فكأنها تقول: أنا ظلمت نفسى وكأنما هى ندمت على أنها أسلمت، وأيضا فى قوله تعالى «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله» سنجدهم يضعون على كلمة كبير (صلى) والأولى أن يوضع وقف بعد كلمة كبير، فلدينا قاعدة فى التجويد تقول.. إن الوقف اللازم هو الذى لو وصل بما بعده لأوهم معنى فاسدا أو لغيّر المعنى، ونجد أيضا فى مصحف الأزهر فى قولة تعالى «يا نساء النبى لستن كأحد من النساء.. إن اتقيتن» الوقف يوضع على كلمة إن اتقيتن.. وهذا خطأ فالأولى أن يوضع على كلمة النساء، لماذا؟! لأنه عندما أضع الوقف بعد كلمة إن اتقيتن فكأنى أقيد حالة وأقول إنهن لسن كأحد من النساء فى حالة التقوى فقط، وهذا غير صحيح فهن لسن كأحد من النساء فى حالة التقوى وفى حالة المعصية، ولذا فالوقف على النساء أولى.

شيخ عموم المقارئ

والشيخ رزق حبة شيخ عموم المقارئ منذ عام ١٩٩١ عندما كان الدكتور محمد على محجوب يتولى وزارة الأوقاف، ويقول عن ذلك:

هذا المنصب يعد منصبا علميا سعى إليه الكثيرون بعد وفاة الشيخ أحمد الحصرى، وقد اختارونى لتولى هذا المنصب ومازلت أتولاه حتى الآن، ولم تكن هناك لجنة للمقارئ فى عهد الدكتور زكريا البرى وإنما عدة مشايخ للمقارئ فقد كان هناك شيخ لمقارئ المقرئين وشيخ لمقارئ المصحف وهكذا.. ثم أصبح هناك شيخ واحد لعموم المقارئ.. وقد وصل عدد المقارئ الآن إلى ٦١٠ على مستوى الجمهورية.

أناسٌ صالحون

عندما فكر الشيخ رزق خليل حبة فى الزواج.. لم يبحث عن أصحاب المال والجاه، وإنما بحث عن أصحاب الأعمال الصالحات والسمعة الطيبة ولذا تزوج من ابنة أناس صالحين، ابنة عالم صالح كان يعمل مدرسا فى معهد أزهرى، فى بلدته كفر سليمان، وقد أسفر هذا الزواج عن ولد وأربع بنات.. هم كما يقول الشيخ رزق حبة..

لى ولد اسمه محمد متخرج من كلية تربية الأزهر ويعمل مدرسا بالكويت ويطلقون عليه هناك اسم ابن الإمام.. أما البنات فهن.. نادية ويعمل زوجها أستاذًا بجامعة الزقازيق وهى أيضا متخرجة من بنات الأزهر، وسناء وتعمل مدرسة فى معهد فتيات الخلفاء الراشدين وهى متخرجة من تجارة عين شمس، وإلهام وهى متزوجة من مهندس كمبيوتر يعمل فى الإمارات، وإيمان خريجة كلية بنات جامعة عين شمس قسم لغة إنجليزية، وقد عملت مدرسة ثم سافرت مع زوجها إلى إنجلترا.

سؤال.. هل حفظوا جميعًا القرآن الكريم على يديك؟

- حفظ القرآن منحة من عند الله سبحانه وتعالى، إذا أراد أن يعطيها لأحد سوف يحصل عليها، ولقد حفظ أولادى أجزاء من القرآن الكريم وليس كله.

ولم أكن متشددا معهم فى يوم من الأيام ولكننى أنشأتهم على القيم والمبادئ الطيبة كما أننى أنشأتهم على الشجاعة وحرية إبداء الرأى، وعلى سبيل المثال..

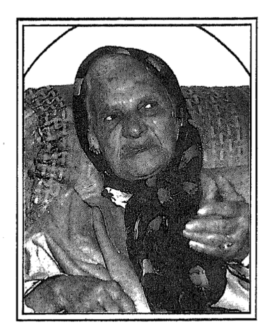
فإن ابنتى إيمان عندما عملت مدرسة، وجدت سلبيات كثيرة لم تستطع أن تقف أمامها مكتوفة اليدين، فقالت رأيها بصراحة.

الهدوء والتواضع

وكما تعلم أولاد الشيخ رزق حبة منه الشجاعة فى إبداء الرأى وقول الحق، تعلموا من أمهم الهدوء الشديد والتواضع، فهى كما تقول ابنته سناء شديدة الطيبة والتواضع، لدرجة أنها تصدق كل ما يقال لها، وقد أثر ذلك على نشأتنا، فقد كنا نتصور أن جميع الناس مثل والدى لا يقولون إلا الحق، وجميع الناس طيبون جدا مثل والدتى.

أما الأم فتقول: إننى لم أواجه صعوبات كبيرة فى تنشئة أولادى، فقد كانوا مطيعين لى ولوالدهم، يحترمونه ويقدرون مكانته العلمية والدينية فكانوا يحرصون على هذه المكانة ولا يفعلون ما يغضبه أو يمس مكانتَه العلمية، ولم يتوانَ هو فى المقابل عن تقديم كل مساعدة يحتاجونها فى المذاكرة، سواءً كانت منه أو من غيره.. فقد كان يتفانى فى سبيل مساعدتهم لإكمال دراساتهم حتى ولو كلفه ذلك آلاف الجنيهات.





وهبتُ نفسى لفعل الخير،

فأكرمنى الله فى أولادى.

د. زهيرة عابدين

د. زهيرة عابدين فى بيتها

بعد تخرجها فى كلية الطب وحصولها على دبلوم التخصص فى طب الأطفال لم يقف طموحها عند هذا الحد. وأرادت أن تحصل على أعلى درجة علمية لا يحصل عليها سوى القليلين من الأساتذة لصعوبتها وهى درجة استشارى مرجعى فى علم الطب من إنجلترا وتسمى (M.R.C.B) . . فإذا ببعض زملائها من الأطباء الرجال يسخرون منها، بل يقفون ـ بدافع من الحسد والغيرة ـ حجر عثرة فى طريق سفرها، كيف تتفوق عليهم فتاة وتصل إلى درجة علمية لم يصل إليها إلا القليلون من الأساتذة الكبار؟! ولكنها لم تعبأ بهم واستطاعت أن تحصل على هذه الدرجة من أول مرة، وبهذه الدرجة، استطاعت أن تكسر قاعدة وقفت طويلا فى وجه المرأة وهى قاعدة عدم دخول المرأة هيئة التدريس فى كلية الطب، وأصبحت أول امرأة تعمل فى سلك التدريس بهذه الكلية، وفتحت بذلك الباب أمام العشرات ثم الآلاف من الطبيبات للعمل فى هذا السلك، وأصبحت دكتورة زهيرة عابدين ـ بما قدمته لمهنة الطب من خدمات، وما قدمته للمرضى وللفقراء على مدى سنوات طوال زادت على الخمسين عاما ـ علما فى مجال العلم والبر حتى استحقت عن جدارة لقب «أم الأطباء».

ولدت الدكتورة زهيرة عابدين فى شهر يوليو من عام ١٩١٧ بمنزل عائلتها فى منطقة جزيرة بدران بالقاهرة، وكانت والدتها وهى تنتمى إلى عائلة مشهورة هى عائلة الديوانى أنجبت قبلها ثلاث فتيات «زينات وفردوس وفاطمة» وولداً «محمد»، إلا أن الولد توفى فى سن الثالثة، فكانت الأم وكل من حولها يطمعون

فى أن يمن الله عليها بطفل آخر عوضا عن محمد. وتحكى لنا الدكتورة زهيرة قصة ولادتها قائلة:

لما ولدتنى أمى أصاب كل من حولها الوجوم، فقد كانوا يتمنون أن تنجب ولدا، إلا والدى، الذى تعلق بى منذ أن رآنى وأحبنى حبا شديدا، وقد تمتعت فى طفولتى بحب الجميع.. أسرتى ووالدى وإخوتى وزملائى وأساتذتى لأننى كنت شديدة الهدوء وفى نفس الوقت شديدة الحساسية.

وعندما بلغت الدكتورة زهيرة سن الثالثة مرضت مرض الموت فانتقل والدها إلى فيللا تجاور فيلا سعد زغلول، وقد كان وفديا شديد الوطنية والتعلق بالزعيم سعد زغلول، ولأنها أصغر الأولاد وأقربهم إلى قلبه كان يصطحبها معه فى كل زياراته للقاء سعد باشا وأم المصريين السيدة صفية.. وعن ذلك تقول الدكتورة زهيرة:

كانت السيدة صفية زغلول - أم المصريين - تحبنى حبا شديدا وتعتبرنى مثل ابنتها، وكان لها لقاء أسبوعى تستضيف فيه سيدات المجتمع وكان لها نشاط اجتماعى فكانت تحب أن أجلس معها فى كل الأوقات وأتناول معها الطعام، وأعتقد أن وجودى المستمر معها زرع فى نفسى منذ الصغر بذرة الوطنية، كما أن اصطحاب والدى المستمر لى معه فى كل لقاءاته بسعد باشا زغلول خاصة بعد عودته من المنفى من جزيرة سيشل وغيرها جعل هذه البذرة تنمو وتترعرع، فمازلت أذكر على الرغم من صغرى الخطب الحماسية التى ألقيت عند استقبال سعد باشا فى سرادق كبير أقيم بالإسكندرية وحضر فيه لفيف من زعماء الأمة أذكر منهم مكرم باشا عبيد وغيره.

وكما كان لوالد الدكتورة زهيرة عابدين دور مؤثر فى غرس بذرة الوطنية فى نفسها، كان له أيضا دور كبير فى غرس حب التفوق والعلم داخلها، وعن ذلك تقول: كان والدى قد حصل على دراسته فى كلية سانت مارك بالإسكندرية ثم سافر إلى فرنسا حيث أكمل دراسة الحقوق هناك، فكان دائما يذكر لى الحكم

والأمثلة باللغة الفرنسية ويقرأ لى بعض أبيات من الشعر أو الأدب فأحفظ كل ما يقوله لى وأتعلق بالعلم وبالأدب.

الأولى على القطر

وأظهرت الدكتورة زهيرة - منذ التحاقها بالمدارس - نبوغا وتفوقا بهر الجميع حتى إذا وصلت لمرحلة البكالوريا - الثانوية العامة - حصلت على الترتيب الأول على جميع طلاب القُطر المصرى.. عندئذ أقنعتْها زميلاتها بدخول القسم الأدبى بدلا من العلمى. أما كيف دخلت كلية الطب، فلذلك قصة ترويها قائلة:

لأننى كنت أتقن اللغة العربية وأتفوق فى المواد الأدبية مثل المواد العلمية شجعتنى زميلاتى دائما على الاشتراك فى المناظرات الأدبية وإلقاء الخطب والشعر وأقنعونى بدخول القسم الأدبى، حتى إذا جاءت الأجازة الصيفية وعلمت شقيقتى الدكتورة فاطمة بهذا الاختيار، وقد كانت أقرب الشقيقات إلى نفسى، نصحتنى بتعديل هذه الرغبة والالتحاق بالقسم العلمى قائلة.. المستقبل للعلم وللطب، وبالفعل ذهبت إلى ناظرة المدرسة، وقد كانت سيدة مرهوبة الجانب نخشاها ونحترمها، وهى السيدة إنصاف سرى، ذهبت إليها وأنا أقدم رجلاً وأؤخر الأخرى فأنا أعلم مدى حبها للنظام والانضباط وأنه قد يغضبها تغييرى لرغبتى، فإذا بها - على عكس ما توقعت - تسارع إلى تحقيق هذه الرغبة بل وترحب بها، فأدركت أن ذلك دليل على قبول الله سبحانه وتعالى لهذا الاختيار.

خطاب الدكتور مشرفة

فى ذلك الوقت كان يسبق دخول الكليات العلمية سنة تأهيلية تسمى B.N.S ولأن الدكتورة زهيرة كانت الأولى على القطر فى شهادة البكالوريا وجدت دائما من يشجعها ويتحمس لها ومن هؤلاء أستاذها فى هذه السنة وكان اسمه نظيم وكان - كما تقول - مسيحيا ويعتبرها مثل ابنته فيشجعها ويحمسها حتى تتفوق على

زملائها، وبالفعل حصلت فى ذلك العام على الترتيب الأول بجدارة وبفارق كبير من الدرجات عن الثانى. وعن ذلك تروى قائلة:

كان عميد كلية العلوم وإعدادى طب آنذاك العالم المصرى الدكتور مصطفى مُشَرَّفَة، فأرسل خطابا إلى والدى وقال له فيه، إن درجاتى وأدائى فى الكيمياء والطبيعة يجعلان من الأفضل لى أن ألتحق بكلية العلوم، وأننى إذا التحقت بهذه الكلية سيكون لى فى المستقبل شأن عظيم، ووقعت فى حيرة، فقد كنت أميل ـ بحكم ميولى الدينية ـ إلى ممارسة مهنة الطب باعتبارها مهنة إنسانية أستطيع من خلالها مساعدة الناس من ذوى الحاجات.. وفى نفس الوقت كنت أتحمس للأبحاث العلمية فى مجال الكيمياء والطبيعة، ولكن شقيقتى الدكتورة فاطمة قضت على هذه الحيرة ونصحتنى بدخول كلية الطب لأنها الأقرب إلى ما أتمناه من مساعدة الناس والإحساس بهم. وقد زرع فى نفسى هذا الإحساس أيضا السيدة إنصاف سرى ناظرة المدرسة الثانوية فقد كانت تحرص على أن تأخذنا فى رحلات لزيارة المستشفيات وتقديم الهدايا للمرضى واليتامى، وكانت هذه الرحلات تؤثر فى نفسى أشد التأثير، حتى أننى فى إحدى المرات قلت لها بعد زيارة أحد هذه المستشفيات إننى أتمنى أن يمكننى الله من عمل مثل هذا المستشفى لمساعدة المرضى وذوى الحاجات، وبعد أن مرت الأيام وأنشأت مركز القلب الخيرى فى الهرم لرعاية الأطفال دعوتها لتحضر الافتتاح لأننى شعرت أنها صاحبة الفضل على فى اهتمامى بالعمل الخيرى وفى إنشاء هذا المركز.

الدكتور خليل عبد الخالق

وأظهرت الدكتورة زهيرة فى كلية الطب تفوقا واجتهادا، ولأن ميولها إنسانية اتجهت إلى تخصص الأطفال وشجعها على هذا أستاذها الدكتور خليل عبد الخالق رئيس قسم الأطفال والذى تقول عنه:

كان بالنسبة لى أبا ثانيًا بعد وفاة والدى فكان دائم التشجيع لى ولذا حصلت على دبلوم التخصص فى الأطفال، ولكننى لم أرد التوقف عند ذلك، فقد كان

لدى طموح فى أن أحصل على درجة علمية أعلى من ذلك، وفى ذلك الوقت كان يوجد فى الجامعات المصرية دكتوراه تسمى M.D ويوجد فى الخارج - إنجلترا - أكبر شهادة يحصل عليها القليلون من أساتذة الطب، وهى شهادة استشارى مرجعى فى علم الطب M.R.C.B فلما حصل زوجى على فرصة للسفر إلى إنجلترا كى يحصل على درجة الدكتوراه فى الكيمياء، وجدتها فرصة طيبة بالنسبة لى كى أحصل أنا أيضا على درجة M.R.C.B.

كسر القاعدة

وبحصول الدكتورة زهيرة عابدين على أعلى درجة علمية أصبح هناك رأى قوى بكسر القاعدة التى تمنع المرأة من العمل فى سلك التدريس، وبالفعل قبلت الدكتورة زهيرة فى هيئة التدريس وأصبحت أول أستاذة فى هذه الهيئة وفتحت بذلك الباب لزميلاتها من الطبيبات فى جميع التخصصات، واستطاعت أن تثبت جدارتها كطبيبة وباحثة وأستاذة فى الجامعة، وكانت شديدة الاحتكاك بمرضاها والاهتمام بهم، ومع هذا الاحتكاك تكشفت لها مشكلة خطيرة أصبحت تؤرقها وتستحوذ على كل اهتماماتها. وعن هذه المشكلة تحكى لنا الدكتورة زهيرة قائلة: كانت مشكلة إصابة أعداد كبيرة من الأطفال من سن خمسة إلى سن ١٢ عاما بمرض روماتيزم القلب، فكنت أرى إلى أى حد كان يتسبب هذا المرض الخطير فى القضاء على حياة هؤلاء الأطفال والتسبب فى معاناة آبائهم.. وكثيرا ما كانوا يحملون أبناءهم من أماكن بعيدة إلى المستشفى ليعالجوهم، ثم يضطرون للعودة بهم بسبب عدم وجود أسرة كافية لهم، وبدأت أتحدث مع دكتور خليل عبد الخالق عن ضرورة عمل شىء لإنقاذ هؤلاء الأطفال، فقال لى: فكرى فى حل وأنا سوف أساعدك فبدأنا نوفر لهم أماكن فى طرقات المستشفى ونقوم بشراء أسرة لهم حتى نوفر الرعاية لأكبر عدد ممكن منهم.

الجمعية الخيرية

إلا أن هذا لم يحل إلا جزءا بسيطا من المشكلة، فما زال هناك المئات الذين لا

توجد لهم أماكن للعلاج.. والذين يموتون فى كل يوم بهذا المرض اللعين.. فماذا تفعل؟ تقول الدكتورة زهيرة:

لمس زوج أختى الدكتور عبد المنعم الشافعى المشكلة وكان يعمل وكيل أول وزارة الشئون الاجتماعية ففاجأنى فى عيادتى بباب اللوق بمديره العام - يحيى درويش - ومعه أوراق إشهار جمعية خيرية، وقال لى وقعى هذه الأوراق لتقومى بعمل جمعية خيرية ولا تخشى شيئا، سوف يرسل الله لك من يقدمون المال حتى تساعدى هؤلاء الأطفال، وبالفعل.. فقد رأيت فى هذه الجمعية منذ نشأتها وحتى الآن معجزات لا أستطيع أن أحكيها، وبالفعل أصبح كل شىء سهلاً، فقد حصلنا من مدير الحراسات على مكان للجمعية فى الهرم كان يملكه رجل إنجليزى وهو عبارة عن اسطبل للخيول به حجرتان، وضعنا فيهما ٣٠ سريراً فقط وتبرعت أمهات الأطفال الذين كنت أعالجهم فى عيادتى بحوالى سبعمائة جنيه، فهذه الجمعية التى عندها الآن ملايين الجنيهات ولديها منشآت بملايين الجنيهات بدأت بسبعمائة جنية فقط ولم يكن لدينا سوى طباخة، وممرضة وعاملة نظافة يتعاطين أجورهن، وفيما عدا ذلك قسمت عضوات الجمعية الوقت بينهن لرعاية الأطفال، واشتهرت الجمعية على الرغم من ضعف إمكانياتها بالنظافة والنظام والرعاية الطبية السليمة حتى أن الأجانب من الأطباء كانوا يحرصون عندما يأتون لمصر على زيارتها.

التوسع

وبعد ذلك اتسع مبنى الجمعية واستطاعت د. زهيرة عابدين بمساعدة الدكتور عمر شوقى أخصائى الصدر والذى كان يعالج بعض الأميرات الكويتيات أن يجعل إحداهن تبنى جناحا لمرضى الجمعية، وتبعها المهندس عثمان أحمد عثمان، وفى غضون سنوات قليلة أصبح للجمعية ستة أجنحة وأنشأت مستشفى كاملاً لعلاج مرضى القلب من الأطفال تتسع لأربعمائة سرير. تقول د. زهيرة عابدين:

لقد استطعنا أن ننتصر على هذا المرض وانقرض العدد للمرضى من أربعمائة إلى أربعين فقط، ومن فضل الله علينا أننا لم نتوسع فقط فى هذا التخصص وإنما أصبح عندنا مبنى كبير ـ مستشفى الدقى للأطفال ـ يرتفع تسعة أدوار، أصر نقيب الأطباء على استخراج تصريحه باسم مستشفى أم الأطباء.

والآن تقوم الجمعية بعمل ثلاثة مشروعات كبيرة فى مدينة ٦ أكتوبر، الأولى دار كبيرة لرعاية المسنات ودار ضيافة أخرى للأرامل ودار ثالثة للطالبات المغتربات.

ومما ينبغى أن يذكر أن الدكتورة زهيرة أوقفت منذ حوالى ثلاثة أعوام مليون جنيه كوديعة ينفق ريعها وقدره مائة وعشرون ألف جنيه على كفالة أطفال ٢٥٠ أرملة حتى سن ١٨ سنة.

ثلاث بنات.. وولد

تزوجت الدكتور زهيرة بعد التخرج من الدكتور عبد المنعم أبو الفضل وكان حاصلا على دكتوراه فى الكيمياء وأستاذا بكلية العلوم ورئيس جمعية الكيمياء.. تحكى لنا قصة زواجها قائلة:

كنت شديدة التخوف من فكرة الزواج بسبب حساسيتى المفرطة، فقد كنت أرى كثيرًا من الزيجات تفشل والأطفال دائما يدفعون الثمن، فكنت أرفض دائما من يتقدم للزواج منى، إلى أن شاء الله وتقدم لى الدكتور عبد المنعم، ولقد لمست فيه شدة تدينه فوافقت على الزواج.. وقد أسفر زواجنا عن ثلاث بنات وولد، الدكتورة منى أبو الفضل وهى أستاذة فى العلوم السياسية بجامعة القاهرة، ألفت العديد من الكتب فى السياسة والحضارات المقارنة وهى تدرس حاليا فى الولايات المتحدة، والأستاذة الدكتورة عزة أستاذ طب الأطفال، والدكتورة هدى الأستاذ فى طب قصر العينى، ومحمد وهو.. مهندس أستاذ بجامعة الأزهر ثم أصبح مديرا لبنك التنمية الإفريقى والحمد لله جميعهم على خلق ودين وهذا فضل كبير من الله.

*** ألم يحد الزواج من طموحك العلمى والخيرى أو يتدخل الزوج للإقلال من هذا الطموح؟**

ـ لم يحدث ذلك والحمد لله، وأقل فضل أذكره لزوجى أنه ترك لى الفرصة كاملة لإكمال دراستى.

*** إذن كيف استطعت أن توفقى بين رعاية الزوج والأولاد والقيام بعملك كطبيبة وأستاذة وصاحبة جمعية خيرية ذات أنشطة متعددة؟**

ـ استطعت كل ذلك بتنظيم الوقت، وبالطبع ذلك كان يستلزم منى بذل جهد كبير جدا حتى لا أقصر فى حق أولادى، وأحمد الله فجميعهم كانوا متميزين ولم يحتاجوا إلى دروس خصوصية فقد كانوا على قدر كبير من الذكاء والأخلاق الطيبة، وكنت أشعر أن الله يقف بجانبى وبجانبهم، فلم أشعر معهم بمعاناة أو تعب فجميعهم يحترموننى ويستمعون لما أقوله، ولأن الوقاية خير من العلاج كنت أحرص على صحتهم حتى لا يصابوا بأمراض.

أكرمها الله فينا

تعلق الدكتورة هدى الابنة الثانية للدكتورة زهيرة على كلام والدتها قائلة: لقد وهبت أمى نفسها لفعل الخير ومساعدة الفقراء والمرضى ولذا أكرمها الله فينا.

والله سبحانه وتعالى يقول: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» ولم يحدث مطلقا أن اتبعت معنا أسلوب الشدة أو نهرتنا، ولذا نشأنا جميعا نعتز بكرامتنا ونحافظ عليها، ونحرص فى نفس الوقت على طاعتها.

شكرا لله

وللدكتورة زهيرة عابدين حفيد هو ابن الدكتورة هدى اسمه محمود محمد الحفناوى وهو يجسد البذرة الطيبة من طاعة الله وحب العلم والصبر على الشدة، فقد تخرج العام الماضى من الجامعة الأمريكية بعد أن حصل على دراسات فى جامعة "WALE" بالولايات المتحدة الأمريكية فى تخصص الفيزياء النظرية ـ وهو

من أصعب التخصصات ـ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، على الرغم من إصابته بضمور فى العصب البصرى حتى أنه لا يرى إلا بالأجهزة المكبرة، وأصبح معيدا فى الجامعة الأمريكية، ويقول:

أذهب فى الإجازة الصيفية لأدرس للأيتام فى دار الأيتام التى أنشأتها جدتى فى مدينة ٦ أكتوبر كما أحرص على حفظ القرآن أحيانا بمساعدة شيخ الجامع وأحايين أخرى بمفردى.

ويضيف.. لقد تعلمت من جدتى وجدى أن أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وأحمد الله أنه من علىّ بنعمة البصر ثمانية عشر عاما، ويضيف.. إننى لا أطمع فى المستقبل إلا أن أكون راضيًا عن نفسى وأن أحصل على رضا الله عنى. وللدكتورة هدى ابنة هى صفاء طالبة فى السنة الخامسة بكلية الطب وهى شديدة التدين مثل والدتها.





عَلَّمتُ أولادى أن إسكان الفقراء

أهم من إسكان الأغنياء.

د. عبد الباقى إبراهيم

د. عبد الباقى إبراهيم فى بيته

عندما كان لا يزال صبيا صغيرا يتردد على كُتّاب العزبة. كانت تستهويه الميول الفنية فأخذ يحول أية خامات تقع تحت يديه كالقماش والخشب أو فضلات الخيوط وحتى الطين إلى أشكال ذات معنى وتشكيلات ومفيدة، وعندما كبر ودرس الهندسة فى القاهرة ثم فى إنجلترا، كبرت معه هذه الهواية وأصبحت أكثر فائدة، فبعد أن كانت تتجسد فى استخدام الخامات المتاحة لعمل أشكال وتشكيلات متعددة. أصبحت تتجسد فى كيفية استخدام الخامات المتاحة فى المجتمع لإنشاء عمارة تخدم الفقراء وتحافظ على الأصالة الإسلامية مع الحداثة والتطور.

وأصبح د. عبد الباقى إبراهيم صاحب نظرية محلية فى العمارة اقتنعت بها أغلب الدول العربية والعالم الإسلامى وعملت بها، ولكن ـ للأسف الشديد ـ لم نستفد منها فى مصر، فمازالت العمارة فى بلدنا تستورد طرازها من الخارج، ومازالت العمارة فى بلدنا تتجاهل حاجات الفقراء وتعمل من أجل الأغنياء، وعلى الرغم من ذلك لم ييأس الدكتور عبد الباقى إبراهيم وأنشأ مركزا للدراسة المعمارية والتخطيطية وأثرى المكتبة بالعديد من المؤلفات التى يوضح فيها فكره فى العمارة الإسلامية وأخيرا العمارة فى الإسلام، وعلى نهجه سار ولداه يؤمنان بأن الأولوية يجب أن تكون للفقراء وللأصالة ويعملوا على تحقيق ذلك.

ولد الدكتور عبد الباقى محمد إبراهيم عبد الرحمن فى قرية بالشرقية تسمى على اسم جده. هى قرية إبراهيم عبد الرحمن وهى من أعمال قرية أكبر تسمى

«العواجزه» مركز ههيا بمحافظة الشرقية، وقد ولد عن أب هو الشيخ محمد إبراهيم عبد الرحمن الحنفى وعن أم هى السيدة نفيسة سليمان زيتون وهى ابنة لأحد علماء الدين وفى نفس الوقت عمدة لقرية تسمى كفر الحمام مركز الزقازيق بنفس المحافظة.

يقول الدكتور عبد الباقى عن والديه وأيام الصبا:

حصل والدى على العالمية من جامعة الأزهر ولم يعمل فى القضاء الشرعى كما عرض عليه فى ذلك الوقت مثل عديله الشيخ أحمد شاكر - عليه رحمة الله - زوج خالتى السيدة أسماء زيتون، وفضل والدى العمل فى الإشراف على زراعة والده. وفى طفولتى دخلت كتاب القرية ومازلت أذكر اسم العريف وهو الشيخ صادق - رحمه الله - وأذكر أنه كان يحفظنا القرآن الكريم تحت شجرة توت على حصيرة وكان كل منا يحمل لوحًا من الصفيح اللامع وقلم «بسط» ودواية حبر حمراء أو زرقاء، ومكثت فى هذا الكتاب عامين.

ميول فنية

فى هذه الفترة بدأت تظهر لدى الطفل عبد الباقى إبراهيم ميول فنية، فأخذ يحول كل ما يقع تحت يديه من خامات إلى أعمال فنية جميلة وأشكال هندسية. وعن ذلك يقول:

كنت أحول القماش مع الخشب أو الخيوط أو حتى الطين إلى ألعاب وأشكال مثل عربية للحنطور أو معسكر للجيش أو أشياء من هذا القبيل، وبعد ذلك دخلت المدرسة الأولية فى قرية العواجزة وكانت تبعد عن قريتنا ثلاثة كيلومترات، فكنت أذهب على ظهر حمار وأصطحب معى طعامى فى منديل محلاوى، ولكن والدتى وجدت فى ذلك مشقة علىّ فأخذتنى إلى منزل والدها - رحمه الله - بعد وفاته فى قرية كفر الحمام بجوار الزقازيق حتى أكون قريبا من المدرسة الابتدائية الأميرية، وكنا نذهب إليها سيرا على الأقدام رغم بعدها عن قريتنا بمسافة ثلاثة كيلو مترات.. ثم وجدت والدتى - رحمها الله - أن المسافة بعيدة فاشترت لنا منزلا فى

أحد أحياء مدينة الزقازيق الفقيرة وكان ثمنه آنذاك ١٦٠ جنيها ويرتفع ثلاثة أدوار ويبعد كيلو واحد فقط عن المدرسة.

وفى المرحلة الثانوية بمدرسة الزقازيق نبغ الدكتور عبد الباقى إبراهيم فى الفنون الهندسية والرياضية، ويقول: وفى ذلك الوقت كان يزورنا ابن عم والدتى المهندس المعمارى صلاح زيتون وكان من كبار المهندسين فلاحظ علىّ هذه الميول للرسم والفن والرياضة وتوسم فىّ أن ألتحق بكلية الهندسة، وأذهب إلى قسم العمارة.

وفى القاهرة سكن الدكتور عبد الباقى فى منطقة الدراسة بجوار الأزهر جارا للشيخ أبو النور والد الدكتور الأحمدى أبو النور وأخذ والده بين الوقت والآخر وكلما استطاع أن يترك قريته، يصطحبه إلى الأزهر ويروى له ذكرياته فى رواق الشراقوة، ولم يمكن طويلا فى الدراسة لبعدها عن جامعة القاهرة، فاصطحبته والدته والتى كانت تقوم برعايته بسبب انهماك والده فى أمور الزراعة، إلى منطقة الضاهر، وأتم الدكتور عبد الباقى دراسته فى قسم العمارة وتخرج منها فى عام ١٩٤٩ بتقدير امتياز وبترتيب الأول على الدفعة، ويقول عن هذه الفترة:

بعد تخرجى بهذا التفوق عرض علىّ المرحوم على لبيب جبر رئيس قسم العمارة أن أكون معيدا فى الجامعة، وفى نفس الفترة أعلن عن بعثات إلى الخارج فرشحت فى ثلاث بعثات، واحدة إلى فرنسا وثانية إلى إنجلترا والثالثة إلى سويسرا، ففضلت الذهاب إلى إنجلترا، لأن من يبتعث إليها يعود للعمل فى جامعة القاهرة، وسافرت إلى جامعة ليفربول لأجد مفاجأة فى انتظارى. فقد وجدت أنه يتحتم علىّ الحصول على البكالوريوس مرة ثانية من هذه الجامعة، وذهبت إلى مكتب البعثات فى لندن بعد أن أصبت بصدمة، فقال لى مديرها عبد العزيز بطريق - رحمه الله - هل تبحث عن العلم أم الشهادة، فقلت له: العلم.. فقال: إذن اذهب إلى ليفربول واحصل على البكالوريوس، وقد كان.. فذهبت على مضض وحصلت على البكالوريوس بعد أربع سنوات..

ولكننى عزمت أن أحصل أيضا على الماجستير، وبالفعل حصلت عليه وكان عن التصميم العمرانى، وهو مرحلة بين العمارة والتخطيط، وعدت إلى القاهرة حاملا البكالوريوس «الثانى» والماجستير، وجلست عامين أعانى من عدم حصولى على الدكتوراه، لأنه فى مصر لا يدخل هيئة التدريس إلا حاملو الدكتوراه، ولكن الله ساعدنى وسجلت للحصول على الدكتوراه من جامعة «نيوكاسل» بإنجلترا وكان موضوعها تخطيط المدن، وكان من السهل علىّ الحصول على درجة الدكتوراه بعد أن قضيت خمس سنوات دراسية فى إنجلترا للحصول على البكالوريوس والماجستير.

من قاع الريف

وأسأله: كيف اتجهتَ إلى المعمار الإسلامى؟

ـ بحكم تكوينى، فأنا من قاع الريف، ولذا عندما حصلت على الماجستير فى التصميم من ليفربول، كانت رسالتى عن بناء القرية، لأنى أحمل فى جسمى وفى خلاياى المسكن الريفى، الطين الذى عشنا فيه، وأعايش المطر الذى كان ينزل علينا من السقف ولا نتحمله، فكنت أعانى من هذا الوضع السكنى فى الريف، ولهذا كانت رسالتى عن المسكن الريفى وتخطيط القرية، وبعد ذلك حصلت على الدكتوراه، وكانت عن تخطيط المدن، «التخطيط الريفى فى دلتا مصر».

ويضيف.. كنت أشعر أن إسكان الفقراء أهم من إسكان الأغنياء ولذا عندما عدت إلى مصر ودخلت الجامعة لأدرس وأنا أحمل مناهج من الغرب لم أكن أدرس هذه المناهج كما وجدتها فى الخارج، وإنما كنت أعرضها متسائلا يقولون كذا وكذا فى الغرب.. فهل هذا يصلح لنا؟! فكانت محاضراتى باستمرار عبارة عن تساؤلات مع الطلبة، ومن خلال هذه التساؤلات المستمرة بدأت أبحث عن النظرية المحلية فى التخطيط وما يناسبنا فى التخطيط العمرانى وما يناسبنا فى

العمارة، فكانت هذه التساؤلات هى المحرك الفكرى الذى جعلنى أطور فى المناهج ولا آخذ الأمور على علاتها.

منظور جديد

وبحثا عن منظور جديد للعمارة فى مصر، بدأ الدكتور عبد الباقى إبراهيم بعد عودته من إنجلترا، يكتب مقالات فى الصحف عن الفلسفة التى تختفى وراءها العمارة المصرية متطلعا إلى البحث عن منظور جديد للعمارة المحلية.

فبدأ زملاؤه فى الجامعات يردون على هذه المقالات متسائلين.. هل سنعود إلى عمارة الحجر والسلاملك والحرملك والمشربية ونتخلى عن التطور، فقرر الدكتور عبد الباقى أن يقدم لهم النموذج الواضح على نظريته المحلية.. أما كيف فعل ذلك.. فهذا ما يرويه لنا قائلا:

داومت على الكتابة عن المسكن الريفى والبحث عن الأصالة والمعاصرة فى العمارة الحديثة، وقررتُ أن أقدم لهم النموذج على هذه النظرية، فاشتريت أرضا فى مصر الجديدة وبنيت عليها هذا البيت - بيتى الحالى - حتى أثبت لزملائى وللناس أن بالإمكانيات المتاحة ومن متوسط التكلفة السائدة وبالعمالة المتوفرة والمواد الخام الموجودة وتحت نظم البناء القائمة، أستطيع أن أبنى عمارة تربط الأصالة بالمعاصرة، واستغرق رسم وتصميم هذا البيت منى ١٢ شهرا، فقد أخذت أرسم وأعدل هذه الرسومات وأهتم بأدق التفاصيل، حتى أثبت نظريتى؛ كانت مساحة الأرض ٤٣٠ مترًا قسمتها نصفين: نصف للمسكن والنصف الثانى للحديقة، وبنينا مسكنًا وفوقه مسكنًا ثانيًا شقة واحدة، ثم زدت أيضا دورين وبعد ذلك بعشر سنوات بدأت أفكر فى إنشاء مركز للدراسات المعمارية والتخطيطية فاستثمرت الحديقة وبنيت عليها المركز ملتحما بالمبنى الأول، فالمبنى مركب من مكاتب ومسكن لى وللأولاد، فقد بدأت بناء هذا المنزل فى عام ١٩٦٥، وما زالت هناك مراحل بناء فيه، وهذا هو البناء الممتد الذى يتطور مع الوقت.

على الأرفف

سؤال.. ما الذى قدمه هذا الفكر أو هذه النظرية لمصر؟

ـ لا شيء.. فبعد عودتى من السعودية اقترحت عليهم أن نطبق هذا الفكر فى مصر فطلب منى المهندس حسب الله الكفراوى، أن أعمل دراسة لتطوير أجهزة التخطيط فى مصر وبالفعل قمت بها، وطلب منى أن أعد دلائل أعمال يتبعها المهندسون، فقمنا بعمل ١٢ دليلاً، وطلبوا منا تدريب ٣٥٠ مهندسًا، وبالفعل تم تدريبهم.. فماذا حدث بعد ذلك، وضعت الدراسة على الأرفف، وأخذت كل محافظة نسخة من دلائل الأعمال ووضعتها على الأرفف، وتفرق الـ ٣٥٠ مهندسا وتوقف الموضوع، فى الوقت الذى استفادت فيه سوريا والعراق والسعودية والإمارات من هذه النظرية المحلية للمعمار ونفذتها عندها.

وفى عام ١٩٨٦، حاولت تطوير المناهج فلم يتقبلوا هذا التطوير، وبقى الوضع كما هو، وكانت جامعة أم القرى تنشىء قسمًا اسمه «العمارة الإسلامية» قدمت لهم هذا التطوير فأخذوه وعملوا به!!

جوائز ومؤلّفات

حصل الدكتور عبد الباقى إبراهيم على العديد من الجوائز منها جائز منظمة المدن العربية فى عام ١٩٨٨ لأحسن معمارى عربى مهتم بالتراث الإسلامى وجائزة التأليف المعمارى، وجائزة التأليف والتخطيط العمرانى من منظمة العواصم والمدن الإسلامية، وجائزة الدولة التشجيعية عن كتاب بناء الفكر المعمارى، وفى عام ١٩٩٢ حصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمى فى العمارة الإسلامية، وفى عام ١٩٩٨ حصل على جائزة مجلس وزراء الإسكان العربى عن تصميم جامع الزهراء بجامعة الأزهر.

وأثرى الدكتور عبد الباقى المكتبة بالعديد من المؤلفات وعن هذه المؤلفات يقول: بدأت أكتب كل ما كنت أتمنى تحقيقه، فألفت عن المنظور الإسلامى للنظرية

المعمارية لإثبات أن الإسلام يمكن أن يفرز نظرية معمارية تتعامل مع كل زمان ومكان، وألفت كتابًا عن المنظور الإسلامى للتنمية العمرانية وعن العملية التصميمية، وعن المدينة الإسلامية، وعن حسن فتحى، واليوم أؤلف كتابًا عن العمارة فى الإسلام.

من الشرقية

ولأن الزواج من خارج محافظة الشرقية كان يعنى للدكتور عبد الباقى إبراهيم زواجا من أجنبية، تزوج من قرية العصلوجى من الدكتورة نادية أحمد عطية رزق والتى أصبحت فيما بعد أستاذا بكلية البنات جامعة عين شمس، ويقول عن قصة زواجه:

هناك تقارب شديد بين قرى الشرقية وكأنهم جميعا أسرة واحدة، وقد كانت هناك صداقة وتزاور بين أسرتنا وأسرة الدكتورة نادية لذا وقع عليها اختيارى، وإذا سألتنى عن المهر فأنا لا أذكره ولا هى حتى تذكره، فلم يكن هناك اهتمام شديد بالماديات مثل ما يحدث اليوم وقد رضيت أن تسكن معى فى شقة من حجرة واحدة وصالة فى القاهرة ولم تطلب أربع حجرات وصالون مذهب وأجهزة كهربائية مثلما يحدث هذه الأيام.. وبمرور الأيام أصبحت الشقة الحجرة وصالة شقة أخرى حجرتين وصالة وفى النهاية فيلا جميلة.

وقد أثمر هذا الزواج ولدين هما محمد حاصل على الدكتوراه من هندسة عين شمس وقد سار على درب والده فدخل قسم عمارة وتخطيط مدن ويقول:

مكتبة.. وأستاذ

دراسة الهندسة تعتمد أساسا على وجود موهبة ومن الصغر كان والدى ينمى داخلى موهبة الرسم وساعد على ذلك وجود مكتبة علمية هندسية كبيرة لدى والدى وأستاذ متفرغ لى هو والدى.

ويؤمن الدكتور محمد بأهمية نظرية والده فى تبنى الأجيال الجديدة لأفكار

معمارية تتواءم مع البيئة المحلية والإمكانات الاقتصادية، ويقول: هناك بعض المعماريين الذين يتبنون هذا الفكر لكن المشكلة تكمن فى كيفية ظهور هذا الفكر للنور.

أما الابن الثانى للدكتور عبد الباقى فهو الدكتور هشام وهو مدرس فى كلية طب عين شمس تخصص عظام، ويقول الدكتور عبد الباقى لقد أكرمنى الله بأن أحسن أولادى اختيار زوجاتهم على أساس دينى وخلقى ذلك لأنهما تلقيا تعليمًا دينيا فى المملكة العربية السعودية أثناء عملى بها وحفظا كثيرا من القرآن.

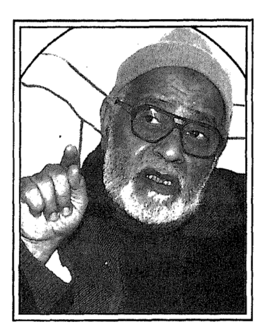
من نعم الله

وتقول الدكتورة نادية الأستاذ بكلية بنات عين شمس قسم اللغة الإنجليزية.. لقد كان من نعم الله علينا أن قضى أولادى فترة المراهقة فى السعودية بين المدرسة والجامع ولذا خرجوا أسوياء، وعندما عدنا إلى مصر سكنا بجوار ناد رياضى فأصبحوا يمارسون الرياضة وهى من الأمور الهامة للشباب.

وقد كانت رحلة الدكتورة نادية مع تربية أولادها تعتمد على البذل والعطاء والعلم فى نفس الوقت، فبعد حصولها على الثانوية العامة وقبولها بكلية آداب عين شمس تزوجت فتركت التعليم لرعاية ولديها فلما كبرا بعض الشىء حصلت على الثانوية العامة للمرة الثانية ودخلت الكلية.. وفى ذلك تقول:

كنت أجعل النهار لهم حتى يذهبوا إلى النوم فى التاسعة، ثم أبدأ مذاكرتى.. فقد كانت الأولوية لأولادى وزوجى وعندما نجحت فى الليسانس ضيعت فرصة عملى كمعيدة حتى أستطيع السفر مع الدكتور عبد الباقى والأولاد إلى الكويت، فلما عدنا قدمت للدراسات العليا مرة ثانية وحصلت على الماجستير والدكتوراه.





عندما قامت الثورة، كانت مهمتى تأمين البنوك وكوبرى قصر النيل.

الشيخ أحمد أبو العلا

الشيخ أحمد أبو العلا فى بيته

يمتاز فضيلة الشيخ أحمد أبو العلا وكيل وزارة الأوقاف السابق بأسلوب خاص فى التعامل مع أولاده خاصة فى حالة الغضب، فهو لا يثور ولا يعنف ولا يضرب وإنما يكتفى بأن ينظر إليهم نظرة معينة يعرفون منها أنه قد غضب، وفى هذه الحالة فهو يكتفى بعدم الكلام مع من غضب منه، وهذا فى رأى أولاده أشد العقاب وأكثر إيلاما من التعنيف أو حتى الضرب، حتى إذا ما عفا عمن غضب منه، أسرع بشراء الحلوى والهدايا له، وبذلك اكتسب حب أولاده واحترامهم له.

ولد الشيخ أحمد أبو العلا فى عام ١٩٢٥ بقرية الشيخ شبل مركز مراغة، وهى بلد الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق وهى تتبع محافظة سوهاج، وتبعد القرية عن شمال سوهاج بعشرين كيلومترا.

يقول الشيخ أحمد أبو العلا:

نشأت مثل أى طفل فى الريف، عندما يستطيع الكلام يذهب إلى كُتّاب القرية ليحفظ القرآن، وقد كنت محبا لحفظ القرآن، لسببين أولهما تشجيع جدتى لأمى لى واهتمامها الشديد بحفظى للقرآن فقد كان لها فضل كبير علىّ فى إتمام حفظه، وثانيهما سيدنا، الذى كان لا يتهاون مع أى تقصير فى حفظ القرآن فقد كان بالغ الشدة معنا إذا قصرنا فى حفظ ما أمرنا بحفظه.

واستطاع الشيخ أحمد أبو العلا أن يتم حفظ القرآن كله وهو فى سن الثالثة عشرة فأسرع والده بتقديم أوراقه فى معهد أسيوط الأزهرى الذى يبعد عن قريتهم

بمائة كيلو متر وهناك تعلم الشيخ أحمد أبو العلا ممارسة السياسة وإبداء الرأى فى قضايا الوطن، ويقول عن ذلك:

فى ذلك الوقت كنا نتمتع بحرية فى إبداء آرائنا وممارسة السياسة، وكثيرًا ما كنا نضرب، وعندما ثارت مشكلة فلسطين وقامت حرب فلسطين قمنا بمظاهرات ضد وعد بلفور، وبعد حادثة فتح كوبرى عباس على الطلبة، قمنا فى أسيوط بمظاهرات ضد الاحتلال وقُتل منا طلاب كثيرون.

شاهد على الحريق

وبعد أن أتم الشيخ أحمد أبو العلا دراسته فى معهد أسيوط الأزهرى الثانوي، قرر أن يتقدم بأوراقه إلى كلية أصول الدين، ولكن أصدقاءه كانوا أسرع منه، فقدموا أوراقه فى كلية الشريعة حتى يكون معهم، وفى هذه الفترة عرف الشيخ أحمد أبو العلا الإخوان المسلمين وانضم إليهم يقول:

انضممت إلى الإخوان المسلمين وفى يناير من عام ١٩٥٢ شب حريق القاهرة وكنت فى ذلك الوقت أسكن فى عابدين فشاهدت ألسنة النار تلتهم محلات وسط البلد وسرت فى شارع سليمان وشارع فؤاد وشاهدت النهب والسرقة التى حدثت.

وعندما قامت الثورة كان الإخوان وقيادة الثورة على وفاق فحرص الإخوان على إنجاح الثورة، ومساندتها، وقد كنت فى ذلك الوقت طالبًا فى كلية الشريعة وكلفت مع مجموعة من الإخوان بتأمين الثورة وملاحظة البنوك وكوبرى قصر النيل حتى تنجح الثورة.

أشغال شاقة

لم يدم الوفاق بين الثورة والإخوان المسلمين طويلا، فقد وقع حادث المنشية فى الإسكندرية وفيه تعرض الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لمحاولة اغتيال اتهم فيها الإخوان، فتم القبض عليهم، ومنهم الشيخ أحمد أبو العلا الذى حكم عليه آنذاك بخمسة عشر عاما أشغالاً شاقة، قضى منها عدة سنوات ثم

صدر عفو صحى عنه، ولم تنقض عدة سنوات حتى قبض عليه مرة ثانية وفى ذلك يقول:

فى تلك المرة دخلت السجن وأنا لا أعرف لماذا وأفرج عنى وأنا أيضًا لا أعرف لماذا؟.

كرهت السياسة

تسببت التجارب المريرة التى مر بها الشيخ أحمد أبو العلا والتى نجمت عن دخوله السجن فى كراهيته التامة للسياسة فقرر أن يقاطعها، وعندما خرج من السجن عُين إمامًا لمسجد أبو العلا بقرار من حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية، وفى عام ١٩٦٢ فى العيد العاشر للثورة صدر إليه الأمر بالذهاب إلى مسجد صلاح الدين المقام عند كوبرى الجامعة والذى كان من المقرر أن يفتتحه الرئيس جمال عبد الناصر، وعمل شيخا لهذا المسجد عدة سنوات بعدها نقل إلى وزارة الأوقاف وتولى مسئولية المكتب الفنى فى الوزارة، وفى ذلك يقول:

أسند إلى مسئولية المكتب الفنى فى وزارة الأوقاف مع مجموعة من الزملاء منهم الشيخ حسن أيوب، وقد كان الدكتور عبد العزيز كامل عليه رحمة الله هو الذى أنشأ هذا المكتب بهدف إعداد أبحاث عن السُّنَّة وكل ما يتعلق بها، بعدها سافرت إلى نيجيريا فى بعثة من أجل الدعوة حيث قضيت بها عدة سنوات.

من نيجيريا إلى الأرجنتين

كان الإمام الشيخ عبد الحليم محمود يعتز بالشيخ أحمد أبو العلا ويحنو عليه ولذا أوفده بعد عودته من نيجيريا إلى الأرجنتين. يقول الشيخ أحمد أبو العلا:

فى هذه المرة اصطحبت معى زوجتى وأولادى، وهناك وجدت مركزا إسلاميا فخما يكاد يكون قطعة من قصر عابدين فى جمال بنائه، ولكنه للأسف كان خاويًا على عروشه، لا يذهب إليه أحد من المسلمين، فلم يكن هناك إمام أو داعية داخل هذا المركز. ولذا عقدت العزم على إحيائه، فكنت أحرص على الحضور فيه منذ

الصباح الباكر، وإضاءة كل أنواره، واستخدام إذاعته الداخلية لإذاعة القرآن الكريم طوال اليوم.. ولم تمضِ ستة أشهر إلا وأصبح هذا المركز مكتظا بالمسلمين من كل فئة ومن كل مذهب، وأصبح قبلة المسلمين فى الأرجنتين، وقد استطعت فى السنوات التى قضيتها هناك أن أكتسب صداقات كثيرة لازلت أحتفظ بها حتى الآن، ولازالت تصلنى رسائل من مسلمى الأرجنتين الذين كانوا يترددون على المركز.

مع الدكتور عبد المنعم النمر

بعد عودة الشيخ أحمد أبو العلا من الأرجنتين كلفه الدكتور عبد المنعم النمر عليه رحمة الله بتكوين مكتب فنى، ويقول:

كان الشيخ عبد المنعم النمر عليه رحمه الله رجلا طيبًا بمعنى الكلمة، وقد كان يحبنى جدا وعند عودتى من الأرجنتين طلب منى إنشاء مكتب فنى قائلا: اخترلك مجموعة تعمل معك، وفى هذا المكتب ابتكرت أمرا لم يكن موجودا من قبل وهو أن يحصل كل متدرب على الدعوة على كسوة (زى أزهرى) ومكتبة وتطورت الأمور حتى أصبح كل الأئمة الآن - والحمد لله - يحصلون على الزى الأزهرى فى كل عام وعلى مكتبة، ثم وجدت أن المساجد الكبيرة تكتفى بإقامة الصلاة فقط وهو أمر لا يعبر عن رسالة المسجد الجامع الذى يمثل إشعاعا ثقافيا ودينيا لكل من حوله، فابتكرت أن يضم المسجد خدمات مختلفة، تعليمية وصحية ودار مناسبات تصلح لإقامة المآتم وعقود القران، وفى مسجد صلاح الدين تعددت الأنشطة الثقافية فقد عملنا فيه جريدة حائط تدون فيها كل الأخبار الإسلامية العالمية والمحلية وأخبار الحى وهو -حى المنيل، وقد كنت أخصص فى هذا المسجد قبيل درس العصر وقتا أعلم فيه الشباب كيفية الخطابة وأدربهم عليها.

محجوب وتدريب الأئمة

ولا ينسى الشيخ أحمد أبو العلا فضل الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف السابق على تدريب الدعاة فهو الذى أنشأ معاهد إعداد الدعاة، وفى ذلك

يقول: لقد اقترحت عليه أن يكون مركزها مسجد عين الحياة فى دير الملاك، كما اقترحت أن يكون للأئمة استراحة فى هذا المسجد، وعندما توليت مشيخة مسجد الفتح فى رمسيس نقلت إليه معاهد إعداد الدعاة، ثم نقلت إلى مسجد النور فى العباسية، وهناك بهرتنى مساحته الواسعة ووجدت فيه أماكن كثيرة يمكن الاستفادة منها فنقلت إليه أغلب الأنشطة الثقافية والخدمات الاجتماعية وأصبح مركز إشعاع ثقافى ودينى، كما كنت أول من اقترح إنشاء مستشفى للدعاة، بعد أن لاحظت وجود مساحة كبيرة تصلح لها بجوار نادى الغابة فى مصر الجديدة فاقترحت إنشاء المستشفى فى هذا المكان.

١٥٠ جنيهًا.. مهرا

تسببت الظروف الصعبة التى مر بها الشيخ أحمد أبو العلا نتيجة لاشتغاله بالسياسة ودخوله السجن فى تأخر زواجه. . وعندما قرر أن يتزوج أخذ يبحث عن الزوجةِ الصالحة المتدينة، وعن ذلك يقول:

كان كل اهتمامى ينصب على اختيار الإنسانة المسلمة المتدينة، التى تناسب رجلاً من رجال الدعوة، وقد كانت زوجتى تَمُتّ بصلة قرابة إلى زوجة أخى، ووجدت فيها كل الصفات التى أبحث عنها وتناسبنى؛ فهى متدينة، وعلى خُلُق، ومن أسرة طيبة.

وعلى الرغم من أن زوجة الشيخ أحمد أبى العلا ابنة تاجر كبير، إلا أن والدها لم يُغالِ فى طلب المهر، فهو رجل صالح يبحث عمن يعرف الله ويخافه فى ابنته ولذا وجد فى الشيخ أحمد أبو العلا ضالته المنشودة، ولم يأخذ منه سوى ١٥٠ جنيهًا مهرًا و ٥٠ جنيهًا للشبكة، وفى ذلك يقول الشيخ أحمد أبو العلا: قال لى حماى.. إننى سأترك ابنتى وديعة بين يديك، فهل أبحث عن مال وأنا أترك ما هو أهم من المال؟!

رأسا على عقب

أسأله: هناك من يرى أنه كلما دفع العريس أكثر فى عروسه، حافظ عليها.. فما رأى فضيلتك فى ذلك؟

ـ ليس هذا صحيحا. . وللأسف. . تقاليد الزواج انقلبت رأسًا على عقب فى هذه الأيام، فقديما. . كان الأب هو الذى يختار العريس لابنته وهو عندما يختاره يسأل نفسه. . هل هذا الشخص يصلح أن يكون زوجًا أبديا لابنتى، وكانت المسألة تقوم على مبدأ. . أنا أعطيتك ابنتى فهل أبحث عما ستدفعه؟!

لم يكن هناك اعتبار للماديات الموجودة حاليا، مثل القائمة والمهر والشبكة. . إلخ. . وكان اختيار الأب للزوج هو المؤثر فى الزواج بنسبة لا تقل عن ٧٥٪. . الآن. . البنت هى التى تختار والشاب هو الذى يختار وأصبحا يهتمان بالمظاهر الكاذبة، فتشترط الفتاة أن يقام العرس فى أحد الفنادق الكبرى فتكلف الوالد أو العريس آلاف الجنيهات وهذا فى رأيى فكر جديد مستورد يفرضه شباب هذه الأيام.

أكذوبة الحب

قيم أخرى استحدثها شباب هذه الأيام أو استوردها كما يقول الشيخ أحمد أبو العلا وهى الإصرار أن يكون الزواج عن حب. . وعن ذلك يقول فضيلته:

للأسف لقد ساعد الإعلام بوسائله المختلفة خاصة الأفلام السينمائية على زرع هذه الأفكار فى عقول الشباب، والشىء المضحك، أن الممثلين الذين يؤدون هذه الأفكار ويطبقونها على أنفسهم، هم الذين نسمع دائما عن فشل زيجاتهم التى تمت عن حب.

ويضيف. . لقد كانت والدتى تمت بصلة القرابة لوالدى، وعلى الرغم من ذلك لم تره وعندما تزوجته عاشا معا سنوات طويلة دون خلافات أو مشاكل، أنا أيضا تزوجت بنفس الأسلوب ودون قصة حب، وعلى الرغم من ذلك لم يحدث أن أغضبت زوجتى ولم يحدث أن سافرت فى أحد الأيام إلى والدها وهى غاضبة

منى، إننا نسمع هذه الأيام أن هناك مليونا ونصف مليون حالة طلاق وخلع، لماذا؟ لأن القيم الأصيلة فينا اندثرت وأصبح هناك زواج سرى تحت مسمى الزواج العرفى، فأؤكد لهم أنه زواج فاسد، فاسق.. ويضيف: للأسف.. أصبحت الفتاة التى تلتزم بقيم الزواج الأصيلة وتطيع والدها فيه، فتاة نادرة، وأصبح الفتى الذى يقدر مسئولية الإقدام على الزواج وبناء أسرة هو الآخر نادرا، وأصبح الأغلبية يجرون وراء التقاليد الغربية المستوردة.

أربع بنات.. وولدان

أربع بنات وولدان هم مجموع أولاد الشيخ أحمد أبو العلا.. أكبرهم هو المهندس «المُوَفَّق»، وأصغرهم هو محمد.

يقول الشيخ أحمد أبو العلا: أكبر البنات هى دعاء، وهى طالبة فى كلية التجارة وكانت تزوجت ولكن زوجها توفى بعد أن أنجبت منه طفلا اسمه جمال وهى الآن متزوجة وتدرس فى نفس الوقت.

ويضيف قائلا: عندما زوّجتها لم أغال فى المهر وتركته يفعل ما يتفق واستطاعته، أما الابنة الثانية فهى آية وهى متخرجة من كلية التجارة ومتزوجة من رجل أعمال، والابنة الثالثة هى فاطمة تخرجت من كلية الخدمة الاجتماعية وحصلت على دبلومة، والرابعة هى إيمان طالبة فى كلية الحقوق، أما محمد وهو أصغر الأولاد فهو طالب فى معهد اللغات والحاسب الآلى.

قصة كفاح

ولدعاء قصة كفاح ترويها لنا قائلة: تزوجت وأنا فىْ الخامسة عشرة من عمرى وكنت فى السنة الثانية من المرحلة الثانوية وكان زوجى ميسور الحال، فتركت التعليم وأنجبت ابنى جمال، ولكن زوجى توفى بعد أربع سنوات، فأصر والدى على استكمال تعليمى وقدم لى فى الثانوية العامة قبيل الامتحان بشهور قليلة، فحصلت على مجموع ضعيف أدخلنى المعهد الفنى التجارى، ولكنى

تفوقت فى المعهد وحصلت على مجموع كبير شجعنى على إكمال دراستى فى كلية التجارة.

ودعاء تعمل - فى نفس الوقت - بالعلاقات الخارجية فى وزارة الأوقاف وهى إدارة تختص بتنظيم إيفاد الدعاة والأئمة إلى دول العالم فى مختلف المناسبات.

بالفطرة

يتبع الشيخ أحمد أبو العلا مع أولاده أسلوبا خاصا فى التعامل يجعلهم يجلّونه ويحترمونه، فهو لا يحب العنف، وأقصى ما يمكن أن يفعله إذا ما غضب من أحدهم، هو أن ينظر إليه نظرة خاصة ولا يكلمه، فيفهم الابن أو الابنة أنه قد أغضب والده وهو فى رأيهم أقصى عقاب يمكن أن ينالهم.

تقول دعاء:

والدى غير متزمت فهو دائما يوجهنا بالحسنى ولا يميل للشدة أو العنف، والحقيقة إننا نحرص على طاعته ونبتعد عما قد يغضبه، وقد نشأنا ونحن نعرف الصواب والخطأ بالفطرة، وعلى سبيل المثال.. قبل ارتدائنا للحجاب تعلمنا منذ الصغر ما هو الحجاب ومتى ترتديه الفتاة، فكان من الطبيعى أن نرتديه فى الوقت المناسب بمجرد أن لفت والدنا أنظارنا إلى ذلك.

وهى ترى فى والدها النموذج المثالى للرجال وتقول:

إن والدى يتمتع بصفات طيبة كثيرة منها العطف واللين والشدة فى نفس الوقت ولكن فى الوقت المناسب، فهو يختار دائما السلوك المناسب للموقف المناسب، ولذا أتمنى أن يكون زوجى على هذه الصورة.

ما هو المناسب

أما إيمان أصغر بنات الشيخ أحمد أبو العلا فهى طالبة فى السنة الثالثة بكلية الحقوق تقول:

كنت أتمنى أن ألتحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية أو كلية الإعلام ولكن حدثت لى ظروف تسببت فى عدم حصولى على مجموع كبير فالتحقت بكلية الحقوق، ثم اكتشفت بعد ذلك أنها كلية تناسب ميولى.

وإيمان تحرص على ختم القرآن كلما استطاعت، وتحب قراءة القصص، ولا ترى فى مشاهدة الأفلام السينمائية أى غضاضة، وتقول:

نعم.. نسمع الأغانى ونشاهد الأفلام، ولكن نترك لأخى المُوَفَّق وأخى محمد اختيار ما هو مناسب منها.

مكافأة استيعاب

ويقدم الشيخ أحمد أبو العلا نموذجا طيبا لما ينبغى أن يكون عليه الأب الذى يرعى أولاده ويلازمهم، فهو لم يتركهم يأخذون دروسا خصوصية، وإنما كان هو المدرس المتفرغ لهم إذا لزم الأمر، وفى ذلك تقول دعاء:

كان والدى يحب أن يجمعنا حوله فى كل يوم ليقدم لكل منا ما يحتاجه من مساعدة أو شرح أثناء مذاكرته، وكان يصحبنا معه إلى المسجد لنحضر الدروس الدينية وكان يختبر فهمنا واستيعابنا لما سمعناه من دروس فى المسجد، فكان يكافئ من يجده أكثر استيعابا وفهما، فكنا نتبارى من أجل الحصول على المكافأة والذهاب مع والدنا فى المرة القادمة.

وفى نفس الوقت.. لم يحرم الشيخ أحمد أبو العلا أولاده من أسباب الترفيه فأشركهم فى نادى الغابة ولم يعارض ممارستهم للرياضة، تقول دعاء:

جميعنا مارس لعبة كرة اليد ولكننا كنا نحرص على الذهاب إلى النادى جميعنا فى إطار الأسرة، فلا يذهب أحدنا بمفرده.. ولذا فأنا أحرص على أن يمارس ابنى جمال الرياضة وأشركه فى لعبة كرة اليد وهو يريد أن يتعلم المصارعة.

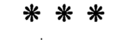
أخت وصديقة

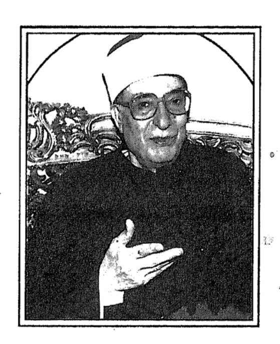
تزوج الشيخ أحمد أبو العلا زوجته وهى فى الرابعة عشرة من عمرها، ولذا يعتبرها الأولاد أختًا وصديقة قبل أن تكون أمًا فهى قريبة جدا منهم ولا يوجد أى حاجز بينها وبينهم ـ كما تقول دعاء. وتضيف:

لقد تعلمتُ من والدتى احترام الزوج، وأن الزوجة الصالحة هى التى تتحمل زوجها وتعيش معه فى السراء والضراء، وقد ضربت لنا المثال على ذلك، فقد تحملت مسئوليتنا وحدها فى أوقات كثيرة بسبب سفر والدى أو عند دخوله المعتقل، كما علمتنا الاحترام الشديد لوالدنا فقد عودتنا أن نقبل يده فى الصباح، وقبل ذهابنا إلى النوم، وهى تحرص على ألا تزعج والدى بمشكلاتنا حرصا على راحته، فتتحمل هى مواجهة هذه المشكلات وحلها إن استطاعت أو تختار الوقت المناسب لإخبار والدى بها.

تعمل فاطمة.. الابنة الثالثة للشيخ أحمد أبو العلا.. فى وزارة الأوقاف فى إدارة التنظيم والإدارة وهى تهوى القراءة وتقول:

لدى والدى مكتبة كبيرة، ولذا أحرص على قراءة كل ما يقع تحت يدى من كتب، خاصة الكتب الدينية.





في دقادوس، كنا نمارس الرياضة برئاسة الشيخ الشعراوي.

الشيخ سيد سعود

الشيخ سيد سعود فى بيته

عندما فكر الشيخ سيد سعود فى السكن، اختار أن يسكن فى جزيرة مَنْيَل الروضة، حيث المكان يشبه إلى حد بعيد بلدته دقادوس.. ففيه نهر كبير وآخر صغير، والحى بينهما.

وعندما قرر أن يتزوج، سأل أقرب الأصدقاء إليه عن زوجة مناسبة، فأشار عليه هذا الصديق بابنة أخيه، وأسفر زواجه عن ثلاثة أولاد: سهام ـ وهى مُدَرِّسَة للغة الإنجليزية ـ والمهندس أيمن، والرائد أسامة.

وقد اشتهر الشيخ سيد سعود ـ وكيل الأزهر الأسبق ـ طوال حياته بالصراحة الشديدة والحزم الأشد فى العمل، فلم يجد أىُّ شخص إليه سبيلا، سواء بالوساطة أو المحسوبية أو المحاباة. وكان فضيلته ـ رحمه الله ـ ضميرا حيا لمن عمل معه من مشايخ الأزهر ووزراء الأوقاف.. يواجههم فى كل وقت برأيه دون مواربة أو خوف قائلا «هذا خطأ».. بل إن بعضَهم ـ كالشيخ عبد العزيز عيسى مدير الأوقاف الأسبق، رحمه الله ـ كان يقول له: إذا لم تدخل علىّ فى أى وقت قائلا إن هذا القرار خطأ ـ إذا كان خطأ ـ فسوف يسألك الله عنى!.

أحمد السيد

ولد الشيخ سيد سعود واسمه الحقيقى أحمد السيد أحمد فى عام ١٩٢٨ بقرية دقادوس مركز ميت غمر دقهلية، وحفظ القرآن الكريم فى كتاب سيدنا الشيخ عبد المجيد باشا وكان شيخ الكتاب ـ كما يقول فضيلة الشيخ سيد سعود ـ من أجود

المحفظين ليس على مستوى دقادوس أو على مستوى المركز فقط، بل على مستوى محافظة الدقهلية كلها، كان رجلا فاضلا، ويروى لنا فضيلة الشيخ سيد سعود ذكرياته فى كتاب القرية قائلا:

كان الكتاب فى الجهة البحرية من القرية وكان بيتنا فى الجهة المقابلة وعلى الرغم من ذلك وبالرغم من صغر سنى (٧ سنوات) كنت أحرص على الذهاب إليه قبل صلاة الفجر، لأصلى الفجر مع شيخ الكتاب ثم أقوم بتسميع ماحفظته، وقد كان الشيخ ـ عليه رحمة الله ـ يحبنى، فكان يجعلنى عريفا على باقى الطلاب، وكان يفعل ذلك أيضا إكراما لوالدى وللأسرة، فأنا أنتمى لأسرة كلها محبة للقرآن والعلم.

احتفال توديع

وبعد أن ختم الشيخ سيد سعود القرآن التحق بمعهد الزقازيق الأزهرى وهو فى الحادية عشرة والنصف وفى ذلك اليوم أقيم له احتفال توديع على محطة القطار يحكيه لنا قائلا:

على الرغم من أن المسافة بين بيتنا ومحطة القطار تقل عن الكيلو جاء نائب العمدة وشيخ الخفر والخفر كلهم لتوديعى فقد كان شرفًا كبيرًا أن يسافر واحد من العائلة لطلب العلم فى الأزهر. ويصف الشيخ سيد سعود بلدته بحب قائلا: تجمع بلدتنا دقادوس الناس الطيبين بين أخلاقيات الريف وبين استنارة أهل البندر، فقد كان يمكن للطالب ـ فيما عدا الأزهريين ـ أن يتعلم فيها حتى المرحلة الثانوية فى المدارس الأميرى، أما طالب الأزهر فهو مضطر للتغرب فلم يكن هناك فى كل قطر مصر سوى خمسة أو ستة معاهد أزهرية فقط فى طنطا وشبين الكوم والقاهرة والإسكندرية وسوهاج، فكان التعليم فى الأزهر مكلفًا وفيه مشقة أما التعليم العادى فلم يكن فيه هذه المشقة لأن طالبه لم يكن يتغرب إلا عند ذهابه للجامعة.

حوارات فى الأدب

وسافر الشيخ سيد سعود إلى الزقازيق والتحق بمعهدها الأزهرى وكان من حسن حظه أن سكن مع طلاب من بلده وأقربائه فى نفس الوقت وكانوا أكبر منه فى السن فتعلم منهم الأدب والخلق الرفيع وفى ذلك يقول:

لقد أكرمنى الله بمن كانوا أكبر منى فى السن فى معهد الزقازيق فأنا أدين لهم بكل عرفان ومنهم الأستاذ محمود محرم الذى عمل مديرا للتعليم بعد تخرجه والأستاذ عبد العزيز البلتاجى، فقد كان خلقهم واستقامتهم وأدبهم خير معين لى، كانوا يجتمعون على أشياء جميلة، وكانت حواراتهم كلها فى الأدب والشعر والعلم وقد كنت أقيم معهم فأستمع إلى هذه الحوارات وهذه المناقشات وأبهر بها وأتعلم منها، وقد كان ذلك توفيقا من الله سبحانه وتعالى أن وضعنى فى بيئة صالحة طيبة.

القرآن فى الطريق

كان الشيخ سيد سعود وزملاؤه يسكنون فى منطقة تسمى الحسينية فى الزقازيق وفى كل يوم يتناولون الغداء ثم يخرجون مشيا إلى بحر مواس وهم يسمعون القرآن، حتى إذا وصلوا للجسر يتجهون إلى وابور النور.

يقول الشيخ سيد سعود: وابور النور عبارة عن حديقة غناء لايوجد مثيل لها فى الجمال كان كل واحد منا يختار له ركنا يجلس فيه دون إزعاج ويستذكر دروسه، وعند عودتنا نتوضأ فى المصليات المنتشرة على بحر مواس ونصلى وكثيرا ما شرح لى أصدقائى هؤلاء كل ما يستعصى على فهمى فكنا ندخل الدرس فى اليوم التالى ونحن نحفظ ما سيقوله المدرس قبل أن يقوله، ولهذا كان المدرسون يحرصون على أن يشرحوا لنا كل جديد، لأن ماهو موجود فى الكتاب يعرفه الطلاب ويحفظونه.

بعد ذلك حصل الشيخ سيد سعود على الابتدائية الأزهرية، وكان الصيف

بالنسبة له ولزملائه من أبناء القرية، مدرسة من نوع آخر كلها ثقافة وأدب مديرها هو عبد الفتاح باشا، يقول الشيخ سيد سعود:

كان عبد الفتاح باشا هو الراعى الأول لكل طلاب القرية، وكان قد أوشك على التخرج من كلية دار العلوم ولم يكن له سوى شقيقة واحدة، فكنا جميعا نلتقى فى حديقته، نذهب دون دعوة نفرش الحصر ونجلس عليها وندخل مكتبته لنأخذ مانشاء من كتب فقد كان لديه مكتبة ثرية بالنفائس فى كل العلوم والفنون وكان عبد الفتاح باشا له تأثير على جميع المتعلمين فى بلدتنا فقد كان يكرس وقته لمساعدة من يشاء من الطلاب فى أى مادة من المواد ويذاكر له، نعم.. لقد كان لعبد الفتاح باشا فضل كبير علينا جميعا.

الشعراوى.. والرياضة

كان الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى ـ رحمه الله ـ من دقادوس وهناك صلة قرابة تربطه بالشيخ سيد سعود، وكان أكبر منه سنا ففى الوقت الذى كان الشيخ سعود لايزال تلميذا فى معهد الزقازيق، كان فضيلة الشيخ الشعراوى فى سنتى التخصص بعد التخرج من كلية اللغة العربية، وكان لا يعود إلى دقادوس إلا فى الأجازات فقط حيث مجال العلم والأدب.. والرياضة.. يحكى الشيخ سيد سعود ذكرياته مع الشيخ الشعراوى قائلا:

كان فى بلدتنا دقادوس ناد رياضى جميل رئيسه هو الشيخ محمد متولى الشعراوى، وكان من الأشياء الجميلة، تلك العبارة التى كتبها على جدار النادى يقول فيها: الرياضة فن القلوب، تخرج الجد من اللعب وتهب الراحة من النصب.

وكنا نمارس فى هذا النادى رياضة كرة القدم، ثم نعود إلى بيوتنا نتناول وجبة سريعة ثم أذهب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لأصطحبه إلى مجلس كبار رجال البلدة، فكنا نخرج جميعا نجتمع عند الجسر نجلس معه ونستمع إليه

وهو يتحدث فى الشعر والنثر بل وفى «النكت» أيضا، كان هذا المجلس يضم كل المثقفين فى دقادوس.

دقادوس بلد الخير

لا يعانى أبناء دقادوس من الضغوط الاقتصادية ـ كما يقول الشيخ سيد سعود ـ فالأرض طيبة ومن لايملك الأرض يمتصه البندر فيعمل فى المتاجر والمصانع، ويتسم أبناء هذا البلدة بالوفاء الشديد لها، فلا يحدث مطلقا أن يقضى أحد أبنائها أحد الأعياد خارجها، وفى ذلك يقول الشيخ سيد سعود:

قبل العيد بأسبوع يتوافد أبناء دقادوس عليها من جميع أنحاء الجمهورية ليقضوا أيامه فى بلدتهم، لايتخلف أحدهم عن ذلك مهما كانت الأسباب، أنا شخصيا لم يحدث أن تخلفت عن قضاء العيد فى بلدى فى إحدى السنوات، ولليلة العيد فى بلدتنا تقاليد نحرص عليها، فنحن فى هذه الليلة نمر على البيوت لتوزيع الزكاة، ثم نصلى العيد فى الصبح ونخرج إلى المقابر.

فى السعودية مع الشعراوى

كان هذا فى فترة الأربعينيات، حتى حصل الشيخ سيد سعود على شهادة الثانوية الأزهرية والتحق بكلية الشريعة وتخرج منها فى عام ١٩٥٤ وكان هناك فترة انتظار بعد التخرج قبل التعيين فى الأزهر سافر فيها إلى السعودية عند فضيلة الإمام الشعراوى، يقول الشيخ سيد سعود: نصحنى فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى بالسفر معه إلى السعودية حتى تصدر قرارات التعيين، وكان الذهاب إلى المملكة السعودية فى ذلك الوقت لا يحتاج إلى تأشيرة أو جوازات سفر، فذهبت عنده سنة حتى صدر قرار تعيينى فى الشرقية، ثم أكرمنى الله وعملت فى القاهرة. فى ذلك الوقت كان الشيخ محمود شلتوت رحمه الله وكيلا للأزهر والشيخ عبد الرحمن تاج شيخا للأزهر وكان مدرسونا فى الكلية هم الشيخ شلتوت والشيخ عبد الله المشد والشيخ عبد العزيز عيسى، فأخذونى للعمل معهم فى الإدارة، واشتغلت مع الشيخ عبد العزيز عيسى ـ عليه رحمة الله ـ فى التفتيش.

مسئول عنى!!

كان للشيخ سيد سعود ذكريات كثيرة مع فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى رحمه الله، فقد كان يعتبره ابنا له ويثق فيه ثقة عمياء. يروى لنا الشيخ سيد سعود جانبًا من هذه الذكريات قائلا:

عندما عملت مع فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى فى التفتيش، كنت أهتم بقراءة تقارير مراقبى التفتيش وقد كانت هذه التقارير تكتب بمنتهى الدقة، فتقرأها وكأنك ترى وتسمع من كتب عنه التقرير، فقد كان مفتشو المعاهد يصفون شيخ المعهد ملابسه وحديثه وسلوكه، لا يتركون منه شيئا، كل ذلك بأسلوب رفيع المستوى، ساعدنى ذلك على معرفة مستوى شيوخ المعاهد والمدرسين. فلما أصبح الشيخ عبد العزيز عيسى رئيسا لقطاع المعاهد أخذ معه تلاميذه للعمل معه فى هذا القطاع وهم الشيخ محمد عامر والشيخ عبد الحكيم نعناع وأنا، فكان إذا أراد اختيار شيخ لمعهد سألنا، فيقترح كل منهما اسما وأطلب أنا إبداء رأيى فى اليوم التالى. حيث أعود إلى أوراقى وتقاريرى وأعود إليه بعدة أسماء وأتركه يختار منهم ما يشاء. لذا كان عليه رحمة الله يثق فى ثقة عمياء حتى أنه عندما عين وزيرا للأوقاف طلبنى وقال لى: كل من يعمل فى هذا المبنى سوف يؤيد كل ما أقول ولا يعترض على قراراتى، لكننى أعلم أنك لا يمكن أن ترى شيئا خطأ وتسكت عليه، لذا فأنا لا أطلب منك أكثر من ذلك، إذا رأيتنى أفعل شيئا خطأ تخبرنى بذلك فأنت مسئول عنى أمام الله، وإن لم تفعل ذلك سوف أقول لله عندما يسألنى إن سيد سعود لم يخبرنى!! وقد كان.

لا يندفع

كان الشيخ عبد العزيز عيسى أزهريًا يعتز بأزهريته، طاهر اليد وكان شديد الذكاء بل أذكى ممن حوله لذلك كان يعتز بآرائه، ويروى الشيخ سيد سعود موقفا له معه يقول: إننى أرى أن العمل لابد وأن يكون جماعيًا فالشاعر يقول:

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليـه اجتهـاده

أذكر أن الشيخ عبد العزيز عيسى سألنا فى أحد الأيام قائلا.. نريد شيخًا للمعهد الفلانى وأنا أرى فلانا هو الأنسب فسكت الشيخ محمد عامر والشيخ عبد الحكيم نعناع، وقلت له أنا: لا ينفع!!

فرد قائلا: لماذا؟ قلت له: لقد درس لى وأنا أعرفه، إن مظهره لا يتناسب مع منصب شيخ المعهد، شيخ المعهد ينبغى أن يكون على مستوى عال من الوجاهة والأبهة حتى يبعث الاحترام والرهبة فى نفوس الطلاب، وهذا الرجل رغم ثرائه لا يهتم مطلقا بمظهره.

فرد قائلا: ياشيخ سعود، هذا الرجل زميلى، أفأكون أنا رئيسا لكل المعاهد، ولا يصح هو أن يكون رئيسا لمعهد واحد فقلت له: نعم لا ينفع.

أنت قلت

ثم عاد بعد ذلك بعدة أيام وطرح نفس الموضوع فقلت له نفس الرأى وعقبت قائلا: يامولانا مادمت مصرا على هذا الاختيار، فأنت وما تشاء، وانقضت بعد ذلك فترة ثم فوجئت به فى أحد الأيام يقول لى: ياشيخ سعود ألن تذهب لزيارة أبيك، فقلت له: لا، قال: لا تأت صباحا هنا وتسافر إلى المعهد الفلانى (يقصد المعهد الذى أصر على اختيار شيخ له) تقول لشيخه، لا يصح ألا يهتم بمظهره إلى هذا الحد وتلفت نظره، فقلت له: يامولانا ألم أقل لك!!

وبالفعل ذهبت إليه وأخبرته برسالة الشيخ عبد العزيز عيسى، وبعد ذلك بشهر كنا نجلس معه فى المكتب نورد فى الحديث سيرة شيخ هذا المعهد، فإذا به يسب من قام بتعيينه.

فرددت قائلا: أنت الذى فعلت ذلك. فأخذ يضحك ـ عليه رحمة الله ـ حتى ظهرت نواجذه، وقال: لقد كان كثيرا على أن أكون أنا شيخا للمعاهد كلها

وزميل لى لا يكون حتى شيخا لمعهد، فقد كان رحمه الله شديد الوفاء لزملائه.

الشيخ سعود.. والقانون

كان للشيخ سيد سعود دور فى تطوير قانون الأزهر، بل هو الذى كلف بإعداد بنوده وكتبها بيده ، عندما كان الشيخ عبد العزيز عيسى وكيلا للأزهر والشيخ عبد الحليم محمود وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر، كان هناك موقف للشيخ عبد الحليم محمود لا ينساه الشيخ سيد سعود ويحسبه له التاريخ يروى الشيخ سيد سعود هذا الموقف قائلا:

كنت فى ذلك الوقت أعمل وكيلا لإدارة الامتحانات ولم تكن اللائحة التنفيذية لقانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ قد خرجت للنور بعد، وكان القانون يعطى كل الاختصاصات لوزير الأوقاف وشئون الأزهر ولا يمنح شيخ الأزهر أية اختصاصات فاجتمع الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ عبد العزيز عيسى وطلب منه تعديل القانون وإدخال عليه ما يمنح شيخ الأزهر السلطات اللازمة فأرسل الشيخ عبد العزيز عيسى فى طلبى، فبدأت وصديقى أحمد صادق وكان مدير مكتب وكيل الأزهر (وهو فى نفس الوقت عم زوجتى) نقوم بإدخال بعض التعديلات التى تمنح شيخ الأزهر سلطات أوسع، وعرض الشيخ عبد العزيز عيسى هذه التعديلات على الشيخ عبد الحليم محمود، فإذا به وهو وزير للأوقاف يطلب تعديله فى ثانية ليمنح كل الاختصاصات لشيخ الأزهر وألاّ تتعدى اختصاصات وزير شئون الأزهر المسائل المالية والميزانية!! وبالفعل قمنا بتنفيذ المشروع وصدر به قرار جمهورى.

الشيخ جاد.. وطبيعة القاضى

كان الشيخ جاد الحق عليه رحمة الله فيه طبيعة القاضى، لا يتسرع فى اتخاذ أى قرار حتى يدرسه ويمحصه ويبحثه، وفى ذلك يقول الشيخ سيد سعود: قضى الشيخ جاد الحق حياته فى القضاء، فجعلته طبيعة القاضى لا يتسرع فى إصدار أى

قرار إلا بعد أن يسأل ويدرس ويحقق حتى يتأكد من صحة هذا القرار، وقد تسببت هذه الطبيعة فى بطء عجلة الإدارة، وفى الغضب الشديد منى لأننى أصدرت فى إحدى المرات قرارا ثم رجعت فيه. ويضيف الشيخ سيد سعود قائلا: لقد كان عليه رحمة الله يثق فى ثقة عمياء ولذا مد لى العمل وكيلا للأزهر أربع سنوات.

عن طريق الصديق

وقصة زواج الشيخ سيد سعود قصة تقليدية تثبت أن أفضل زواج وأنجحه هو الزواج التقليدى، ففى عام ١٩٦٢ تحدث الشيخ سيد سعود مع صديقه الأستاذ صادق عن رغبته فى البحث عن عروس. فرشح له الأستاذ صادق ابنة أخيه، ويروى فضيلة الشيخ سيد سعود قصة زواجه قائلا:

بعد تخرجى من الكلية كنت أتحدث مع صديقى الأستاذ أحمد صادق فجاء ذكر الزواج، فرشح لى صديقى ابنة أخيه، فى ذلك الوقت دفعت مهرا حوالى مائتى جنيه، ولم يكن هذا المبلغ صغيرا فى ذلك الوقت فقد كانت حجرة النوم بحوالى أربعين جنيها، وحجرة الصالون بسبعين جنيها، وأسفر الزواج عن ثلاثة أولاد هم أمل وتعمل مدرسة لغة إنجليزية وأيمن ويعمل مهندسًا والرائد أسامة فى الرقابة الإدارية.

على ما عوده أبوه

أسأله: هل يحفظ الأولاد القرآن وهل كنت تستخدم معهم الشدة ليواظبوا على فروض الصلاة؟ فيجيب: هم يحفظون القرآن قدر استطاعتهم ولا يتركونه فهم يواظبون على قراءته، والحقيقة أننى لم أجبرهم على شىء وإنما أحرص فقط على التزامهم بالأخلاق الحميدة.

ويتبع الشيخ سيد سعود مع أولاده فلسفة خاصة فى المعاملات المالية، لهذا لا يعطى أحدهم مالاً قط ولكنه يخبرهم فقط بمكان المال. وهم يأخذون ما يحتاجون، وفى ذلك يقول:

لقد كان والدى عليه رحمة الله يفعل ذلك معنا، لا يعطى لأحد منا مالاً، وإنما يخبرنا فقط بمكانه، وكنت أتولى شراء كيماوى الأرض ومستلزمات إخوتى والآن أسلك مع أولادى نفس السلوك بعد أن وجدته أسلوبا ناجحًا فى التربية، فلم يحدث مطلقا أن أخذ أحدهم أكثر مما يحتاجه وهم يعلمون دخلى ويعلمون إمكانياتنا، ويعلمون أن هذا المال مالهم، لذا كانوا يحرصون عليه.

زواج الأسرة

نشأت السيدة سهام شفيق محمد غالب زوجة فضيلة الشيخ سيد سعود فى مجتمع ريفى، لم يكن فى قريتهم بالشرقية تعليم إلا للمرحلة الإعدادية فقط ومن كان يرغب فى التعليم الثانوى، كان عليه أن يذهب يوميا إلى بلدة أخرى، ولذا ولأن والدها كان رجلاً محافظًا جدا، لم تكمل تعليمها بعد المرحلة الإعدادية، وفى ذلك تقول:

كان والدى رجلاً محافظًا جدا، يرفض أن يدعنا نذهب إلى قرية أخرى لاستكمال تعليمنا فى المرحلة الثانوية ولكنه كان يدع الصبيان يذهبون ولذا لم نكمل تعليمنا بعد المرحلة الإعدادية.

ولأنه فى المجتمع الريفى لا تسأل الفتاة عمن سيتزوجها، علمت فقط أنها ستتزوج من شيخ حسن السمعة من أسرة كريمة اسمه سيد سعود فالزواج هو زواج الأسرة، تقول السيدة سهام:

كان والدى هو الذى يختار أزواج بناته ويبحث عن الصالحين منهم، وقد كان عمى زميلا للشيخ سيد سعود وأدرك أنه من أسرة طيبة كريمة، ورحب به والدى عندما علم أنه ابن شيخ فاضل وقال له إنه يشترى رجلاً لابنته، وفى رأيى أن الزواج التقليدى هو الأسلوب الأمثل للزواج.

لا أرغب

أحيانا يحب فضيلة الشيخ سيد سعود أن يعد لنفسه شرابا أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن السيدة سهام لا ترغب فى هذا النوع من التعاون وتقول:

إننى لا أحب أن يدخل زوجى المطبخ أو أن يتدخل فى شئونه، عكس ما ترغب فيه الزوجات فى هذه الأيام.

أمل.. والترجمة

على الرغم من أن أمل السيد سعود الابنة الكبرى للشيخ سيد سعود تخرجت من كلية التجارة إلا أنها عملت مدرسة للغة الإنجليزية، فاهتمت باستكمال دراستها فى الجامعة الأمريكية فى الترجمة.

وأمل متزوجة من المحاسب محمد عبد الله ويعمل فى السعودية ولديها نهى (٥ سنوات) ومنير. تقول عن تربية ابنتها وابنها: أحرص أنا ووالدهم على أن يكون أسلوب تربيتنا لأولادنا واحدًا، فلا يحدث أن أعاقب نهى مثلا على فعل ويعارض والدها ذلك أو العكس، وأمل الآن فى أجازة بدون مرتب لرعاية طفليها وتقول:

نهى فى الحضانة، ولكنها مطالبة يوميا بكثير من الواجبات فهى فى حاجة دائما إلى وجودى بجوارها وكذا ابنى.

وبعد أن كانت أمل تهتم بقراءة كتب التفسير والأحاديث والأدب وتقرأ لتوفيق الحكيم وطه حسين والعقاد وفيكتور هوجو وشكسبير وديستوفيسكى.. أصبح كل اهتمامها ينصب على قراءة القصص العربية لابنتها نهى وأن تستذكر لها دروسها.

وتقول أمل عن زوجها: إن زوجى محمد زوج متعاون إلى حد بعيد فعندما سافرت معه إلى السعودية كسرت رجلى واضطررت إلى ملازمة الفراش وعدم الحركة مدة ستة أشهر، كان فيها نعم الزوج، فقد كان يقوم بعمل كل شىء.

عيوب.. ومميزات

أحب المهندس أيمن سيد سعود ـ الابن رقم (٢) فى أولاد الشيخ سيد سعود ـ منذ الصغر الهندسة، وكان يحلم منذ أن كان طالبا فى المرحلة الإعدادية بأن يصبح فى يوم ما مهندسا، فهو يحب قراءة الموضوعات العلمية والرياضية ولذا تحقق حلمه وأصبح مهندسًا يحكى لنا قصة زواجه فيقول:

رأيت زوجتى فى أحد الأفراح، فأعجبت بها، وطلبت من والدى أن يخطبها لى، فزواجى زواج تقليدى ناجح، أسفر عن طفل صغير اسمه مهند، وزوجة المهندس أيمن تعمل محاسبة فى إدارة مدرسة خاصة.

أيمن... والقرآن

ويحرص المهندس أيمن على قراءة القرآن وحفظ ما يستطيعه منه ويقول:

إن القرآن فى قلبى وليس فقط على لسانى، ويقول: إننى أعلم إلى أى مدى يكون ثواب حافظ القرآن وثواب من يتوفاه الله وهو يحفظ القرآن، لهذا أحرص على المواظبة عليه وأنوى إن شاء الله أن أحفظه لابنى مهند. ويهوى المهندس أيمن القراءة فى الاجتماعيات فهو يهتم بكل القضايا التى تمس المجتمع والفرد.

وآخر أبناء الشيخ سيد سعود هو أسامة، تخرج فى الكلية الحربية، وهو ضابط متقاعد يعمل فى الرقابة الإدارية ويبلغ من العمر تسعة وعشرين عاما.

أسأله . . مالذى استفدته من الحياة العسكرية؟ فيقول:

الحياة العسكرية لا تختلف كثيرا عن الحياة العادية بالنسبة لمن اختار الاستقامة طريقًا له، فالحياة العسكرية ماهى إلا التزام، والضابط والإنسان المستقيم الذى نشأ على التربية الدينية الصحيحة تكون حياته كلها انضباطًا والتزامًا، يكون حريصا على أداء العمل بأمانة وصدق وأن يتعاون مع الآخرين بإخلاص.





أنتمي لعائلة تعتبر الأزهر عِرضها وكرامتها.

د. محمد أحمد المُسَيَّر

د. محمد أحمد المسَيَّر فى بيته

ينتمى الدكتور محمد أحمد المُسَيَّر ـ أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين ـ إلى عائلة وهبت نفسَها للأزهر أبا عن جد، فهى تعتبر الأزهر ـ كما يقول ـ عِرْضَها وكرامتها. . ولذا فلم يشذ أحد أفرادها عن دخوله ولو بلغ أعلى المراتب والدرجات العلمية، فهو ابن الدكتور السيد أحمد رمضان المسير، وكان هذا الأخير أستاذا فى التفسير والحديث.

وعلى عكس ما يحدث عادةً من حفظ القرآن الكريم على يد شيخ فى كُتّاب، فقد حفظه الدكتور محمد أحمد المسير على يد والدته، فقد كان والدُها أستاذا فى كلية الشريعة، وهو الشيخ عبد العزيز متولى المسلول. . فكانت لا تجيد حفظ القرآن فقط، وإنما تساهم أيضا فى نسْخ كتب التراث لوالدها مع النسّاخين!

أما زوجته السيدة وفاء فهى ابنة الأستاذ عبد الحليم الحلو مدير التعليم بالمنوفية، وقد أثمر زواج الدكتور محمد أحمد المسير عن نبتة صالحة من الأبناء الأتقياء، أكبرهم (حذيفة) خريج كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وهو يقوم بإعداد رسالة ماجستير الآن، وثانيهما (حمزة) خريج كلية دار العلوم وهو مدرس لغة عربية فى إحدى المدارس الخاصة، وخطيب فى مساجد الجمعية الشرعية، يحافظ على زيه الأزهرى ويتمسك به، وثالثهما (طلحة) طالب فى كلية دار العلوم، وعلى الرغم من تفوقه فى المجال العلمى وحصوله على مجموع عال فقد صمم على دخول هذه الكلية ليسير على درب أبيه وأخوته،

وبقيتهم مازالوا فى المراحل الأولى من التعليم وجميعهم يحفظون القرآن الكريم ويعتزون بانتمائهم للأزهر الشريف.

أى مفتخرا

ولد الدكتور محمد أحمد المسير فى قرية تسمى «كفر طابلوهه»، مركز تلا بمحافظة المنوفية، من أب يعتز بدينه اعتزازا كبيرا ويعتز بأزهريته حتى أنه ـ كما يقول الدكتور محمد المسير ـ كان يقرأ الآية الكريمة: «ومن أحسن قولا ممن دعى إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين» كان يقرأها هكذا.. «ومن أحسن ممن دعى إلى الله وعمل صالحا وقال ـ أى مفتخرا ـ إننى من المسلمين».. وفى بيته الأزهرى حفظ الدكتور محمد أحمد المسير القرآن الكريم على يد والدته ابنة الشيخ عبد العزيز متولى المسلول، ولأن نشر الكتب فى ذلك الوقت كان أمرا مكلفا، كلف والدها مجموعة من النساخين لينسخوا له كتب التراث، وكان يدفع لهم مقابل الملزمة، فكانوا يتوسعون فى الخط كى يكتبون عددًا أكبر من الملازم وبالتالى يحصلون على مال أكثر، فأرادت والدة الدكتور أحمد المسير، أن تخفف من هذا العبء على أبيها، فكانت تشاركهم فى نسخ هذه الكتب وتجتهد فى ذلك أشد الاجتهاد كى تقتصد لأبيها.

حد يعدى الأصول؟!

التحق الدكتور محمد أحمد المسير بعد ذلك بمعهد شبين الكوم الدينى وجاء ترتيبه الأول على الجمهورية فى المرحلة الإعدادية وعلى الرغم من ذلك آثر أن يدخل القسم الأدبى كى يلتحق بالأزهر ويقول فى ذلك:

القضية عندنا أننا نعتبر الأزهر الشريف عرضنا وكرامتنا، ولذا اخترت القسم الأدبى والتحقت بعد ذلك بكلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة، وقالوا لى وقتها لماذا لا تدخل كلية من كليات القمة مثل اللغات والترجمة فقلت لهم.. مافى أحد يعدى الأصول.

وتخرج الدكتور أحمد من هذا القسم بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف.

أسأل: لماذا اختار هذا القسم؟ فيجيب قائلا:

لأن العقيدة لا تقوم بغير الكتاب والسنة، فإذا درست العقيد أكون بذلك قد درست الكتاب والسنة ولا يلزم أن يكون العكس كما آثرت الفلسفة لأنها تتناسب مع العقلية الرياضية.

وتخرج الدكتور محمد أحمد المسير من كلية أصول الدين عام ١٩٧٢ وحصل على الماجستير ثم الدكتوراه وكان موضوعها «المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه» وهى دراسة للمجتمعات المثالية التى تخيلها الفلاسفة على مدى ٢٥ قرنًا منذ عهد أفلاطون قبل الميلاد إلى المجتمع الحديث متمثلا فى ماركس والمجتمع الشيوعى والعقد الاجتماعى لجان جاك روسو وحصل عليها على درجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

من خدام الحرمين

يعتبر الدكتور محمد أحمد المسير من خدام الحرمين الشريفين فى مجال العلم فقد أعير إلى كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة مدة أربع سنوات، ثم أعير إلى مكة المكرمة لجامعة أم القرى مدة ست سنوات، وفى ذلك يقول:

الحمد لله أننى خدمت الحرمين الشريفين مدة عشر سنوات، وسافرت مؤتمرات وندوات فى جميع الدول العربية كالكويت والعراق والإمارات وعمان كما سافرت إلى إيران وإلى الجمهوريات الإسلامية.

بلا هوية

كما سافر الدكتور محمد أحمد المسير مع وزير الأوقاف السابق الدكتور محمد على محجوب إلي الجمهوريات الإسلامية ووقف على أحوال المسلمين هناك الذين خرجوا من الجب الشيوعى لأول مرة بعد ٧٠ سنة، ويصف لنا أحوالهم قائلا:

مشكلتهم أنهم خرجوا بلا هوية واضحة، فقد كانوا يتوارثون الإسلام بالكلمة وبالتراث وليس بالعلم والفهم، فقد قضت السبعين سنة التى امضوها تحت الحكم الشيوعى على هويتهم الإسلامية، وخرجوا بعد أنقضاء هذا الحكم يبحثون عن هويتهم، ومن هنا فواجب الدول الإسلامية والعربية أن تقف إلى جوارهم حتى يستعيدوا هويتهم، ويكون لهم الدور على الساحة الإسلامية.

إسرائيل.. الأولى!!

ويروى لنا الدكتور المسير ذكرياته عن هذه الرحلة قائلا.. عندما ذهبنا إلى هناك منذ حوالى عشر سنوات وجدنا أن أول الدول التى فتحت خط طيران معهم هى اسرائيل ولم تفعل ذلك الدول الإسلامية والعربية.

أسأله.. وماذا عن دور الأزهر الشريف؟

فيجيب.. الأزهر دوره إرشادى وليس مادى، فإذا لم تكن هناك مساندة مالية كبيرة ودعم من الدول الإسلامية، لن يستطيع الأزهر وحده أن يحقق شيئا.

الأزهر.. والقيادة

يضيف الدكتور محمد أحمد المسير موضحا.. إن هناك أمر هام ينبغى أن نتنبه له، وهو أن الأزهر الشريف وحده هو الكفيل بقيادة الحركة الإسلامية على مستوى العالم.. لماذا؟ لأن الأزهر ليس له اتجاهات تعصبية لمذهب أو لفكر أو لاتجاه سياسى، فالدعوة الإسلامية للأزهر مبرأة، أما باقى الاتجاهات لباقى الدول فتكون موجهةً إما مذهبيا أو سياسيا وهنا مكمن الخطورة.

ويروى الدكتور المسير موقفا شاهده هناك أكد له هذا الرأى قائلا:

فوجئت فى أثناء زيارتى هناك لأحد المساجد، أن واحدا يسألنى: ماحكم الصلاة فى المساجد التى فيها قبور، فصعقت من هذا السؤال وقلت له: يابنى، قبور المسلمين هنا نبشت ومساجدهم هدمت، فأين هى القبور وأين هى المساجد؟! فهذا السؤال موجه من فكر وصلهم لا علاقة له بالواقع أو الساحة التى يعيشون

فيها وهنا مكمن المأساة، أن نصدر خلافاتنا هنا إلى هذه الدول الناشئة ونوجد فيهم خلافات، وهم أحوج ما يكونون إلى الدعوة الصافية النقية البعيدة عن أى اتجاهات مذهبية أو سياسية.

وقد قدم الدكتور محمد أحمد المسير هذا الرأى فى بحث قدمه لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية منذ فترة وقال فيه: إن الأزهر هو الوحيد الذى يستطيع أن يقود الحركة الإسلامية فى العالم لأنه ـ كما يقول ـ مبرأ من التعصب المذهبى والسياسى.

يحلونه عاما.. ويحرمونه عاما!!

كما حضر الدكتور محمد أحمد المسير مؤتمر حقوق الإنسان فى طهران وهناك وجد أن الحقيقة الغائبة هى أن العالم الغربى يتلاعب بحقوق الإنسان وفق هواه، فهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما، فالقضية بالنسبة لهم ليست قيما وأخلاقا ولكنها قضية مآرب سياسية، فإذا كان لديهم هدف سياسى تباكوا حقوق الإنسان وإذا لم تكن لديهم أهداف سياسية، فلتضع حقوق الإنسان وكرامته.

ويقول الدكتور المسير:

إن أرخص دماء فى العالم الآن هى دماء المسلمين، فهم يوضعون أحياء فى مقابرهم ولا يتحرك أحد، وحتى ندرك ذلك، علينا أن نقارن بين مشكلة تيمور الشرقية وما حدث فى الشيشان وكوسوفا والبوسنة والهرسك، فقد تركوهم فى هذه الدول حتى حصدوهم ووقفوا يتفرجون على مذابح المسلمين، لكن خلال شهر أو أقل أو أكثر انتهت مشكلة تيمور!!

وللدكتور محمد أحمد المسير العديد من المؤلفات التى تصل إلى ٢٧ مؤلفًا فى الأديان والفرق الإسلامية والإلهيات وأدب الحوار مع الله التى يرد فيها على توفيق الحكيم عندما قال «حوار مع الله» ومنها المدخل لدراسة الأديان وأصول النصرانية والمسيح ورسالته فى القرآن الكريم كما ألف فى السيرة النبوية والرسول فى رمضان والرسول حول الكعبة.

حق.. وباطل

سألته عن رأيه فى الحوار بين الأديان فقال: قضية الحوار بين الأديان قضية فيها حق وفيها باطل، والحق الذى فيها هو أن نتعاون من أجل أن نعيش جميعا على المستوى الإنسانى الرفيع بلا ظلم وبلا اعتداء، بحيث نحقق الأمن والأمان للجميع بلا شحناء وبلا بغضاء، هذا المعنى نحن نلتزم به وندعو إليه، والقرآن الكريم أكده فى مواطن عدة، والرسول الكريم ﷺ مارسه عمليا، فقضية أن نعيش معا، مهما اختلفت عقائدنا ومهما اختلفت اتجاهاتنا قضية أساسية فطبيعة البشر أنهم مختلفون لكن عليهم أن يتعارفوا، والله تعالى يقول: «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» أما قضية أن نستغل الحوار كخديعة لأحد الطرفين فهذا ما نأباه.. فمعظم المؤتمرات التى عقدت حتى الآن بهدف الحوار بين الأديان تتخذ ستاراً لكفكفة الدمع أو لتهدئة الأوضاع، بحيث إنهم بعد ذلك يسيرون على خطتهم فى التنصير أو التبشير أو محاولة تغيير عقائد المسلمين، لذا فأنا أرى أن القضية تحتاج إلى حذر، ويدلل الدكتور محمد أحمد المسير على صدق كلامه قائلا: إننى أذكر أنه فى الوقت الذى كانت تنعقد فيه لجان الحوار وترسل فيه بعثات لحضور مؤتمرات الحوار، أصدر البابا فى روما بيانا بأنه لن يزور إسرائيل لأنها سمحت ببناء مسجد أمام كنيسة، وهو مسجد شهاب الدين فى منطقة الناصرة مع أن هذه القضية ينبغى أن تحل داخليا، فما شأن الفاتيكان بها، ويحدث هذا فى الوقت الذى يجرى فيه الحوار مع الأزهر!! يتدخل لوأد صوت الإسلام فى هذه المنطقة!!

لقاء أسرتين

للدكتور محمد أحمد المسير فلسفة خاصة بالزواج فهو لا يرى أنه لقاء بين رجل وامرأة وإنما هو فى حقيقته لقاء بين أسرتين ويقول فى ذلك: الإنسان لا يتزوج فتاة وإنما يتزوج أباها وأمها وأخاها وأختها ويتزوج كافة من يحيطون بها، فإذا لم تكن هناك مواءمة وكفاءة ووسط مناسب للطرفين تصبح قضية غير ذات قيمة، ويضيف

قائلا: إننى من أنصار الزواج الأسرى وليس الفردى، والملاحظ الآن أن الزواج بدأ يتجه وجهة تجارية، فأصبح سلعة من يقدم أكثر هو المفضل كعريس، وهذه أيضا مأساة، فلم يعد ينظر فيها إلى القيم والأخلاق والدين، لذا فأنا أرفض النظرتين، الزواج الفردى والزواج التجارى.

ومن هذا المنطلق ولأن الدكتور محمد أحمد المسير حريص على أن يكون الزواج ارتباطا بين أسرتين تجتمعان على تقوى الله ورضوانه، تزوج ابنة خالته السيدة وفاء فهى تتوافر فيها كل الصفات التى يتمناها، فوالدها رجل أزهرى كان مدير التعليم بالمنوفية.

مائتان

سألته. . كم دفع من المهر؟ فأجاب:

على ما أذكر مائتان، ويضيف قائلا:

إننى أرى أن المهر ليس ثمنا للمتعة لأنها مشتركة وهو ليس مقابل تكاليف أو أثاث المنزل لأن هذا واجب الزوج وحده بقدر ما يستطيع، إنما المهر هو رمز للتعبير عن الوفاء والتقدير ولهذا قال الله تعالى: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة» ومعنى كلمة نحلة: عطية خالصة بلا مقابل. . ولذا فأنا أقترح أن يكون المهر على سبيل الرمزية، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «أخفهن مهورا أكثرهن بركة» بعد ذلك ندع للزوج أن يهيئ بيته لكى يعيش فيه مع زوجته كما يريد بلا اشتراطات، وبالتالى نخفف من أعباء وضنك الحياة الأسرية ونيسر سبل الزواج، بدلا من أن يلجأ الشباب إلى مايسمى بالزواج السرى والذى يطلقون عليه خطأ الزواج العرفى، وبدلا من أن يصبح فتياننا عُزّابا وفتياتنا عوانس.

عرفى.. وسرى

أسأله. . ما هو الزواج العرفى وهل هو حرام؟ فيجيب. . إن تحديد المفاهيم هو الذى يصل بنا إلى الحكم، فما الذى يعنيه الزواج العرفى؟! فقد تختلف

المفاهيم من وقت لآخر، بمعنى أنه جاء علينا وقت كنا نعلم أن الزواج العرفى يعنى أن امرأة تتزوج علانية وأمام الناس وأمام الشهود وبلا خفاء، كل ما فى الأمر أنها لا توثق الزواج خشية أن ينقطع معاشها أو شىء من هذا القبيل، هذا الزواج مستكمل لأركانه، فأهلها يعلمون وأهله يعلمون والناس حولهم يعلمون، وهم يمارسون حياتهم الزوجية علانية وبلا خفاء، وليس هنالك أى نوع من المداراة، فهذا الزواج شرعى، ولكن أصبح الزواج العرفى الآن يتخذ شكلا آخر، هو الزواج السرى، الذى يحدث بعيدا عن المجتمع وعن الأسرتين، وأصبح يرتبط بعصابات من الشباب، هؤلاء لا يعدون متزوجين وإنما هم يمارسون الفاحشة وكل ما فى الأمر أنهم خدعوا أنفسهم، مثل هذا الزواج ينبغى أن يكون مرفوضا وهو مؤشر ونذير للمجتمع أن يتراجع عن اشتراطاته المادية وقيوده على الزواج، فإذا كان شباب الجامعات يتزوجون سرا فما المانع أن يتزوجوا بسم الله وعلى كلمة الله وعلانية ويعيشون نفس المعيشة، لماذا نشترط على الشباب أن يجهز شقة من خمس أو أربع حجرات ويأتى بكل الأجهزة الكهربائية؟!

أم ومدرسة

لم تكمل السيدة وفاء زوجة الدكتور محمد أحمد المسير تعليمها وإنما اكتفت بحصولها على الشهادة الثانوية، وفى ذلك يقول الدكتور المسير:

إننى أرى أن كفالة الأم لأولادها تزيح عن الأسرة هومًا كثيرة والحمد لله.. فزوجتى تتولى تعليم الأولاد حتى سن القراءة والكتابة ثم أتولاهم أنا بعد ذلك.. فهى تحفظهم القرآن وتعلمهم القراءة والكتابة وهى والحمد لله تحفظ القرآن، كما أننى أرى أن الأم التى تقدم لمجتمعنا «مسلما صالحًا ورجالاً ونساءً صالحين»، قد أثمرت ثمرة مباركة، فالتى تعمل خارج الأسرة تؤدى جهدًا مشكورًا ولكنه جهد فردى، ولكن التى تهب نفسها لأسرتها تقدم جهدا متعديا، فكفالة الأم لأولادها ولزوجها أنا أعتبره رسالة مقدسة.

ويضيف . . إذا افتقدنا الأم، لن نجد من ينوب عنها، وفى الواقع أن الأولاد ومسئولية البيت مسئولية خطيرة فزوجتى لا تكاد تتوقف عن العمل.

وتتفق السيدة وفاء مع الدكتور محمد أحمد المسير فى هذا الرأى وتروى لنا قصة زواجها قائلة: تزوجت الدكتور محمد أحمد المسير عام ١٩٧٥، وكنت وقتها لا أزال طالبة فى السنة الثانية من المرحلة الثانوية، فلما تقدم لى الشيخ وهو ابن خالتى قال والدى رحمه الله: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه» وكنت أرغب فى إكمال تعليمى، فقال لى: أنا أكمل لك الثانوية، ويكمل لك الشيخ المسير ـ إن شاء الله ـ الباقى، وكان والدى رحمه الله ممن يقدسون الحياة الزوجية والأسرة فقد كانت والدتى ابنة أستاذ فى الشريعة وتوفيت وأنا لا زلت فى المرحلة الابتدائية، فلم يتزوج والدى بعدها وعكف على تنشأتنا تنشئة صالحة. وكان دائما يذكرها بكل خير ويثنى عليها، وبالفعل أكملت الثانوية العامة ثم تزوجت الدكتور محمد أحمد المسير. ثم أنجبت حذيفة ورغبت أن أكمل تعليمى فوافق الشيخ، ولكننى وجدت أن بيتى يحتاجنى ويحتاج إلى كل وقتى، فوهبتُ نفسى لأولادى وتركت التعليم.

وأصبحت السيدة وفاء أمًا ومدرسة لأولادها فى نفس الوقت تغنيهم عن الذهاب إلى الدروس الخصوصية وتقوم هى بهذا الدور، فتقول: لم أنقطع عن التعليم والحمد لله، فأنا أدرس لأولادى منذ الصغر حفظ القرآن والسنة المطهرة والسيرة، حتى حفظوا جميعًا القرآن، كما أننى أذاكر لهم دروسهم.

الكرة والأطفال.. والعلم

يشاهد أبناء الدكتور محمد المسير منذ الصغر التليفزيون ولكنهم لا يشاهدون فيه إلا كل ما هو حلال. .

تقول زوجة الدكتور المسير. . لأن أولادى يعرفون منذ الصغر الفرق بين الحلال والحرام، تعودوا منذ الصغر أن يشاهدوا برامج الأطفال ومباريات الكرة ونشرات

الأخبار وبرنامج العلم والإيمان للدكتور مصطفى محمود، أما ما عدا ذلك فهم لا يحرصون على مشاهدته.

وزوجة الدكتور محمد أحمد المسير منقبة، سألتها.. هل النقاب هو الحجاب الشرعى؟ فأجابت: يقول الشيخ المسير إن الحجاب الشرعى لا يحرم كشف الوجه والكفين، لكننى أتنقب زيادة فى التقرب إلى الله، فهو بالنسبة لى كالصلاة النفل وقيام الليل، وهو شكر لله على نعمه.

حذيفة.. ومرتبة الشرف

أكبر أبناء الدكتور محمد أحمد المسير هو حذيفة، تخرج فى كلية أصول الدين بدرجة امتياز عام ١٩٩٣ من قسم العقيدة والفلسفة، وقد اتفقت ميوله من ميول والده فى اختيار هذا القسم، وفى ذلك يقول: اخترت هذا القسم لأن العقيدة لا تقوم إلا على الكتاب والسنة وقد يكون فيها بعض الجوانب التى لاتوجد فى قسم التفسير والحديث.

أسأله.. مارأيك فيما يقال من أن المطلوب هو التقريب بين المذاهب الفقهية وأن اختلاف الفقهاء فى بعض المسائل يضر بالمسلمين؟

فيجيب: على العكس.. فاختلاف العلماء فيما بينهم رحمة، والأمر سعة فكلهم ينطلقون من الكتاب والسنة ولو كان هناك مذهب واحد لشق على المسلمين، ولا يوجد تباعد كبير بينهم حتى نطالب بالتقريب.

للاجتهاد شروط

ألا ترى أننا نحتاج في هذا العصر لمزيد من الاجتهاد؟

الأجتهاد له شروط، من تتحقق فيه له حق الاجتهاد، وهو مجموعة من المعارف والعلوم والملكات التى تتجمع فى شخص واحد بحيث يستطيع أن يوظف كل ملكة من هذه الملكات لاستنباط الحكم السليم من الكتاب والسنة وحسب القواعد الفقهية، وفى الغالب لن يوجد تضاد مع المذاهب الأربعة، لأن المسائل

الفرعية متجددة والفقهاء لم يستوعبوها كلها، فلابد وأن يكون هناك اجتهاد فى هذه المسائل، بشرط ـ كما قلنا ـ أن تكون هناك ضوابط لهٰذا الاجتهاد وشروط تتحقق فى المجتهد.

ويهوى حذيفة القراءة فى كل العلوم والفنون أو كما يقول أحب القراءة، فأنا أقطف من كل بستان زهرة، وأعتقد أن الإنسان الذى يحصر نفسه فى قراءة علم واحد سوف يشعر بقصور شديد فى حياته العملية، ولذا فلكى ينجح الإنسان فى حياته الخاصة إذا كان يعمل فى مجال الدعوة، لابد وأن يكون لديه معلومات عامة فى كل العلوم.

حمزة.. والزى الأزهرى

تخرج حمزة الابن الثانى للدكتور محمد المسير من كلية دار العلوم، وهو يعمل مدرسا للغة العربية فى إحدى المدارس الخاصة، وعلى الرغم من ذلك فهو يحرص على ارتداء الزى الأزهرى ـ العمة والقفطان والكاكولة. أسأله عن سر إصراره على ارتداء الزى الأزهرى، فيقول: إننى لست غريبا على الأزهر فأنا طالب أزهرى كما إننى خطيب فى مساجد الجمعية الشرعية.

فأقول: ولكن كثيرين من طلبة الأزهر لا يرغبون فى ارتداء هذا الزى ويرون فيه معوقا عن الحركة؟

فيرد قائلا: ليس خطأ الطلاب.. ولكنه خطأ المشايخ الكبار الذين لا يرتدون الزى الأزهرى، فهى ليست قضية الشباب الصغار ولكن العلماء الكبار، وقد تجبر بعض ظروف العمل شخصا على أن يكون أكثر حرية فى غير الزى الأزهرى، ولكن فى نفس الوقت، الذى لديه رغبة فى ارتداء الزى الأزهرى وفى أن يحافظ على أزهريته وشخصيته ويظهر ويعلن عن هويته يكون الأمر له ميسرا.

المرأة.. والحرية

أسأل زوجة الدكتور محمد المسير.. ما رأيك فى قضية تحرير المرأة؟

فتجيب.. المرأة المسلمة فى حاجة إلى أن تعود للمسجد، فقد خرجت إلى العمل وحصلت على حقها فى التعليم ولكنها نسيت أهمية الحفاظ على القيم والأخلاق.

وتضيف: لقد كانت المرأة قديما أكثر علما بالفطرة وأحسن سلوكا أيضا بالفطرة، فقد كانت تقدس الحياة الزوجية وتحسن معاملة زوجها وتحرص على تربية أبنائها وتكون لهم قدوة حسنة فى كل سلوكياتها، وفى رأيى.. أن التحرر لا يكون بترك الالتزام بالسلوكيات الحميدة والقيم الأخلاقية والحشمة، ولكنه يكون بإثراء المجتمع بالأخلاق الطيبة. لقد أعطى الإسلام المرأة كل حقوقها، ولو التزمنا بمنهج الله لحصلت المرأة على هذه الحقوق، فقد كان رسول الله ﷺ يحسن إلى زوجاته ويستشيرهن فى كثير من الأمور، وكان يقول عن السيدة عائشة رضى الله عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحُمَيْرَاَء» وكان يستشير أيضا السيدةَ أمَّ سَلَمَة.

ليس فيها انفصال

يعلق الدكتور محمد أحمد المسير قائلا:

قضية تحرير المرأة لم تكن تنفصل عن قضية تحرير الرجل، ففى الوقت الذى كانت فيه المرأة مهضومة الحق، كانت حقوق الرجل كلها ضائعة فليس فى هذه القضية انفصال بين الرجل والمرأة، والإسلام لا يعرف التفرقة ولا يعرف افتعال المواقف بين الذكورة والأنوثة، والله سبحانه وتعالى يقول: «فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض» ويضيف قائلا.. إن التحرر الحقيقى للإنسان سواء كان امرأة أم رجلا إنما يكون بالولاء الحقيقى لله، إذا حققنا الولاء لله أصبحنا جميعا أحرارًا رجالا ونساء.

مكتبة عامرة

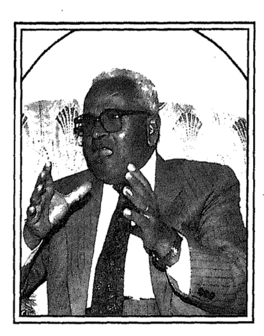
السيدة الفاضلة والدة الدكتور محمد أحمد المسير، من أهل العلم، فقد حفظ أغلب أبناء العائلة القرآن على يديها، وهى إلى جانب هذا تتمتع بروح دعابة وخفة ظل ولا تكف عن إشاعة البهجة والسرور فى كل من حولها.

قالت لى: لقد نسخت كتبا كثيرة لوالدى وقد ترك لنا رحمه الله مكتبة كبيرة عامرة بأمهات الكتب.

وهى الآن قارئة جيدة للصحف، وقد حذرتنى قائلة.. سوف أقرأ ما تكتبين وإياك ألا تكتبى الحقيقة.

وأدعو الله أن تجدنى فى هذا الحوار عند حسن ظنها.





كنتُ أرى في والد زوجتي بعضَ صفات الصحابة.

د. أحمد يوسف

د. أحمد يوسف فى بيته

عندما كان الدكتور أحمد يوسف سليمان - أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم - يؤم المصلين فى مسجد الوايلى الجديد، كان يدعو الله وهو ساجد أن يُزَوِّجَه إحدى بنات الحاج محمد جاد.. ذلك الرجل الذى كان يُشَبِّهُه فى سلوكه ومظهره الحسن وتقواه بالصحابة.. وعندما تزوج إحدى بناته بالفعل، اكتشف أن الحاج محمد جاد هو الآخر كان يدعو الله وهو ساجد أن يُزَوِّجَ إحدى بناته لهذا الشاب التقى الذى كان يؤمهم فى الصلاة ويخطب فيهم الجمعة!

والدكتور أحمد يوسف اسمُه بالكامل: أحمد يوسف سليمان نصر الدين شاهين. ولد فى ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤٢م فى منطقة الوايلى الجديد بالقاهرة، ومع أول إدراك له للكلام والمشى ألحقه والدُه بمدرسة تحفيظ القرآن.. وفى ذلك يقول:

كانت هذه المدرسة فى كوبرى القبة، وكان شيخها - رحمة الله عليه - يسمى خليل حسين زيدان، وقد ترددتُ على سيدنا حتى ختمتُ القرآن وحفظته حفظا جيدا أحمد الله عليه.. والحقيقة أننى بدأت أحفظ القرآن بعد أن بلغتُ ثمانى سنوات، وحفظتُه حفظا جيدا بعد أربع سنوات.. لكننى مكثتُ فى الكُتّاب أحفظ على سيدنا تجويد القرآن وألفية ابن مالك ومبادئ النحو والإلقاء، وما حول القرآن من علوم مختلفة، إلى أن بلغتُ سن الرابعة عشرة والتحقتُ بمعهد

القاهرة الأزهرى عام ١٩٥٦م.. وفى ذلك العام توفى والدى وبدأ العدوان الثلاثى الغاشم على مصر؛ فتوقفت الدراسة ثلاثة أشهر ثم استؤنفت.

من الأوائل

عندما توفى والد الدكتور أحمد يوسف ترك لهم منزلا يعيشون فيه وكان للدكتور أحمد يوسف أخ متزوج وأخت متزوجة فأكمل دراسته بالمعهد الأزهرى حتى حصل على الابتدائية الأزهرية فى عام ١٩٦٠ ثم الثانوية الأزهرية فى عام ١٩٦٥.

وكان الدكتور أحمد يوسف من أوائل الطلاب، ولذا كان يلقى كل التشجيع من شيوخه حتى يستمر فى هذا التفوق، ويقول عن ذلك:

كان من شيوخ الأزهر الذين أعتز بهم وأذكرهم بالخير، فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر وكيل الأزهر عليه رحمة الله، وكان يشجعنى وكذا الدكتور أحمد الشرباصى، حتى حصلت على الثانوية الأزهرية وقدمت أوراقى بعد أن استخرت الله فى كليتى دار العلوم بالقاهرة وكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى نفس الوقت، وفى ذلك الوقت كانت كلية اللغة العربية هى الكلية التى تأخذ أعلى مجموع درجات فى القسم الأدبى، ولأننى كنت ميالاً للعلوم الأدبية اخترت كليتى دار العلوم واللغة العربية، فقُبِلَتْ أوراقى فى كلية دار العلوم.

وقد وفق الدكتور أحمد يوسف فى هذا الاختيار فقد أصبح من أوائل طلاب الكلية، حيث كان يحصل دائما على تقدير لا يقل عن جيد جداً كما كان يحصل على جوائز قيمة لتفوقه.. وتخرج الدكتور أحمد يوسف من كلية دار العلوم بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف الثانية حيث كان الثانى على الدفعة.

أحسن الموجودين فى السوق!!

وعلى الرغم من هذا التفوق والترتيب، لم يعين الدكتور أحمد يوسف معيدا فى كلية دار العلوم على الفور.. وعن ذلك يقول:

كان عميد الكلية آنذاك هو الدكتور محمود قاسم، وكان رجلا عظيما جدا، وكان يرى أن يعين فى الكلية أحسن الموجودين فى السوق وليس بالضرورة أن يكونوا من خريجى دفعة ذلك العام، فيوازن بينهم ويختار الأحسن، فقام بعمل إعلان فى الصحف لهذا الغرض، فى ذلك الوقت قدمت أوراقى فى وزارة التربية والتعليم وعملت بالتدريس حتى قبلت كلية دار العلوم أوراقى واخترت معيدا فى قسم الشريعة بالكلية، وكانت الأقسام كلها تتنافس على الثلاثة الأوائل فالتحق الأول بقسم النحو، واختارونى أنا فى قسم الشريعة واختاروا الثالث فى قسم التاريخ الإسلامى.

أنا والبيهقى

وبدأت رحلة الدكتور أحمد يوسف مع البحث والدراسة لإعداد دراسة الماجستير التى اختار لها موضوع أبو بكر البيهقى وأثره فى علوم الحديث. وأسأله عن سبب اختيار هذا الموضوع، فيقول:

كان يدرس لنا الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود، وهو حاصل على الماجستير فى جعفر الطحاوى، وكانت هناك منافسة علمية كبيرة بين جعفر الطحاوى وأبو بكر البيهقى، فطرح علينا الدكتور عبد المجيد محمود فى السنة التمهيدية بعض البحوث منها بحث عن الإمام البيهقى، فدرست الحديث والسنة وحياة البيهقى وتأثيره فى علم الحديث، والحقيقة أننى لما قرأت فى كتابه «السنن الكبرى»، شعرت أن الرجل قريب جدا من نفسى لأنه شافعى، ولأنه يصوغ الأحاديث ويرتبها بطريقة عجيبة جدا ومنظمة ومنهجية جدا، فأحببت الرجل وأحببت أن أدرسه فى رسالة الماجستير، وقد كان، والحمد لله.

يضيف الدكتور أحمد يوسف: وفى الحقيقة لقد أفادتنى دراسة البيهقى جدا فى إعدادى لرسالة الدكتوراه عن فكر الإمام ابن تيمية، فقد ساعدتنى رسالة الماجستير كثيرا فى فهم الحديث وفهم التفكير الفقهى عند شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله.

كفونا مؤونة ذلك!!

* ما أهمية تنقية الأحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم من الضعيف والموضوع، وما دور العلماء فى ذلك؟

ـ الحمد لله العلماء فى العصور السابقة كفونا مؤونة ذلك، فهناك مصنفات فى الأحاديث الصحيحة فقط وأخرى فى الأحاديث الحسنة وحدها ومصنفات تجمع بين الصحيح والحسن، ومصنفات فى الأحاديث الموضوعة ومصنفات أخرى تجمع بين كل الأحاديث وتبين درجاتها.

* ألا يوجد اختلاف بين عالم وآخر فى تقدير الأحاديث من حيث الضعف والصحة؟

ـ من الممكن أن يقول عالم إن هذا الحديث ضعيف جدًا، ويقول آخر إنه ضعيف فقط، والمشكلة أننا نفهم ضعف الحديث فهما خاطئا.. لأن ضعف الحديث لا يعنى أن الراوى كاذب.. فمعنى أن الحديث ضعيف هو أن الراوى الذى رواه رغم أنه ثقة وعدل ورجل صالح وتقى وورع ولا يكذب أبدا، إلا أن حفظه لهذا الحديث فيه خلل، فقد يخطئ مثلا بنسبة ٢٠٪، ومع ذلك فإن علماء الحديث يقولون عنه إنه حديث ضعيف، أى ضعيف فى درجة الحفظ أما إذا كان العالم ضعيفًا فى الخلق فترفض أحاديثه تماما، فإذا كان الراوى كذابًا، يرفض حديثه نهائيا ويقال عنه حديث موضوع.

صفات الرُّواة

وهناك صفات ينبغى أن تتوافر فى راوى الحديث، هذا ما يؤكده الدكتور أحمد يوسف.. أهمها التمسك بالعدالة والدين والقيم والسلوك الحسن، هذا بالإضافة إلى درجة عالية من الحفظ، فإذا كان تقيًا وورعًا وعلى خلق وحفظه للحديث بنسبة ١٠٠٪ أو ٩٩٪ يكون ما يرويه من الحديث صحيحًا، أما إذا كانت درجة حفظه ٩٨٪، فيكون حفظه حسنًا، وإذا كانت درجة حفظه أقل من هذا يقال عما يرويه من الحديث، حديث ضعيف، ولا يعنى ذلك أن الراوى كاذب.

أمثلة نبوية

ويؤكد الدكتور أحمد يوسف أن العلماء السابقين ـ جزاهم الله عنا خير الجزاء ـ صنفوا لنا الأحاديث المشهورة بين الناس والتى ذهبت أمثلة وحكما وهم لا يعرفون مصدرها، وهى توجد فى كتب السخاوى والمقاصد الحسنة وكشف الخفاء، فهذه الكتب تصنف الأحاديث والحكم والأحاديث الحسنة والأحاديث الضعيفة.

* يعنى هذا أن هناك أحاديث كثيرة مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم ذهبت أمثالا وحكمًا يستشهد بها فى كثير من المواقف؟

ـ نعم.. مثل قوله صلى الله عليه وسلم «حمى الوطيس»، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم «ما ملأ ابن آدم وعاء قط شرا من بطنه» وهذه حكمة.. ومثل «الناس كإبل المائة لا ترى فيها راحلة» يعنى أن الناس عددهم كبير لكن قليل أن تجد إنسانًا فيهم يعتمد عليه، وفى مجمع الأمثال للميدانى باب أسماه «أمثال نبوية» كما ألف الدكتور عبد المجيد محمود كتابا مخصوصًا يجمع فيه الأحاديث التى اشتهرت كأمثال، وأسماه (الأمثال فى الحديث).

السعودية وباكستان

وتدرج الدكتور أحمد يوسف فى سلك التدريس حتى أستاذ مساعد فى عام ١٩٨٥ ثم رقى إلى أستاذ سنة ١٩٩١ فى كلية دار العلوم وسافر إعارة إلى الخارج مرتين.. المرة الأولى إلى السعودية فى عام ١٩٨٣ وقضى بها خمس سنوات والمرة الثانية أعير إلى باكستان فى الفترة من عام ٩٣ إلى ٩٨.. وعمل عميدًا لكلية الشريعة بباكستان.

ويقول الدكتور أحمد يوسف عن مؤلفاته: لى مؤلفات كثيرة غير الماجستير والدكتوراه، فلى حوالى ٢٠ بحثًا وكتابًا أشهرها كتاب فى العبادات وأحكامها وكتاب فى الحديث النبوى باعتبار أن دراستى تتعلق بالحديث النبوى ولى مؤلف فى أحكام الزواج والفرقة، لأن الإمام ابن تيمية اهتم بالزواج والطلاق.

ناديت بالخلع

* اهتممت فى مؤلفاتك بأحكام الزواج والطلاق، وهذا يجعلنا نسأل عن رأيكم فى قانون الأحوال الشخصية الجديد؟

- قانون الأحوال الشخصية الجديد هو قانون إجراءات، الجديد فيه فقط هو الخلع، وقد ناديت منذ أكثر من عشرين سنة بالخلع وقلت إن فيه حلولا لكثير من المشاكل التى تعانى منها الأسرة المصرية من تحكم الرجل ومعاناة المرأة، فالخلع شرعه الإسلام ليعطى المرأة حرية تتوازن مع حرية الرجل.

المهر فقط

* لكن ألا يعنى ذلك أن تحصل المرأة القادرة ماديا فقط على هذه الحرية؟

- لا . . إنه يعنى المرأة الصالحة ولا يعنى القادرة، فالزوجة لن ترد لزوجها فى حالة الخلع سوى المهر فقط الذى أخذته منه.

* وماذا إذا كانت لا تملك هذا المهر؟!

- الإسلام طالب الرجل بأن يكون لديه مروءة ولا يضطرها إلى دفع المهر فمن الممكن أن يتنازل عنه، وينبغى ألا ننسى أن الفقيرة مهرها قليل والغنية مهرها كبير، والزوجة عندما تتنازل عن حقوقها حتى يخالعها زوجها مثل النفقة ومؤخر الصداق والمتعة، لا تتنازل عن حقوق أولادها، فالخلع فى الحقيقة شىء جيد، وإلا كان من الممكن أن تتأذى بعض الزوجات بأزواجهن جَوْرا لسبب من الأسباب ولا تستطيع الخلاص منه لأنه فرض عليها.

الكراهية.. لا الضرر!!

* متى تخالع المرأة زوجها؟

- فى حالة الكراهية فقط . . فهى تكرهه حتى ولو لم يضرها أو يسئ معاملتها . . لأنه لو ضرها وهجرها أو ضربها وأساء معاملتها فيمكنها أن ترفع أمرها للقضاء وتحصل منه على الطلاق دون أن تخالعه.

طيب ولكن..

يضيف الدكتور أحمد يوسف قائلا: ما أراه أن الخلع شىء طيب وفيه حل لمشكلة هامة قد تعانى منها الزوجة وهى كراهية زوجها وعدم قدرتها على تحمل العيش معه، لكنه سيُستَغَل بالطبع مثل أى شىء استغلالا سيئا، فهناك بعض النساء يُرِدْنَ أن يغيرن أزواجهن، لكبر فى السن مثلا، فتلجأ إلى الخلع لتحصل على الطلاق.

* المفروض أن الطلاق بيد الرجل، فهل معنى الخلع أن الرجل يصبح ملزما بتطليق زوجته لمجرد أنها خالعَتْه، حتى ولو كان لا يريد ذلك؟

ـ اختلف العلماء فى هذا الأمر، فمنهم من قال إن الطلاق فى يد الرجل، لكن بعضهم قالوا إن الخلع ملزم بالطلاق، بل إن بعضهم قال إن الخلع يعد فسخا للعقد، وبعضهم قال هو تراض، واختلفوا بعد ذلك فيما إذا كان من حق الزوج أن يقبل أو يرفض.

ويوضح الدكتور أحمد يوسف أمرا هاما وهو أنه من حق ولى الأمر أن يجعل المباح واجباً، فعلى سبيل المثال توثيق عقد الزواج أمر مباح، لكن ولى الأمر جعله ملزما، وحتى لو فرضنا أن من حق الرجل أن يقبل بالطلاق فى حالة الخلع ومن حقه أن يرفض، فمن حق ولى الأمر أن يجعل قبوله للطلاق ملزما.

تحذيرٌ من الخلع

وعلى الرغم من ذلك، فالدكتور أحمد يوسف يؤكد أنه وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كانت ضعيفة حذر فيها من الخلع، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما معناه: المنافقات هن المختلعات، وقال إن المرأة التى تطلب الطلاق من زوجها هى امرأة منافقة.. فالمرأة التقية النقية لا تفارق زوجها إلا لسبب قوى، ولو اختلعت من واحد لا تختلع من ثان وثالث.. وهناك رجال أيضا يفعلون ذلك، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديث آخر وإن

كان فيه ضعف يقول فيه: لعن الله الذواقين من الرجال والمقصود بهم من يطلق زوجته دون سبب ويتزوج بأربعة نساء يغير إحداهن كل فترة وكلما أراد، فهو يتزوج للمتعة الجنسية وللتذوق وهذا أمر نادر.

أحببت والدها

أحب الدكتور أحمد يوسف والد زوجته حبا شديدا وتمنى أن يتزوج من إحدى بناته، ويروى لنا قصة زواجه قائلا:

كان والد زوجتى يمثل عندى مثلا أعلى رغم أنه لم يكن من علماء الأزهر فقد كان مقاولا، ولكنه كان دائم القراءة فى القرآن الكريم وكنت أرى فيه صورة من صور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان رجلا وسيما ووجيها وحَسَن المظهر، يحرص دائما على أهل العلم، ويهوى مجالسهم، كما كان فقيها فى دينه ويلتزم بالسنة المطهرة التزاما كاملا، فلما كنت لا أزال طالبا فى الأزهر، كنت أؤم المصلين فى المسجد وأخطب فيهم الجمعة وأعطيهم بعض الدروس الدينية، فكنت معجبا بهذا الرجل إلى درجة أننى كنت أدعو الله وأنا ساجد أن يزوجنى بإحدى بنات هذا الرجل، والغريب أنه بعد أن تزوجت من ابنته قال لى، إنه هو الآخر كان يدعو الله وهو ساجد أن يزوجنى بإحدى بناته.

وقد حقق الله سبحانه وتعالى للدكتور أحمد يوسف ولهذا الرجل ما تمنياه، فقد كان كلما فكر الدكتور أحمد يوسف فى الزواج من واحدة وسار فى هذا الاتجاه.. تعقدت الأمور وصرفه الله عنها، فتقدم لواحدة من زميلاته فى الكلية فرفضه والدها على الرغم من موافقتها، حدث ذلك بعد أن سأل أهله وأقاربه عن أسرة هذا الرجل الصالح وما إذا كان لديه بنات فى سن الزواج فأخبروه أن لديه بنتا فى نفس سنه ولكنها تزوجت منذ وقت طويل، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد يوسف:

كان بيت حماى بيتا محترما جدا، لا يدخله غرباء ولا يعرف أحد ما يجرى بداخله، فقد كانت أسرته أسرة مستقيمة ومستورة وفى حالها، وبعد البحث

والسؤال.. علمت أن عنده بنتًا تتوافر فيها كل المواصفات التى أتمناها ولكنها تصغرنى كثيرا، فقد كانت حاصلة على الإعدادية وتدرس فى المرحلة الثانوية فتقدمت لها، فلما رأيتها وجدت أن الله سبحانه وتعالى كافأنى الحسنة على إخلاصى بالجمال والأخلاق والحقيقة أن شدة إعجابى بوالدها كانت ستجعلنى أعجب بأى بنت من بناته.

المهر فى المصحف

وعلى الرغم من أن الدكتور أحمد يوسف فى ذلك الوقت لم يكن لديه المال الكافى للزواج إلا أنه وجد كل العقبات تذلل، وفى ذلك يقول:

لم يكن معى مال للزواج.. لكننى كنت أريد الزواج لأننى أتممت دراستى وكنت اشتركت فى جمعية بخمسة أو عشرة جنيهات حتى أستطيع أن أدفع المهر واقترضت من زميل لى مبلغا صغيرا لا يتناسب مع ما يدفع لبنات هذا الرجل الصالح، فلم يكن معى سوى مائتى جنيه أو مائة وخمسين، وعلى الرغم من ذلك أخذ حماى المهر من يدى ولم يفتحه وجهز لنا أثاثا لم أكن أحلم به، وبعد عدة سنوات وبينما يفتح أحد المصاحف وجد المهر الذى قدمته له والذى لم يفكر فى عده طوال هذه السنوات بل ونسيه تماما!!

خيرُ مُعين

وجد الدكتور أحمد يوسف فى زوجته خير معين له وخير مساعد له فى تنشئة أبنائه ويحكى عن ذلك قائلا: كانت زوجتى حاصلة على دراسة متوسطة، فقلت لها إذا أردت أن تعملى فلا مانع عندى، وإذا أردت إتمام دراستك، فلا مانع، ولكنها بعد الزواج أنجبت خمسة أولاد، فلم تفكر فى العمل أو إكمال الدراسة، وتفرغت لتربية أولادنا على خير وجه، فعندى ابنتى أميرة معيدة فى كلية البنات وعلى وشك مناقشة الماجستير وابنى محمد ملازم أول فى الجيش وابنى الثالث يوسف محاسب وابنتى الرابعة شيماء فى السنة النهائية بكلية الآداب قسم علم

نفس أما الابن الخامس وهو أول أبنائى «وليد» فقد توفى وهو فى السادسة عشرة من عمره.

لم أفكر فى الرفض

لم تفكر السيدة هنية محمد جاد فى الرفض عندما تقدم الدكتور أحمد يوسف لوالدها كى يخطبها.. فهو إنسان تقى صالح، تتوافر فيه صفات الزوج الطيب.. ويكفى أنّ أباها كان يحبه ويُزَكِّيه. وتحكى لنا السيدة هنية قصة زواجها قائلة:

لقد رحبتُ به عندما تقدم لخطبتى بعد أن سمعتُه يخبر والدَىَّ بذلك، ولم أفكر فى الرفض، فقد جاءنى ومعه كل الخير.. فهو زوج طيب مثالى، بالإضافة إلى أنه متعاون جدا فى المنزل، فعندما كان الأولاد صغارًا، كان يقوم بإعداد الشاى لنفسه ومراعاة الأولاد معى.

دون دروس خصوصية

ولأن الدكتور أحمد يوسف سافر إعارة مع أسرته إلى المملكة العربية السعودية، لم يعتد أولاده الحصول على دروس خصوصية، وفى ذلك تقول والدتهم:

اعتاد أولادى الاعتماد على أنفسهم فى المذاكرة ولم يحصلوا على دروس خصوصية اللهم إلا فى المراجعة النهائية فى اللغات الإنجليزية والفرنسية فقط، وقد ساعد على ذلك تفرغى لهم واستعداد والدهم لتقديم أى مساعدة لهم فى المذاكرة.

شىء آخر اهتم به الدكتور أحمد يوسف ـ كما تقول السيدة زوجته ـ فى تربية أولاده وهو تحفيظهم القرآن الكريم وفى ذلك تقول:

كان الدكتور أحمد يوسف يحضر للأولاد شيخا ليحفظهم القرآن الكريم، وعندما سافرنا إلى السعودية كان كل منهم قد أتم ما بين سبعة وثمانية أجزاء.

تعب لذيذ

وتربية الأولاد فيها الكثير من المتاعب.. ولكنها كما تقول السيدة هنية محمد جاد زوجة الدكتور أحمد يوسف «متاعب لذيذة، فقد كنت متفرغة لأولادى تماما وعلى العكس كنت أشعر بمتعة عندما أبذل جهداً معهم فى المذاكرة أو فى أى شىء آخر فأنا بطبيعتى أحب الأولاد ولذا عندما كبروا وتزوجوا بدأت أشعر بفراغ حتى وصلت حفيدتى آية وملأت هذا الفراغ».

أى عمل؟!

* أيهما أفضل للمرأة وللأسرة.. عمل المرأة أم تفرغها لتربية أولادها؟

ـ لست ضد عمل المرأة.. المهم أن يكون فى هذا العمل فائدة كبيرة للمجتمع كأن تعمل طبيبة أو مدرسة أو مهندسة أما إذا كان عملها بسيطًا ولا يستدعى خروجها من منزلها فلا داعى منه، وفى كل الأحوال ينبغى ألا يؤثر عملها على متطلبات أولادها وزوجها.

أميرة والنحو

وكما أن ميول الدكتور أحمد يوسف اتجهت إلى العلوم الأدبية واللغوية فدخل كلية دار العلوم، خرجت ابنته أميرة تهوى علوم النحو والصرف، وتقول عن ذلك:

تخرجت فى كلية آداب عين شمس لكنى عينت معيدة فى كلية البنات لأن كلية الآداب لم تعين سوى الأول فقط وكان ترتيبى الثانى على الكلية، وقد أعددت رسالة ماجستير فى النحو والصرف عن المصطلحات النحوية فى القرن الرابع الهجرى.

أسألها: لماذا أخذت هذا الموضوع لرسالتك؟

فتجيب: لأنه فى ذلك القرن اشتهر كبار علماء النحو والصرف فهو عصر ثرى بعلوم اللغة.

قبل اشتغال أميرة بالبحث والدراسة وإعداد رسالة الماجستير كانت تهوى القراءة فى كل شيء، أو كما تقول: كنت أقرأ أى كتاب يقع تحت يدى، كما أننى كنت أهوى ممارسة الرياضة، ولكن بعد انهماكى فى الأبحاث والدراسة وتحضير الدروس وإلقاء المحاضرات أصبحت كل قراءتى تنحصر فى النحو والصرف.

مفيد جدا

وترى أميرة أن الكمبيوتر هو لغة العصر الذى نعيشه فعلى الرغم من دراستها للنحو والصرف، حصلت على دراسات فى الكمبيوتر وتقول: إن شاء الله سوف أتقن استخدامه لأنه مفيد جدا، إن مجرد تخزين المعلومات فيه ثم استرجاعها له أهمية كبرى، بالإضافة إلى أن استخدام الإنترنت يمكننى من معرفة ما إذا كانت هناك دراسات أخرى فى مجال اللغة والنحو قد تفيد دراساتى.

الالتزام الدينى

تعلمت أميرة من والدها حب البحث والدراسة بالإضافة إلى القراءة، وفى ذلك تقول:

لم أكن أرى والدى إلا وهو يقرأ كما تعلمت منه الالتزام الدينى فلم أكن فى حاجة للسؤال عن العبادات والسلوكيات السليمة، فقد كان والدى ووالدتى قدوة ومثلا يحتذى به.

يعلق الدكتور أحمد يوسف قائلا: كنت أحرص على تحفيظ أولادى القرآن على يد شيخ هو عريف الكتاب الذى تعلمت فيه القرآن، والعريف هو أقل درجة من شيخ الكتاب يصحح عليه الطالب ما حفظه قبل الذهاب إلى الشيخ، وقد كان هذا العريف شديدا جدا لأنه كان عسكريا فى الجيش فكان يعامل الأولاد بأسلوب «ميرى» وقد اشتركت أميرة وأشقاؤها فى مسابقات حفظ القرآن بالأزهر الشريف، وفازوا فيها.

تقول أميرة: وكما تعلمت من والدى حب البحث والدراسة والقراءة تعلمت من والدتى الصبر وحب الأعمال المنزلية والتوفيق بين العمل والبيت، فقد كنت أراها لا تشكو أبدا مهما بذلت من جهد، وقد ساعدنى على ذلك أن والدى كان ينبهنى دائما إلى أن أول اهتماماتى ينبغى أن ينصب على البيت: أولادى وزوجى، ثم البحث والدراسة.

كان زواج أميرة ـ كما تسميه ـ زواج صالونات، فقد تقدم لها ابن زميل والدها الدكتور فاروق مهنا وهو نقيب فى الجيش اسمه أحمد، وفى ذلك تقول أميرة:

كان زواجى زواج صالونات، فبحكم نشأتنا لم نكن نختلط بالشباب، ولذا إذا تقدم شخص مناسب لوالدى فلماذا لا نوافق عليه؟

يقول الدكتور أحمد يوسف معلقا:

قامت أميرة بعمل اختبارات كبيرة للعريس فى النحو والصرف والآداب ولما نجح فيها قبلت الزواج به.

شيماء وعلم النفس

الابنة الثانية للدكتور أحمد يوسف هى شيماء، طالبة فى السنة النهائية بكلية الآداب قسم علم نفس.. وهى من المتفوقات فدائما ما يكون ترتيبها الثانى أو الثالث على الدفعة، أما لماذا اختارت قسم علم النفس فلأنها ـ كما تقول ـ تجد من خلال دراسة علم النفس القدرة على معرفة كيف يفكر الآخرون ولماذا يسلكون سلوكا معينا.. ولأنها ترى فى علم النفس أفضل المواد الأدبية. وتهوى شيماء قراءة الأدب والروايات وتقول:

أحب قراءة روايات إحسان عبد القدوس وكتب علم النفس خاصة تلك التى تهتم بتربية النشء.

وجهة نظر

ولشيماء وجهة نظر فيما ينبغى أن تكون عليه الدراسة بالجامعة فتقول: الدراسة فى الجامعة لا تخرج إنسانا مثقفا لأنهم يضغطون علينا ويفرضون علينا مناهج وكتبًا معينة، والامتحانات تقيس ـ فقط ـ قدرتنا على الحفظ حتى أصبحنا ندخل الجامعة لنحصل على الشهادة فقط وننسى بعدها كل ما درسناه.

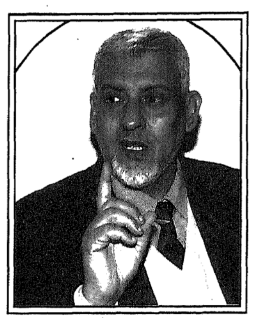
وتضيف. . المفروض ألا تعتمد الدراسة فى الجامعة على الكتب وما فيها لابد وأن تتاح للطالب فرصة الاطلاع وأن يكون له رأى ووجهة نظر حتى ولو كانت مختلفة مع الدكتور.

غياب المناهج الدينية

مشكلة أخرى تنبه إليها شيماء باعتبارها طالبة فى الجامعة، وهى مشكلة غياب المناهج أو الثقافة الدينية فى الجامعة، فتقول إن هذا الغياب له تأثير كبير على سلوكيات الطلاب، فإذا لم ينشأ الطالب على المبادئ الدينية السليمة فإنه يتعرض لكثير من المتاعب داخل الجامعة لأن نقص الثقافة الدينية لدى طالب الجامعة يجعله يفهم علاقة الزمالة فهما خاطئا. وتهوى شيماء الأشغال اليدوية مثل عمل المفارش والكورشيه بعد أن تعلمتها من والدتها، وهى ترتدى الحجاب منذ المرحلة الإعدادية مثل شقيقتها أميرة وتقول:

لقد وجدتُ أمى وأختى ترتديان الحجاب، فكان من الطبيعى أن أرتديه دون أى إجبار من أمى أو والدى.





أفتى والدى بجواز مضغ «اللبّان» للصائم،

فضربه جَدى «علقة»!.

د. عبد الحكم الصعيدى

د. عبد الحكم الصعيدى فى بيته



تعلم الدكتور عبد الحكم الصعيدى من والده ـ عليه رحمة الله ـ القدرة على تبسيط الآيات القرآنية عن طريق ربطها بالأحداث العصرية والواقع الذى نعيشه؛ وقد خلق ذلك فى ذهنه نوعا من الإلحاح على التطبيق أو المزاوجة بين الدين والواقع؛ وبين ما فى القرآن الكريم والعلم الحديث.. ولذا التحق بكلية الزراعة فى جامعة الأزهر الشريف فى أول دفعة بالكلية بعد تطوير الأزهر عام ١٩٦١م، وكان ترتيبه فى التخرج الثانى على الدفعة، ونمت داخله الرغبة فى المزاوجة بين العلم والدين، حتى دارت أغلب أبحاثه ومؤلفاته حول هذه المزاوجة.

عالم المالكية

ولد الدكتور عبد الحكم ـ واسمه كاملا: عبد الحكم عبد اللطيف أحمد الصعيدى ـ فى قرية تدعى السخانية من أعمال مركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ وهى قرية متواضعة من قرى الدلتا، ونشأ فى أسرة قديمة الأثر فى خدمة الدعوة الإسلامية.. فكان جده الذى أدركه فى أخريات أيامه، وهو الشيخ أحمد إبراهيم الصعيدى، عالما من علماء المالكية وله اهتمامات بالقرآن الكريم وقراءاته المختلفة.. يقول عنه الدكتور عبد الحكم، كان جدى يقرأ ويعلم أبناء المنطقة جميعًا القرآن، كما كان مرجعا فى هذا، فضلا عن أنه كان عالما من علماء المالكية، فكان ضليعا فى الفقه المالكى، وكانت له مؤلفات وخرَّج أجيالا طيبة من

المتعلمين ومن الفلاحين وغير المثقفين، وكنت أعجب بهم وأنا أرى ثقافتهم الدينية ثقافة متثبتة وجيدة.

وعلى غير المتوقع نحا ابن الشيخ أحمد إبراهيم الصعيدى وهو والد الدكتور عبد الحكم منحى آخر وأحدث نوعا من التغيير فى المذهبية، حيث تتلمذ الشيخ عبد اللطيف أحمد إبراهيم الصعيدى على الفقه الحنفى، فأصبح هناك نوع من التنويع المذهبى فى هذه القرية التى كانت تعتبر بمثابة مركز إشعاع للقرى المجاورة.

العلك.. والعلقة!!

يقول الدكتور عبد الحكم عن والده:

كان والدى محتاطا لدينه، خاصة فى مجال الفتوى، فقد كان يعالج مشاكل الناس، ويحاول أن يتثبت من صحة فتواه.. وقد اكتسب هذه الحيطة من والده الشيخ أحمد الصعيدى، ولذلك قصة يجدر بى روايتها، وهى أنه حينما درس أبى فى الأزهر وكان فى السنة الأولى الابتدائية وهى تعادل السنة الأولى الإعدادية فى التعليم الأزهرى الآن، وعاد إلى القرية وقد درس فقه الأحناف ووجد فيه شيئا من إعمال الرأى يختلف عن فقه المالكية الذى اعتاد عليه أهل القرية وكان ذلك فى شهر رمضان، فوجد حكما فى فقه الأحناف يقول: «ومضغ العلك (اللبان) لا يفطر الصائم»، فما كان منه إلا أن قال هذا الحكم على ملأ من جمهور القرية فى رحاب المسجد فهرع الناس وفزعوا من هذا الحكم، وذهبوا إلى جدى وأخبروه بما كان، فقام على الفور وذهب إلى المسجد وانهال على والدى ضربا، فسأل والدى ما الذى جناه، فقال له جدى:

ما كل ما تعلمه وتطلع عليه يصح للفتوى وأن يقال للعامة، هذا اللبان أو هذا العلك الذى أشار إليه علماء الأحناف هو علك من نوع خاص، ربما لا يعرفه الناس وربما لا يتوافر، هو علك ليس فيه شىء إلا المطاطية، لا يخرج طعما وليس له أى آثار تنتقل إلى معدة الصائم، وبالتالى فهو يشبه قطعة البلاستيك، إذا توفر هذا العلك فينطبق عليه هذا الحكم، أما أن تقول للعامة إن مضغ العلك لا يفطر

الصائم، فتجد الناس فى الصباح يمضغون اللبان بذلك تكون أفسدت على الناس دينهم. منذ هذه الواقعة أصبح والدى ـ رحمه الله ـ يحتاط لدينه ولفتواه حتى إنه كان متشددا جدا، وعرف عنه أهل القرية هذا التشدد خاصة فى مسائل الطلاق، ففى الأرياف تجد الناس دائمى الحلف بالطلاق دون ضابط فنفعه هذا الدرس فى أن أصبح متثبتا ولا يقول إلا الفتوى الوثيقة.

بين التعليم العام.. والأزهر

وعلى الرغم من أن الدكتور عبد الحكم الصعيدى تلقى حفظ القرآن على يد والده، ودفع به والده بعد ذلك إلى كُتّاب القرية، وتنقل على عدة مُحَفِّظين فى القرى المجاورة، إلا أنه التحق بالتعليم العام، ويروى ذلك قائلا: التحقت فعلا بالتعليم العام ولكن والدتى كانت تلح عليه فى الرغبة فى إدخالى الأزهر الشريف.. وقد بلغ من شدة رغبته أن أسمانى على اسم صديق له أزهرى، وبالفعل التحقت بمعهد دسوق الأزهرى، وقد كان حريصا على نجاحى فى امتحان القبول بالمعهد إلى درجة أنه اصطحبنى إلى مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى ومكثنا فيه من صلاة الظهر حتى بعد صلاة العشاء وذهبنا إلى مسكن استأجره لننال قسطا من الراحة ثم عدنا إلى المسجد فى صباح اليوم التالى حتى بعد صلاة العشاء حتى أتممت تسميع القرآن كله لوالدى قبل امتحان المعهد.

حتى لا أنساها

كان الشيخ عبد اللطيف أحمد الصعيدى والد الدكتور عبد الحكم يتمتع بالمقدرة على تبسيط آيات القرآن الكريم خاصة تلك التى يجد فيها ابنه تعثرا فى الحفظ وقد اكتسب منه الدكتور عبد الحكم هذه الصفة فأصبح كما يقول:

لدى ملكة ربط آيات القرآن الكريم بالأحداث العصرية، وأصبح لدى نوع من الإلحاح على التطبيق أو المزاوجة بين ما فى القرآن وما فى الواقع. ويمضى الدكتور عبد الحكم فى سرد قصته مع الأزهر فيقول: عندما التحقت بمعهد دسوق كانت تجرى لنا امتحانات فى الإملاء والقرآن الكريم كله وقواعد الحساب الأربعة وأذكر

أنه جاء لى حديث فى الإملاء حفظته منذ أن قرأته ومازلت أذكره حتى الآن وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله». . هذا الحديث يعتبر منهجا من المناهج العظيمة التى تفتحت عيناى عليها فى أول عهدي بالأزهر وهو يعنى أنه إذا أخذ الإنسان بفقه الدين وأتقنه فإنه سيعبد الله عبادة صادقة، وإذا عبد الله عبادة صادقة اقترب من الله وكان فى معيته وحينئذ لا يضره المخالف ولا يضره المناوئ لأنه فى عصمة الله.

وسار الدكتور عبد الحكم الصعيدى فى التعليم الأزهرى حتى السنة الثالثة من المرحلة الثانوية، وعندما صدر قانون تطوير الأزهر فى عام ١٩٦١ اختار أن يلتحق بالقسم العلمى.

أول دفعة

والتحق الدكتور عبد الحكم بأول دفعة تدخل كلية الزراعة بعد تطوير الأزهر وكان عدد طلاب الدفعة لا يتجاوز مائة وخمسين طالبا منهم مائة من الدول العربية والإسلامية. . يقول الدكتور عبد الحكم:

فى ذلك الوقت وجدت أن الإدارة انتقت لنا من المحيط العلمى أساتذة أجلاء هم أفضل الأساتذة فى مجالهم وإن كانوا ليسوا أزهريين. . إلا أنهم بحماسهم للأزهر أشعرونا أنهم أزهريون وكان منهم أستاذى الدكتور أحمد حسنين القفل - عليه رحمة الله - وكان أستاذ علم الحيوان فى جامعة القاهرة فضحى بأشياء كثيرة جدًا وامتيازات كثيرة فى جامعة القاهرة لكى يدرس لنا فى الأزهر، فقد كان يصدق عليه قول أمير الشعراء أحمد شوقى:

وما ضرنى أن ليس أفقك مطلعى   وعلى كواكبه تعلمت الثرى

فهو وأقرانه تعلموا العلوم وتعلموا حب الأزهر من الخير الموجود فى علمائنا

الأزهريين الذين كانوا ينتشرون فى ربوع الوطن، ومنهم أيضا المرحوم الدكتور زكى محمود شبانة عميد الكلية الذى بلغ حبه لنا وللأزهر أن رفض تعيين خمسة عشر معيدًا من خارج الكلية لأنه يرى أننا الأحق بهذا.

من أجله

وتخرج الدكتور عبد الحكم الصعيدى من الكلية وكان ترتيبه الثانى على الدفعة ولأنه تعلق بأستاذه الدكتور أحمد حسنين القفل التحق معيدًا بالشعبة التى يدرس فيها وهى الشعبة العامة ويقول عن ذلك: لقد كنت أحب هذا الأستاذ وأجله لأنه كان دائما يحاول الربط بين العلم والقرآن، وقد بلغ من حرصى على التواجد معه أننى أخذت الماجستير والدكتوراه على يده وحينما جاءتنى فرص للابتعاث إلى الخارج اعتذرت عنها كلها حتى أتعلم من هذا الرجل.

قاصر على المسلمين

وعمل الدكتور عبد الحكم بعد ذلك فى قسم وقاية المزروعات أو ما يسمى بالحشرات الاقتصادية وترقى فى سلك التدريس حتى درجة الأستاذية، كما أثرى المكتبة بمجموعة من المؤلفات كان أغلبها فى مجال علم الحشرات والآفات ولكنه اتجه كما يقول منذ فترة إلى أن يخرج بهذا العلم إلى التطبيق العملى وفى ذلك يقول: لأننى من أبناء الأزهر الذين جمعوا بين الثقافة الدينية والثقافة العلمية وجدت أنه من واجبى أن أفسر نصوص القرآن تفسيرا علميا فلازال الفهم العلمى للقرآن قاصرًا على المسلمين، وأنا أريد أن أنطلق بهذا الفهم إلى آفاق أرحب وأخاطب غير المسلمين لأننا فى عصر لا يقنع إلا بالعلم وسأضرب مثلا يوضح ذلك. . فمنذ يومين فقط حكى زميل لنا هو عميد كلية العلوم بجامعة المنيا موقفا قال فيه:

كان أستاذ مصرى يلقى محاضرة فى أوروبا عن الحديد أشار فيها إلى سورة الحديد، وفى نهاية المحاضرة سأله أحد الحاضرين وكان يستمع إليه بشغف عن رقم

سورة الحديد، فقال له ٥٧ ، وسأله عن رقم الآية، فقال له ٢٥ ، فبحث الرجل عن مغزى هذه الأرقام ووجد أن لها مدلولات خطيرة، فالرقم الذرى للحديد هو ٥٧ والوزن الذرى له ٢٥ ، من هنا أعلن الرجل إسلامه.

القمر.. والإنسان

وللدكتور عبد الحكم أبحاث قيمة قدم بعضها فى برامج بإذاعة القرآن الكريم مثل برنامج «سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» ويدور حول تأثير الضوء على الكائنات الحية، فقد وجد فى إحدى الدوريات دراسة قام بها علماء من اليابان وفرنسا ودول أخرى عن تأثير ضوء القمر على الإنسان وذهبوا إلى المستشفيات وأقسام الشرطة وعملوا إحصائيات اكتشفوا منها أنه فى أيام ١٣ و ١٤ و ١٥ من الشهور العربية تزداد الحوادث بصورة مذهلة، مما يؤكد أن للقمر تأثيراً على الإنسان، وتوقفوا عند هذا الحد.. فأكمل الدكتور عبد الحكم هذه الدراسة التى يقول عنها: إن القمر يؤثر على الأرض عن طريق ظاهرتى المد والجزر وهذا يكون على المسطحات المائية، وإذا عرفنا أن جسم الإنسان فيه أكثر من ٨٠٪ ماء لأدركنا أنه هو الآخر يتأثر بالقمر وإن اختلف هذا التأثير من شخص لآخر حسب الحالة النفسية لهذا الشخص، ولذا فالنبى ﷺ دعانا إلى صوم أيام ١٣ و ١٤ و ١٥ من كل شهر عربى، لأننا عندما نصوم تقل المادة فى الجسم وبالتالى يقل تأثير القمر علينا.

الفصل بين المتطلبات

ولأن الدكتور عبد الحكم الصعيدى يؤمن بمبدأ الفصل بين المتطلبات، أخذ يؤجل فى مشروع الزواج سنوات وسنوات.. جاعلا الأولوية عنده لمطلب العلم. ويروى لنا قصة زواجه قائلا:

عندما كنت طالبًا كنت بالطبع لا أفكر إلا فى الدراسة، وعندما تخرجت وعينت معيداً، انحصر تفكيرى فى البحث العلمى للحصول على درجة الماجستير ولم أفكر فى الزواج لاعتقادى أنه لا ينبغى أن يشغل المرء نفسه بأكثر من أمز واحد حتى يستطيع أن يجيد هذا الأمر.

وبعد حصولى على درجة الماجستير وتسجيلى لرسالة الدكتوراه، بدأت أفكر فى الزواج، ولأننى من رجال الأزهر لم أكن مختلطا بالجنس الآخر، فبدأت أسأل فى القرية عن عروس فإذا بشقيقتى الصغرى تخبرنى بأنها اختارت لى عروسًا من أسرة طيبة والدها عليه رحمة الله هو الشيخ مسعود حسن من علماء الأزهر، فتقدمت إليه فإذا به يرحب، ذلك أنه كانت هناك علاقة لم أكن أعرفها وكان يعرفها، وهى أن والدى ـ عليه رحمة الله ـ كان زميل دراسة للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف الأسبق والشيخ الذهبى عليه رحمة الله كان خال العروس، فعرضوا عليه الأمر ورحب، ومن هنا سارت الأمور سيرا حسنا وتزوجت بالسيدة سعدية مسعود حسن ويسر الله لى الحصول على مسكن ثم حصلت على درجة الدكتوراه.

جميعهم فى الأزهر

أسفر زواج الدكتور عبد الحكم الصعيدى عن إنجاب سبعة أولاد جميعهم يتعلمون فى رحاب الأزهر. . وهم كما يقول: فاطمة الزهراء طالبة فى السنة الرابعة بكلية طب بنات الأزهر، ودعاء طالبة فى السنة الثانية بكلية اللغة العربية قسم صحافة وإعلام الأزهر، ومحمد فى السنة الرابعة الثانوية الأزهرية قسم رياضيات، وشيماء فى السنة الأولى الثانوية الأزهرية، وسارة فى السنة الثانية الإعدادية الأزهرية، وعبد اللطيف فى السنة الأولى الإعدادية الأزهرية ومروة فى السنة الثانية حضانة بالأزهر.

ولأنهم جميعا التحقوا بالأزهر فقد قام والدهم بتحفيظهم القرآن الكريم ويقول عن ذلك: هم يحفظون القرآن، ولكنه يتفلت منهم بسبب ضخامة المناهج المقررة عليهم والتى تؤثر على اهتمامهم بالقرآن. . ففى الماضى كنا نحفظ القرآن كله قبل الالتحاق بالأزهر ولم تكن هناك مواد عملية أو ثقافية تشغلنا عن حفظ القرآن فى هذه السن الصغيرة. . الآن فى ظل التطوير الجديد، رأى فضيلة الإمام الأكبر حلا

لمشكلة ضخامة المناهج بأن يركز حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية، فقرر على طلبة هذه المرحلة جرعة كبيرة من القرآن الكريم ووزع بقية القرآن على المرحلتين.

التقليدى أفضل

عندما تقدم الدكتور عبد الحكم الصعيدى للسيدة سعدية رحبت فقد كان معروفًا هو وأسرته لأسرتها، ولأنها ـ كما تقول ـ تؤمن بالزواج التقليدى الذى يتم عن طريق الأبوين، وبمباركتهما، وتقول فى ذلك إن الزواج التقليدى أثبت بمرور الأيام أنه هو الأفضل لنجاح الأسرة، لأنه لا يوجد من يعرف مصلحة الأبناء والبنات مثل الأب والأم، كما أن التجربة أكدت أنه إذا سعى شاب أو فتاة للزواج بأسلوب عصرى وعن طريق الاختلاط واللقاءات بعيدا عن الأبوين، فإنهما يقعان فى أخطاء كبيرة أولها أنهما لا يعرفان ما إذا كان كل منهما ينتمى لأصل طيب أم لا.

أثبت الدكتور عبد الحكم أنه زوج مثالى، شديد التعاون، هذا ما تؤكده السيدة سعدية زوجته قائلة:

لقد كان فى بدايات حياتنا وقبل أن تزداد مشاغله شديد التعاون وكثيرا ما أعد بنفسه لنا الطعام وهو يتقن إعداد بعض الأطعمة مثل «الحواوشى والمشويات».

متى يكون التدخل؟!

على الرغم من أن جميع فتيات الدكتور عبد الحكم يرتدين الحجاب إلا أنه لم يجبرهن عليه وتقول الأم:

من الخطأ إجبار الابن أو البنت على فعل شىء، ولكن من الواجب التدخل بالنصح والتوجيه.

أسألها.. ألا ينبغى التدخل عند حد معين لفرض رأى معين؟

فتقول.. بالطبع هناك حد معين ينبغى أن يتدخل عنده الأب والأم إذا ما وجدا من الابن أو البنت نوعًا من التمادى فى ارتكاب الخطأ.

الأسلوب الأمثل

تأثرت فاطمة الزهراء الابنة الكبرى للدكتور عبد الحكم باتجاه والدها العلمى فسارت على خطاه، واختارت الالتحاق بكلية الطب وتقول:

لقد قرأت كتب والدى جميعها خاصة كتابه الأول الأسرة المسلمة الذى أهداه لى.

وترى فاطمة أن الاختلاط فى الجامعة لا يأتى من ورائه إلا المشاكل وأن لعدم الاختلاط إيجابيات كثيرة فهو الأسلوب الأمثل للبعد عن المشاكل، وتقول:

حقا إنه يوجد اختلاط بعد التخرج فى محيط العمل، إلا أنه يكون اختلاطا محدودًا لا يسبب مشاكل، حيث تكون الفتاة أو الفتى قد أصبحا أكثر نضجا وتقديرا للأمور.

وتهوى فاطمة قراءة الكتب العلمية إلى جانب الكتب الدينية وهى تحفظ خمسة عشر جزءا من القرآن الكريم.

ولا تحب مشاهدة الأفلام السينمائية وتقول: بصراحة.. أغلب ما تقدمه السينما من أفلام يقوم على الابتذال والإسفاف وأعتقد أنه من الخطأ تضييع الوقت فى مشاهدة هذه الأفلام.

أم كلثوم

يعلق الدكتور عبد الحكم الصعيدى قائلاً: هناك مسلسل تليفزيونى جيد كنا نحرص على مشاهدته هو مسلسل أم كلثوم والذى شجعنا على مشاهدته أنه يوضح كيف استطاعت أسرة كاملة أن تساند ابنتها وتشجعها وتحرسها وتقف بجوارها لتؤازرها حتى أصبحت موهبة كبيرة.

أسأله: وما رأيك فى الغناء؟

فيجيب.. الغناء ليس أمرا جديدا أو غريبا على الإنسان فقد خلق الله سبحانه

وتعالى الأذن تحب الطرب والأشياء الرتيبة فإذا صرخ إنسان مثلا تنفر منه، ولكن إذا تحدث بأسلوب رتيب ومنظم وله إيقاع وله جرس، تأنس به وتطمئن له.

دعاء.. وخدمة الدين

ودعاء هى الابنة الثانية للدكتور عبد الحكم الصعيدى طالبة فى السنة الثانية بكلية اللغة العربية قسم الصحافة والإعلام، أما لماذا اختارت هذا القسم فتقول: إننى أؤمن برسالة الإعلام وبحديث رسول الله ﷺ «لأن يهدى الله بك رجلا خير من الدنيا وما فيها»، وفى رواية أخرى: خير لك من حمر النعم.. ولأن الإعلام له دور مؤثر، أطمع فى أن يكرمنى الله بخدمة الدين من خلال الإعلام، خاصة أن للإعلام حاليا تأثيرا سلبيًا على الشباب، ولو تحول هذا التأثير إلى تأثير إيجابى فلا شك أنه سيغير الكثير فى عقول الشباب.

أسألها.. ما الذى تأخذينه على الإعلام من تأثير سلبى؟

فتجيب: أنه استورد لنا أفكارا غريبة علينا ويزرعها فى عقول الشباب من خلال ما يقدمه من أفلام وأغان يصورها بأسلوب مبتذل لا علاقة له بطبيعة وثقافة هذا الشعب، كما أنه لا يرتقى باهتمامات الشباب وإنما ينزل بها إلى مستويات دنيا، فيزرع فيهم الاهتمام بالعنف والجنس والابتذال... وتهوى دعاء قراءة كتب التراث ودواوين الشعر، وهى تقرأ فى الأدب الأجنبى لشكسبير وتشارلز ديكنز بالإضافة إلى حفظها المستمر للقرآن الكريم، ولا تسمع الأغانى ولكنها تحرص على سماع فرق الإنشاد الدينى.





كنتُ أخطب فى المساجد وأنا فى الابتدائى.

د. عبد الغفار هلال

د. عبد الغفار هلال فى بيته

س سأل والد الدكتور عبد الغفار هلال فى أحد الأيام أحد علماء الأزهر قائلا: هل يستلزم أن يكون ابن العالم الأزهرى عالما.. وألا يكون ابن غير العالم عالما؟ فأجابه العالم الأزهرى قائلا: نعم.. ابن العالم يكون عالما، أما ابن غير العالم لا يكون عالما. فأسرها فى نفسه وقرر أن يثبت خطأ هذه المقولة.. نعم، هو ليس من علماء الأزهر، ولكنه يحفظ القرآن ويحب مجالس العلم ويصادق العلماء، وقرر أن يدخل تحديا مع هذه المقولة فزرع فى نفس وقلب ابنه عبد الغفار حب العلم.. وحب الأزهر، وأصبحت حياة الدكتور عبد الغفار هلال منذ الصغر سباقا من أجل التفوق فى كل شىء، فحفظ القرآن وهو لايزال فى الثامنة من عمره، وكان الأول على الجمهورية فى الابتدائية الأزهرية والثانى على الجمهورية فى الثانوية الأزهرية، وعندما فكر فى الزواج.. تزوج من ابنة عالم أزهرى جليل، طالبة فى كلية الدراسات الإسلامية أصبحت الآن أستاذة فى هذه الكلية.

ولد الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال فى قرية برما مركز طنطا بمحافظة الغربية، ولأن والده حرص منذ يوم مولده على دخوله الأزهر الشريف، ولأنه أتم حفظ القرآن الكريم وهو لايزال فى الثامنة، والأزهر يقبل من هم أكبر سنا، جرى تسنينه على أنه ولد فى يوم ١٥ سبتمبر عام ١٩٣٦، يقول الدكتور عبد الغفار: حفظت القرآن فى كُتاب يجاور منزلنا، كان فيه شيخان، أحدهما مبصر والآخر كفيف ويدعى الشيخ محمود أبو عكر، وكان من القراء الحافظين

لكتاب الله حتى أنه كان يُسمع عليه بعض المتعلمين فى المكتب القرآن، وهو يسمع من أكثر من واحد، وإذا أخطأ أحدهم يرده فى موضع الخطأ، على الرغم من اختلاف ما يسمعونه من سور وآيات، فكيف كان يستطيع هذا أن يجمع بين معرفة السور والأماكن الدقيقة فى القرآن ويستطيع أن يعرف مكان الخطأ الذى يخطِئ فيه كل واحد؟!

والتحق الدكتور عبد الغفار هلال بمعهد طنطا الدينى الابتدائى وكان فى منطقة تسمى القطب ربيع، واستطاع أن يتفوق ويكون الأول على الجمهورية فى المرحلة الابتدائية ويقول عن ذلك:

كنت فى ذلك الوقت أحب أن أغشى المكتبات وأقرأ فيها، لاسيما كتب الأدب كى أكتب شيئا أستطيع به أن أحسن أسلوبى أمام الأساتذة وخصوصا أنهم كانوا يشجعوننا على ذلك، والحمد - لله تفوقت وحصلت على الترتيب الأول حتى إن شيخ المعهد وكان الشيخ مصطفى الشربينى - منحنى مكافأة مالية فرحت بها جدا، وواصلت تعليمى الثانوى فى المعهد الأحمدى بطنطا وكنت أيضا متفوقا.

وأراد الدكتور عبد الغفار هلال وهو فى السنة الأولى بالمعهد الأحمدى أن يشارك فى مسيرة الدعوة، وكانت هناك مسابقة رمضانية، من ينجح فيها يلق دروسًا فى المساجد، فاشترك فيها ونجح، وكلف بإعطاء دروس فى مسجد يجاور منزلهم ببرما، فكان يخطب الجمعة ويلقى على الناس درسا بعد صلاة الجمعة، يقول الدكتور عبد الغفار:

كنت أحب الخطابة منذ الصغر حتى أننى كنت أخطب الجمعة وأنا لازلت فى المرحلة الابتدائية، وكان الناس يشجعوننى على ذلك خاصة أننى لم أكن أخطئ فى الآيات أو فى قواعد اللغة وفى إلقاء الشعر، ولذا نجحت فيما كلفت به من خطبة الجمعة ودروس فى المسجد ومنحت مكافأة على هذا المجهود فى نهاية شهر رمضان.

حاول أن تكون شاعرا

والدكتور عبد الغفار هلال يقرض الشعر من الصغر ويدين بالفضل فى ذلك لأساتذته خاصة الشيخ محمد فوزى خشبة الذى يقول عنه:

كان أستاذا من المؤثرين جيدا فى، ويعترف الجميع له بالفضل، لأنه كان يجعل من حصة المطالعة، وحصة المحفوظات مبارزة أدبية، فكان يكتب على السبورة بيتين من الشعر، ويقول حاول أن تكون شاعرا، ويطلب منا أن نلقى عشرة أبيات على نمط هذين البيتين، فيتبارى الطلبة فى النظم أثناء الحصة، ولذلك كنت حريصًا على أن أزيد من اطلاعى حتى إذا طلب منا الأستاذ أبياتًا من الشعر، أكون من المتسابقين الذين ينظمون الشعر.

فى حِمَى الأزهر

ورغم أنه حصل على الترتيب الثانى على الجمهورية فى الثانوية الأزهرية، وكان مميزا فى اختيار الكلية التى يرغب فيها، لكن والده ـ عليه رحمة الله ـ كان حريصًا على تحقيق الحلم، فى أن يكون ابنه من رجال الأزهر، يقول الدكتور عبد الغفار:

كان والدى حريصًا على أن أكون أزهريا خاصة وأنه أدخل أخاه الأزهر ليتعلم فيه، ولكنه أهمل واتجه اتجاها آخر بعيدا عن الأزهر، كان ذلك قبل أن أولد، فعاهد والدى الله إن رزقه بولد أن يدخله الأزهر، وقد أحببت الأزهر ووجدت فيه الغاية التى أنشدها وأحببت أن أكمل تعليمى أزهريا فى الجامعة، فدخلت كلية اللغة العربية باعتبارها امتدادًا لتعليمى الأزهرى، فهذه الكلية تستطيع أن تجمع بين كل ما هو فى الكليات الأخرى لأن الذى يملك اللغة العربية ويملك اللسان العربى يستطيع أن يفهم كتاب الله ويستطيع أن يفسر آياته البينات، وأن يفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد التخرج بتفوق كالعادة فى عام ١٩٦٤ لم يكن هناك تعيين للمعيدين وإنما تجرى مسابقة ويعلن عنها، ولم يكن هناك ما يسمى بالمدرس المساعد بل كان معيدا أو مدرسا. فالتحق الدكتور عبد الغفار

بالعمل مدرسا فى معهد المحلة الكبرى الأزهرى، وفى نفس الوقت بالدراسات العليا، حتى حصل على درجة الماجستير فعين معيدا بكلية اللغة العربية سنة ١٩٦٩، ويقول الدكتور عبد الغفار:

جنىّ النزعة

كان أمامى أن أدخل شعبة اللغويات والنحو والصرف، وأمامى أن أدخل شعبة البلاغة أو الأدب والنقد باعتبارى أقرض الشعر، ولكننى فضلت أن أدخل شعبة جديدة استحدثها شيخى فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا، وهو قسم أصول اللغة. وهو يجمع بين اللغويات وبين التجديد الذى يتصل بالأدب، فيجدد فى اللغة إلى جانب التراث القديم. ولذلك عندما ناقشنى الدكتور إبراهيم محمد نجا فى رسالة الدكتوراه، قال: إن هذا هو باكورة قسم أصول اللغة، لأننى كنت أول مَن حَصَلَ على درجة الدكتوراه فى هذا القسم وكان موضوعها عن جهود عالم كبير هو أبو الفتح عثمان ابن جنى وهو من علماء القرن الرابع الهجرى، وهو يسبق الأوروبيين فى حديثه عن النظريات اللغوية الحديثة.. فى ذلك الوقت قال لى الدكتور كمال بشر: يا عبد الغفار.. أنت جنىّ النزعة، لأننى كنت أرجع جميع النظريات العلمية الحديثة التى أخذ بها المحدثون إلى ابن جنى، حتى أننى أرجعت نظرية دانيال جونسون العالم الإنجليزى «أصوات الليل المعيارية» والتى يقول فيها إن الألف والواو والياء بها مخارج من الحلق ومن اللسان ومن الشفاه، أرجعت هذه النظرية لابن جنى، فقد ذكر تشكيل هذه الحروف من الحلق واللسان والشفاه. وابن جنى له أكثر من خمسين كتابا فى اللغة من أهمها كتاب (الخصائص).

بيت علم

وكما كان لحب والد الدكتور عبد الغفار هلال للأزهر والعلماء دور فى دفع ابنه لرحاب هذا الصرح العظيم، كان لهذا الحب دور أيضا فى قصة زواج الدكتور عبد الغفار.. يرويه لنا قائلا:

كان والداى عليهما رحمة الله يتمنيان لى أن أتزوج صغيرا مثل عادات أهل القرية. ولكننى لما التحقت بالدراسات العليا واختارنى الله سبحانه وتعالى لأكون مدرسا فى الكلية، أحببت ألا أتزوج إلا إذا انتهيت من الدراسات العليا، وبالفعل بعد أن حصلت على درجة الدكتوراه تحدثت مع والدى فى هذا الأمر، وكان رحمه الله على صلة بوالد زوجتى الدكتورة فردوس محمد نور على حسين، فقد كان والدى يحب مجالس العلماء ويتخذ منهم أصدقاء، وكان والد زوجتى شيخا من علماء الأزهر، فكان بينه وبين والدى صداقة وتجارة، ووجد والدى لديه ابنة طالبة فى كلية الدراسات الإسلامية فرشحها لى، وقد رحبت بهذا الترشيح لاسيما وأننى أحب التدين وأدعو الناس إليه، والزوجة الصالحة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «نعم الكنز الزوجة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته».

ويضيف الدكتور عبد الغفار: لقد كان هذا الصهر ـ عليه رحمة الله ـ من العلماء الأتقياء ومن الشعراء أيضا، فقد كان يبادلنى الشعر ويرسل إلىّ بخطابه الشعرى، وكانت له مجالس يتطارح فيها الشعر مع زملائه.

زواج جديد

كان زواج الدكتور عبد الغفار هلال زواجا موفقا والحمد لله، فزوجته الدكتورة فردوس محمد نور تتصف بالطباع الهادئة، والصبر وقوة التحمل وحب العلم والتفوق أيضا، من هنا استطاعت أن تزرع هذه الصفات الطيبة فى ذريتها.

ويقول عنها الدكتور عبد الغفار هلال: كان زواجى والحمد لله زواجا سعيدا بحيث أستطيع أن أقول إننى أشعر كأن الزواج جديد فى كل يوم ولا أحس بقدمه أبدا، أقول هذا بمناسبة أن بعض الأزواج يتشاجرون مع زوجاتهم ويسيئون إليهن، والواقع أن الشريعة الإسلامية كفلت الاستقرار والسعادة للأسرة، ولو أن كل واحد من الزوجين عرف ما له وما عليه لكانت الحياة فى منتهى السعادة، ويضيف.. إن

معاملة الزوج لزوجته معاملة طيبة، تجعلها هى أيضا تعامله معاملة طيبة، إن القوانين لا تحل المشكلات وإنما الذى يحل المشكلات هو التسامح والمودة والألفة والرحمة الموجودة فى قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وللأسف فهذه الآية قرئت على أسماعنا جميعا ومع ذلك لا يتفكرون.

التفوق وراثة

ورث أولاد الدكتور عبد الغفار هلال صفة التفوق عنه وعن والدتهم فقد أسفر زواجه عن خمسة من الأولاد، هم أحمد عبد الغفار طالب فى السنة السادسة بكلية طب الأزهر وهو متفوق ويأتى بامتياز فى كل عام، ويقول عن اختياره لكلية الطب: إن علم الطب يجسد قدرة المولى عز وجل فى خلقه، فجسم الإنسان هو الأقرب إلينا ولا نستطيع اكتشاف كل ما فيه، وعلى سبيل المثال هناك ٥٠٪ من الأمراض غير معروف أسبابها، فالطب علم دقيق جدا كل كلمة فيه لها معنى وأنا أعتبره أكثر علم يجسد قدرة الله.

ويهوى أحمد ممارسة الرياضة.. فهو يعلم أن العقل السليم فى الجسم السليم، ولذا يمارس رياضة كرة السلة فى نادى مدينة نصر. أما الابن الثانى للدكتور عبد الغفار هلال وهو طارق، فهو خريج كلية الصيدلة من جامعة الأزهر بتقدير جيد جدا وينتظر أن يعين فى الجامعة حسب التسابق مع زملائه، ويقول: لقد أتممت حفظ القرآن قبل التحاقى بالأزهر، فقد كان والدنا يحضر لنا شيخا يقوم بتحفيظنا جميعا القرآن الكريم.

وكما يهوى طارق قراءة الكتب الدينية والعلمية يهوى أيضًا استخدام الكمبيوتر ويرى فى شبكة المعلومات الدولية (إنترنت) وسيلة ممتازة للوقوف على أحدث ما كتب من أبحاث فى مجال علوم الصيدلة.

فى طريق الأدب

أما آلاء وهى الابنة رقم ثلاثة فى ترتيب أولاد الدكتور عبد الغفار فقد اختارت أن تسير على طريق الأدب واللغة العربية أسوة بوالديها، فدخلت قسم اللغة العربية بكلية بنات عين شمس وهى فى السنة النهائية وتحصل على الترتيب الأول على دفعتها فى كل عام، وتقول:

أحببت الجانب الأدبى والكتب الأدبية وخاصة الشعر، وأحببت اللغة العربية من خلال تأثرى بوالدى ووالدتى، فكنت أسمع منهما كثيرا عن اللغة العربية وأقرأ الكتب العديدة فى المكتبة، فسعيت إلى طريق الأدب.

وتحرص آلاء على قراءة كل ما يقع فى يديها من كتب الأدب والشعر، وهى تحب قراءة كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

والابن الرابع للدكتور عبد الغفار هلال هو محمد، طالب فى السنة الثانية من الثانوية الأزهرية القسم العلمى، وهو كما يقول والده - أيضًا - متفوق، ليس فقط فى المواد العلمية وإنما أيضا فى المواد الأزهرية، ويأخذ فيها الدرجات النهائية، ويقول: أتمنى أن أكون طبيبا، فأنا أتصور أنها مهنة نبيلة يمكن من خلالها للإنسان أن يساعد الآخرين خاصة الفقراء وغير القادرين.

ويهوى محمد قراءة الكتب الدينية خاصة تلك التى تجيب على استفسارات من هم فى مثل سنه فى أمور الدنيا والدين.

أما خالد أصغر الأبناء فهو طالب فى السنة الأولى من الثانوية الأزهرية - القسم العلمى - أيضًا.. ويتمنى أن يكون طبيبا أو صيدليًا فهو يرى فيها مهنة ذات مستقبل عريض، .ويهوى خالد لعب كرة القدم فى المدرسة، ودخول المسابقات فيها وهو أيضًا يحفظ أكثر من نصف القرآن الكريم.

لا ينسى الدكتور عبد الغفار هلال فضل والدته عليه.. قائلا: لقد أوصى القرآن بالإحسان للأم كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بها، وقد كانت أمى نعم الأم.. تبصرنى بالخير وتنصحنى دائما بطاعة الله ورسوله وظلت

معى، حتى أننى حينما أُعرت للسعودية أخذتها معى وكنت أتنقل بها بين الحرمين.. لأننى أعلم أن رضاء الأم والأب هو مفتاح السعادة وكثيرا ما كنت أسير فى الطريق وأقول: اللهم ليس لى عمل صالح أتقرب به إليك فأكرمنى ببركة دعاء الوالدين.

وكما أن التفوق كان صفة من صفات الأب، وكان أيضا صفة من صفات الأم، فقد كان والدها - كما قلنا - عالما من علماء الأزهر وكان يشجعها على الدراسة بهذه المؤسسة العظيمة، ولذا وعلى الرغم من أنها درست فى الثانوية العامة، إلا أنها دخلت كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فقد كانت تحفظ القرآن على يد والدها وتقول: كان والدى - عليه رحمة الله - يهتم بتعليمنا أمور الدين وقد كنا صغارا ونعلم من أمور ديننا أشياء يدرسونها الآن من هم فى المراحل الثانوية، وقد علمنا التواضع والبر بالوالدين، وزرع فى قلوبنا حب الأزهر، حتى أننى بعد انتهائى من إتمام المرحلة الثانوية التحقت بكلية الدراسات الإسلامية وقد كنت والحمد لله الأولى مع مرتبة الشرف فى كل عام وعينت معيدة بالكلية ثم تزوجت أثناء إعدادى للدراسات العليا.

* وهل أكملت دراستك على الرغم من الزواج؟

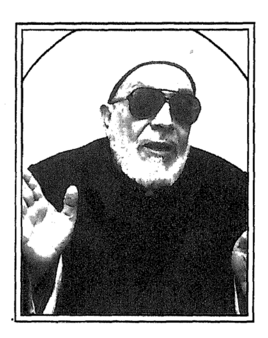
- نعم، فقد وفقنى الله إلى الجمع بين الدراسة ورعاية الزوج والأولاد فلم أحصل على درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه إلا بعد زواجى ولم تكن هناك مشكلة والحمد لله، فقد كانت والدتى ووالدة الدكتور عبد الغفار هلال تحيطان بنا وتقدمان لنا كل مساعدة تقديراً منهما لأهمية العلم، وكانتا تتواجدان معنا دائما أثناء الامتحانات هذا بالإضافة إلى مساندة الدكتور لى وتشجيعه، وعلى الرغم من ذلك، فقد كنت أعتبر أن رسالتى الأولى فى البيت، أما الدراسة فتأتى فى الترتيب الثانى، ولم أشعرهم أبدا بأننى امرأة عاملة، أو أن هناك تقصيراً فى حق البيت فقد كنت أبدأ يومى بعد انتهاء يومهم فأكتب وأذاكر حتى الفجر، وعندما يستيقظون يجدون كل شىء على ما يرام.

سنة عصيبة

لم يحصل أولاد الدكتور عبد الغفار والدكتورة فردوس على دروس خصوصية، فقد كانوا - كما تقول الأم - كلما احتاجوا المساعدة وجدونى ووجدوا والدهم. ولذا فالسنة الدراسية عندنا تكون عصيبة.. الكل يذاكر.. والدهم وأنا وهم.

وتضيف: والحمد لله فهم ذرية طيبة لا يفعلون ما يغضب الله ويستجيبون للنصح والتوجيه، وقد نفعهم أسلوب تربيتنا وأيضًا دراستهم فى الأزهر، فالدكتور عبد الغفار لا يلجأ إلى التعنيف أبدا وإنما يستخدم أسلوب اللين والتفاهم، وأنا أيضًا أتبع نفس الأسلوب، والدكتورة فردوس تهوى القراءة والعلم الذى تشتغل به كما أنها تحب الشعر وكثيراً ما يأخذ الدكتور عبد الغفار رأيها فى شعره، وهى التى قامت بإعداد ديوانه الشعرى.. «هذا الضياء».. وعملت عليه دراسة على الرغم من رفضه إخراج شعره للنور.





أوصتنى زوجتى قبل وفاتها بالزواج من ابنة عمها.

الشيخ أحمد فرحات

الشيخ أحمد فرحات فى بيته

س

سنوات طويلة قضاها فضيلة الشيخ أحمد فرحات وهو إمام لمسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه.. وعلى الرغم من بلوغه السن القانونية للتقاعد إلا أنه صدر له قرار بالبقاء فى هذا المسجد طوال حياته، فقد نجح الشيخ أحمد فرحات طوال حياته فى أداء واجبه كداعية وشيخ للعديد من المساجد لأنه يعتقد أن الدور الحقيقى للداعية لا يقتصر على المسجد وإنما يتعدى جدران هذا المسجد للحى والمجتمع المحيط به، يلم بمشكلاته ويتصدى لحلها ويفض الخصومات والمنازعات بين أبناء هذا الحى ويقدم المساعدة إلى كل محتاج، وبذلك نجح فى أداء واجبه وحصل على أفضل التقارير وأعلى الأوسمة، وكان آخرها نوط الامتياز من الدرجة الأولى فى عام ١٩٩١.

ولد الشيخ أحمد فرحات فى عام ١٩٢٩ فى قرية متواضعة على شاطئ نهر النيل بمحافظة المنوفية، وهى قرية كفر صراوة مركز أشمون.

وعندما شب وبدأ يمشى ويتكلم أرسله والده إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن.

يقول الشيخ أحمد فرحات:

كنت أتمتع بعينين صحيحتين سليمتين، وفى أحد الأيام أرسلتنى والدتى إلى إحدى الجارات وكانت تعرف فى القرية كلها بأنها سيدة حسود حقود، فنظرت إلى وقالت للنسوة اللاتى يجلسن بجوارها: هل ترون هذا الفتى ابن فلان، إن والدته فطمته على السمن والزبد!! بعدها عدت إلى أمى وأنا أفرك فى عينى وأشعر بألم

فيهما، ولأننا كنا نتعالج فى القرى عن طريق حكيم الصحة وهو الحلاق، أخبرته أمى بما ألم بى فأعطانى «شيشم» وأخبرها أن تضعه فى عينى صباحا ومساء. . فإذا بالألم يزداد وحالة عينى تسوء فأخذنى والدى إلى القاهرة وأخذ يدور بى على الأطباء. . ولكن حكم الله نفذ ولم يستطيعوا إنقاذ عينَىّ.

فقال جدى ووالدى: هذا قضاء الله وإرادته أن يتفرغ للكُتّاب ولحفظ القرآن. وبالفعل أتم الشيخ أحمد فرحات حفظ القرآن وهو فى سن الحادية عشرة من عمره واصطحبه والده إلى المعهد الأزهرى بالقاهرة حيث أجرى له امتحان فى القرآن الكريم كله، اجتازه بنجاح وانتظم فى المعهد، ويقول فضيلة الشيخ أحمد فرحات عن ذلك:

كان والدى ـ عليه رحمة الله ـ موظفا فى القاهرة ولذا أخذ سكنًا قريبًا من الأزهر حتى لا أعانى مشقة فى ذهابى إلى الأزهر وقد كنت أذهب إليه يوميا ولم أتخلف عن ذلك يومًا واحداً، وقد كنت أذهب إلى المعهد باكرا قبل أن يفتح أبوابه وأدخل الفصل قبل أن يحضر الأستاذ، وانتظمت فى المعهد وكنت أنجح فيه بتفوق، والحمد لله أتممت المرحلة الابتدائية وهى أربع سنوات ودخلت المرحلة الثانوية وكانت خمس سنوات.

الداعية الصغير والساحر

عشق فضيلة الشيخ أحمد فرحات الدعوة منذ نعومة أظافره فكان وهو لايزال فى المرحلة الابتدائية يصعد المنبر ويخطب فى الناس ويعلم أبناء قريته ما تعلمه من فقه وشريعة وعلوم دينية، فكان يجلس فى المسجد ليعطيهم دروسا ويجيب عن تساؤلاتهم وكانت النساء لا يتحرجن من سؤاله عن كل ما يتعلق بشئونهن الخاصة مثل سنن الوضوء والطهارة من الجنابة والحيض، وفى ذلك يقول:

كنت أحرص على توجيه وإرشاد من ينحرفون من أبناء القرية عن أصول الشريعة ويتركون أعمالهم ليجلسوا على المقاهى فى ساعات النهار يدخنون ويلعبون، فكنت أحارب هذه السلوكيات، كما أننى كنت أحرص على محاربة

الخرافات التى كانت تسيطر على أبناء القرى بسهولة نتيجة لانتشار الشائعات حول أن شخصًا معينًا يمتلك قوى خارقة فى الحسد، وفى السحر وما إلى ذلك، وأذكر أنه فى أحد الأيام وكنت فى ذلك الوقت لا أزال طالبا فى الثانوى الأزهرى، أن جاء رجل إلى القرية قيل عنه إنه يمارس السحر، وأصاب الناس الخوف والفزع مما قد يفعله هذا الساحر بهم، وبدأوا يتوافدون عليه ليحل لهم مشكلاتهم اعتقادا فى قدراته الخارقة، فأعلنت أن خطبة الجمعة ستكون عن السحر والسحرة فأخذ أهل البلد يحذروننى ويرجوننى ألا أتحدى هذا الرجل الخطير وقالوا لى إنه يحذر من إنك إذا صعدت المنبر فسوف يفعل فيك كذا وكذا. . فلم أبال بهذه التحذيرات وصعدت المنبر وبدأت خطبتى بعد أن صليت على النبى صلى الله عليه وسلم، فإذا بهذا الرجل الساحر لم يصبر حتى أنتهى من الخطبة الأولى وولى هاربا والناس تزفه إلى خارج القرية ولم نسمع عنه شيئا بعد ذلك، عندئذ أدرك الناس أن السحر لا تأثير له على المؤمن الذاكر لله.

لا يفلح الساحر

يقول الله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى). . حقًا إن السحر موجود وأن السحرة موجودون ولكنهم خيال، يؤثر على من هم بعيدون عن ذكر الله وعن طريق الله، أما المسلم أو المسلمة التى تحافظ على الصلوات الخمس فلا يمكن أن يصيبها أى ضرر، فالمؤمن الذى يصلى يقرأ الفاتحة عدة مرات فى صلواته الخمس، وقبل أن يذهب إلى أى مكان يتحصن بكلمات الله وقبل أن يخلد إلى النوم يتحصن بكلمات الله، فكيف يتمكن السحر أو الجان من هذا الإنسان؟

العلاج بالقرآن

سؤال. . وماذا عن العلاج بالقرآن، فهناك من يلجأ إلى المشايخ يطلب منهم علاجه بالقرآن؟

ـ لقد واجهت ذلك كثيرا ودائما ما كنت أنصح من يطلب منى ذلك، أن يذهب إلى رجل صالح عالم عامل ليدعو له، ويقرأ له، وأنصحه بأن يقرأ أو تقرأ

هى بنفسها وأن يعالج أو تعالج نفسها بالقرآن، فقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام نفسه عندما يصيبه مرض يضع يده على العضو المصاب ويقول له «الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين. .» والرسول صلى الله عليه وسلم علمنا آيات وحضنا على قراءة آيات من القرآن فيها حصانة وفيها حرز ولو قرأها المسلم صباحا ومساء لا يمكن أن يصيبه ضرر.

نشاط واسع

وبعد دخول الشيخ أحمد فرحات كلية أصول الدين ازداد نشاطه الدعوى واتسع فأصبح لا يكتفى بالوعظ والإرشاد فى قريته كفر صراوة وأخذ يعظ ويرشد ويلقى دروسًا فى كل القرى المجاورة. وعن ذلك يقول:

كنت أنتهز فرصة وجود أى جمع فى أى مناسبة للأفراح أو المآتم أو أى تجمع يضم الشباب لأى غرض من الأغراض وأدفع بنفسى وسطهم وأقف فيهم خاطبا واعظا وأتلقى أسئلتهم التى تدور فى صدورهم.

ويضيف قائلا: فى الحقيقة أنا لم أتعلم الوعظ والإرشاد فى الأزهر فقط ولكننى تعلمته قبل ذلك فى قريتنا مع الفلاحين والفقراء.

وبعد أن اجتاز الشيخ أحمد فرحات امتحان السنة النهائية بكلية أصول الدين التحق بكلية اللغة العربية للحصول على التخصص فى التدريس، وعلى الرغم من أن الحصول على هذا التخصص يستدعى الدراسة مدة عامين، حصل عليه الشيخ أحمد فرحات فى عام واحد.

١٥ تقرير امتياز

ويكمل لنا مشوار حياته قائلا:

بعد حصولى على التخصص فى التدريس أعلن ديوان عام الموظفين عن مسابقة لاختيار مدرسين تقدمت إليها ونجحت فيها ثم توليت أول عمل لى وهو واعظ فى الصعيد، وهو أمر كان يشكل لى مشقة كبيرة بسبب كف البصر،

فسعيت حتى نقلت إلى وظيفة إمام وخطيب فى وزارة الأوقاف.. وأخذت أتنقل من مكان لمكان وعينت فى مساجد عدة وقد ساعدتنى خبرتى الطويلة فى الوعظ والإرشاد فى نجاحى كداعية وكإمام مسجد حتى أننى عندما توليت إمامة مسجد الأشراف بالغورية حصلت أثناء خدمتى به على ١٥ تقرير امتياز لما بذلته من جهد ونشاط فى خدمة أبناء الحى، فقد كنت أختلط بالناس وأعمل على حل مشكلاتهم وإعادة الأمور إلى نصابها.

ويضيف الشيخ أحمد فرحات قائلا: المهمة الحقيقية لإمام المسجد تكون فى ارتباطه بالبيئة التى يوجد فيها هذا المسجد ومحاولة الوقوف على مشكلاتها وحل هذه المشكلات، ولعل إدراكى لهذه الحقيقة هو الذى أهلنى لأن أكون إمام مسجد سيدنا الحسين كل هذه السنوات حتى إننى عندما وصلت إلى سن التقاعد صدر لى قرار بالاستمرار فى إمامة المسجد مدى الحياة!

ونتيجةً لهذه التقارير الممتازة، وقع الاختيار على الشيخ أحمد فرحات ليتولى الإشراف على قوافل التوجيه المعنوى التى تنظم للجنود على خطوط النار أثناء الحروب، وفى ذلك يقول:

المسافر الوحيد

كنت أذهب فى كل أسبوع مع قافلة الدعاة إلى السويس والعين السخنة ورأس غارب وألقى فيها الموعظة، ولم أتخلف فى أحد الأيام لدرجة أنه فى أحد الأيام من عام ١٩٦٧ كانت الأمور متوترة على الجبهة ولم يحضر أحد من قافلة الدعاة، فقال لى قائد السيارة: لا داعى أن تذهب فلديك عذرك، ولكننى قلت له أبدا أركب معك، وأركب بجوارك وأقوم بواجبى.. وعندما وصلت إلى مقصدنا وجدت الممرضات فقط هن الموجودات والجنود على خط النار، فطلبت ذهابى إليهم.. وقد كان.

على الباخرة

وعندما قررت وزارة الأوقاف اختيار واعظ أثناء رحلات الحج يرافق الحجاج ويبصرهم بأمور دينهم ومناسك الحج أجرت مسابقة لذلك وتقدم لها الشيخ أحمد فرحات، فوقع الاختيار عليه لما له من رصيد طيب وتقارير ممتازة، وأثناء هذه الرحلات رأى الشيخ أحمد فرحات من آيات الله الكثير، ويروى لنا إحداها قائلا:

فى إحدى الرحلات.. وصلت الباخرة وهى فى طريقها إلى جدة إلى مكان خطر من البحر يسمى «بركة فرعون» فأخذت الباخرة ترتجف بشدة، فقمت بواجبى فى تثبيت قلوبهم حتى لا يفزعوا ومرت الباخرة من هذه المنطقة بسلام، وإذا بإحدى السيدات المسافرات تعلن أن حقيبتها سرقت منها وبها كل أموالها فأمسكت الميكروفون موجها ندائى إلى جميع الحجاج أن يقرأوا الفاتحة داعين الله أن يعاقب من سرق هذه الحقيبة، ثم قمنا بجمع أموال من جميع الحجاج ووفرت لهذه السيدة ما يؤهلها للنفقة طوال مكثها فى الأراضى المقدسة، وعندما عدنا بالباخرة لنحضر الفوج الثانى ومررنا بهذه المنطقة الخطرة.. بركة فرعون.. للمرة الثانية اهتزت الباخرة هزة عنيفة وأعلن القبطان تنكيس الأعلام وطلب من الناس ارتداء أطواق النجاة، والتف حولى الناس لكى أعظهم وأشترك معهم فى الدعاء، واستطاعت الباخرة أن تمر بسلام، وعند وصولنا إلى جدة اكتشفنا أن سارق حقيبة السيدة أحد عمال الباخرة وكان يرقد مريضا فى أحد العنابر السفلى وقد شقت الأمواج هذا العنبر واقتحمته وأغرقت هذا العامل قبل أن يستطيع النجاة، وانتقم الله للسيدة الحاجة التى سرقت منها الحقيبة.

السكين على رقبته!!

مواقف كثيرة تعرض لها الشيخ أحمد فرحات، بعضها كان يمثل خطورة كبيرة على حياته، فقد كان البعض يحقد عليه لما له من حب فى قلوب مريدى مسجد سيدنا الحسين وفى قلوب أبناء حى الحسين، وقد أوشك فى إحدى المرات أن يدفع حياته ثمنا لهذا الحب، ويروى لنا هذا الموقف قائلا:

من المعتاد أننى أؤم المصلين فى صلاة الفجر بمسجد سيدنا الحسين وتنقل

الإذاعة هذه الصلاة خاصة فى شهر رمضان، وفى إحدى السنوات أثناء إمامتى للصلاة فى الركعة الثانية فوجئت برجل يشق الصفوف حتى يصل إلى المحراب بجوار المنبر ماسكا فى يده مدية «سكين» ووضع هذه السكين على رقبتى ونحن على الهواء.. فماذا أفعل؟! أخذت أتجه يمينا فيتجه معى وأتجه شمالا فيتجه معى دون أن أقطع الصلاة، حتى جاءت آية من عند الله وصيحة من السماء، وإذا بهذا المعتدى تصفعه صفعة وتضربه ضربة جعلته يصيح ويصرخ صرخة عالية سمعها الجميع على الهواء، وواصلت أنا أداء الصلاة حتى انتهيت وجاءت الشرطة وأخذت هذا المعتدى.

معترضون

ولا شك أن هناك كثيراً من الصعاب التى تواجه إمام مسجد حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزواره كثيرون ومشكلاته أكثر، عن هذه المشكلات يقول فضيلة الشيخ أحمد فرحات إمام مسجد الحسين: ما يواجهنى من مشكلات منذ عشرين عاما وأكثر يكون بسبب اعتراض بعض المتشددين والمتطرفين ممن يرون فى زيارة أولياء الله الصالحين والتوسل بهم إلى الله فعلاً حرامًا.. خاصة إذا وجدوا من يقبل حديد المقام أو يمسح عليه.

فأحاول تهدئتهم ومناقشتهم بالحسنى وأقول لهم.. إذا كان هذا الشخص يقبل الحديد لذات الحديد، ففعله حرام.. أما إذا كان يقبله لأنه المكان الذى احتوى أعز شخصية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبلها ويكرمها، فهذا غير حرام، لأن الإنسان إذا كان له ابن مسافر إلى الخارج ويأتيه منه خطاب، فإنه يقبل هذا الخطاب ويضمه إلى صدره بدليل أن سيدنا يعقوب عليه السلام عندما غاب عنه سيدنا يوسف وابيضت عيناه من الحزن، ثم جاءه الفرج وجاءه البشير وألقى على وجهه قميص سيدنا يوسف، أخذ يتحسس هذا القميص ويشمه وارتد بصيراً.

البتول

وفى إحدى المرات.. واجه معارضة ثانية عندما تحدث عن السيدة فاطمة

البتول. . وكان ذلك أثناء مولد الحسين، يحكى لنا هذه الواقعة قائلا: كنت أتحدث عن الخصوصيات التى اختص بها الله السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت من فوق المنبر إنها تميزت بمميزات لم تحدث لأى امرأة سواها من نساء العالمين، فقد قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم: «فاطمة بضعة منى وهى نفسى التى بين جنبيَّ وهى ريحانتى، من عرفها فقد عرفنى».

وقلت لهم. . إنها ولدت الإمام الحسين فى ليلة عقب صلاة المغرب، ثم قامت واغتسلت وتوضأت وأدت صلاة العشاء، وهى نفاس. . ولم يؤتها دم. . ولذلك سميت بالبتول لأنها لم تر طوال حياتها قطرة من دم حيض أو نفاس، وهذه ميزة خاصة.

واعترض بعض الناس على ما قلت، وكتب آخرون فى الجرائد يعترضون، ورددت عليهم ردودا أفحمتهم، وكان ممن تصدوا لهؤلاء المعارضين الأستاذ جمال بدوى ـ أكرمه الله ـ فهو يحب أهل البيت ويدافع عنهم ويعتز بمواقفهم التى خلدها التاريخ.

ويضيف الشيخ أحمد فرحات قائلا: يعنى مثلا. . شخصية الإمام الحسين. . شخصية تستحق كل التقدير والتعظيم لأنه نشأ نشأة ليست كنشأة الشباب فقد نشأ فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وفى كنفه وتربى على يد المربى الأعظم، نشأ فى بيت ليس فيه انحراف ولا انزلاق ولا انصراف عن الطريق السوى حتى إن السيدة فاطمة عندما كانت تحب أن تمازح سيدنا عليًا رضى الله عنه كانت تقول: يا على. . هذا هو الحسين أشبه لجده النبى، هو أقرب لجده منك.

وليس هذا بعجيب فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول: حسين منى وأنا منه.

وصية الزوجة

بدأت قصة زواج الشيخ أحمد فرحات بعد أن تخرج ووظف ووصل إلى الوظيفة التى تؤهله أن يكون مسئولا عن بيت، يروى لنا هذه القصة قائلا:

كان لى صديق مخلص من جماعة الشيخ أبو العيون، اسمه الشيخ فرج أبو العيون، كان واعظا وكان رفيقى فى الدراسة، وكان متزوجا من فتاة من بلدة تبعد قليلا عن مدينة طنطا اسمها «نواج».

فلما علم أننى مقبل على الزواج اختار لى أخت زوجته وكانت بنت رجل عالم من علماء الأزهر الفضلاء هو الشيخ أحمد عشب، وكانت قد أخذت قسطا وافرا من التعليم، فساعدتنى بعد الزواج على القراءة والكتابة يوميًا، وكانت خير معين لى فى حياتى، ولكن المنية أنشبت أظفارها فيها، وأخذتها منى بعد أن رزقنى الله منها بابنى الأكبر «ياسر» صاحب جريدة الملتقى، وأسماء خريجة كلية الخدمة الاجتماعية، وهى الآن مع زوجها الذى يعمل أستاذا بالمملكة العربية السعودية، وإسراء وهى خريجة جامعة الأزهر، وكانت زوجتى قد مرضت وأوصتنى أثناء مرضها بأن أتزوج بعد وفاتها بابنة عمها، رحمها الله. كانت الزوجة المثالية التى أعانتنى على أداء مهمتى ليل نهار فى إعداد الدروس، والإجابة على أسئلة الصحافة والقراءة اليومية، ولم تتخل عنى أبدا فى لحظة من اللحظات ولازلت أدعو الله أن يسكنها فى الفردوس الأعلى.

خير خلف

وبعد وفاة الزوجة المخلصة، نفذ الشيخ أحمد فرحات وصيتها وتزوج من ابنة عمها التى يقول عنها:

هى خير خلف لخير سلف، من نفس العجينة والسلوك والحمد لله. . رزقنى الله منها بالمهندس إسلام والمهندس إيهاب وصفاء طالبة فى كلية تجارة الأزهر، تقول السيدة حرم الشيخ أحمد فرحات:

بعد وفاة ابنة عمى، رأى الأهل أن خالة الأولاد هى الأولى برعايتهم وهى التى تستطيع أن تكون لهم أما ثانية، والحقيقة أننى لم آت لهم كزوجة ثانية ولكنى كأم ثانية، فقد كانت هذه هى رغبة الأسرة ورغبتى أنا أيضا ولم يكن هناك أى ضغوط لذلك. . والحمد لله، فقد قمت بواجبى ومهمتى على خير وجه.

ولأن فضيلة الشيخ أحمد فرحات داعية اعتاد أن يعالج الأمور بالرفق واللين، فقد اتبعتْ زوجتُه نفس النهج، فهى لم تأخذ الأولاد بالشدة وتعاملت معهم بالرفق واللين ولم تفرض عليهم شيئا، وإنما كان والدهم معلمهم العظيم وكانت هى مساعدته فى هذه المهمة فوقفوا على أمور دينهم وارتدت الفتيات الحجاب دون ضغط أو شدة.

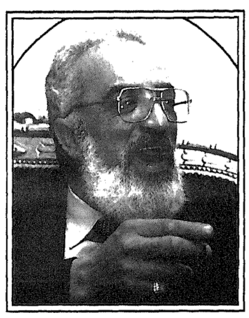
أقرأ لوالدى

وتقول صفاء أصغر بنات الشيخ أحمد فرحات.. إننى أعتبر والدى علامة كبيراً فهو دائما يحثنا على القراءة والوقوف على أمور ديننا، وقد شجعنى على ذلك رغبتى فى القراءة له ومساعدته فى استخراج المعلومات اللازمة لخطبته من الكتب.

وتركت منزل الشيخ أحمد فرحات فى درب الحموى بجوار مسجد الحسين رضى الله عنه الذى أقام فيه بعد وفاة صاحبه الشيخ أحمد عليوة السباعى.

وكان الشيخ السباعى قد جاء إلى مصر ودخل مسجد الحسين رضى الله عنه وأخذ يلف ويدور حول المقام فقابله رجل وقال له.. هل تبحث عن سكن؟ فقال له.. إننى أبحث عن مكان أقضى فيه ليلتى، فأخذه هذا الرجل وأعطاه قطعة أرض بنى فوقها هذا البيت.. وقبل موته أوصى بألا يقيم فى هذا البيت سوى الشيخ أحمد فرحات، الذى استطاع بحِلمه وعلمه أن يكسب تقدير كل ساكنى حى الحسين.





صافح والدَنا الملكَ فاروقاً دون انحناء، فأبعدوه إلى سوهاج.

أولاد الشيخ محمود فايد

أولاد الشيخ محمود فايد فى بيته

كان الشيخ محمود عبد الوهاب فايد إمام أهل السنة والرئيس السابق للجمعية الشرعية ـ عليه رحمة الله ـ يرجع إلى والده يلتمس عنده المشورة قبل إقدامه على موقف من مواقفه الجريئة فى التصدى للظلم والوقوف جنب الحق وهو يعلم ما قد يجره عليه ذلك الموقف من مخاطر وأذى ونقل إلى أقاصى الصعيد، فكان والده يرد قائلا: «أنا لا يعنينى أن تنقل إلى قنا أو تبقى هنا «فى القاهرة» إنما يعنينى أن تلزم الحق فى كل ما تقول».

وهكذا وعى الابن الدرس فقضى جل عمره مصارعا مناضلا فى سبيل الدفاع عن الحق والتزامه والتصدى لأى إنسان يحيد عنه مهما علا قدره واشتد خطره، وقاسى من جراء ذلك الكثير فأحيل إلى الاستيداع ودخل السجن ولكنه أبدا لم يتراجع يوما عن موقفه أو يتخلى عن مبدئه، وقدم للمجتمع أسرة متآلفة متحابة، تسير على نهجه فى طاعة الله، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولد الشيخ محمود عبد الوهاب فايد ـ عليه رحمة الله ـ يوم ٣٠ نوفمبر من عام ١٩٢٠ بقرية دمنكة بمحافظة كفر الشيخ لأسرة اشتهرت بحب العلم، فوالده من الشيوخ المعروفين بالعلم والصلاح، وجده الشيخ مبروك كان حجة فى العلوم الدينية وخلف وراءه مكتبة بخط يده تضم صحيح البخارى وتعليقات عليه ومنها الشرح الصغير والشرح الكبير فى فقه المالكية ومنها تفسير الجلالين وشرح ألفية السيوطى فى النخو وغيره.. وأخوه الأكبر هو الشيخ محمد فايد مأذون القرية،

عرف بتدينه وورعه والتزامه بالسنة، وأخوه الذى يليه هو الدكتور عبد الوهاب، الأستاذ بكلية أصول الدين، وله أخ ثالث يعمل مدرسا بوزارة التعليم، وابن عمه الشيخ محمد عبد الغنى كان واعظا بالأزهر، وابن عمه الآخر عبد الله عبد الغنى متخرج من دار العلوم، فأغلب عائلته وأخوته وأبناء عمومته وأبنائهم كلهم من أبناء الأزهر الشريف.

طفولة ثورية

يحكى لنا ابنه الثانى الأستاذ أبو بكر محمود فايد المحاسب ورجل الأعمال ما يعرفه عن طفولة والده يقول:

فقد والدى أمه وهو لايزال طفلا صغيرا فى الرابعة من عمره، لذا كان والده بالنسبة له بمثابة الأب والأم، وعلى يده تعلم القراءة والكتابة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، حتى إذا أتم حفظه، ألحقه والده بمعهد دسوق الدينى الأزهرى فى عام ١٩٣٣ ونال من هذا المعهد شهادة الابتدائية. وفى هذه السن الصغيرة بدأت تظهر مواقف الشيخ محمود فايد الثورية والجريئة فى سبيل مناصرة الحق، يقول الأستاذ أبو بكر:

أثناء وجود والدى فى المعهد الأزهرى الابتدائى قام الطلاب بثورة للمطالبة بإصلاح الأزهر، كان لوالدى دور فيها فتقرر فصله، ثم لم يلبث أن أعيد بعد أن نجحت الحركة فى تحقيق أهدافها، وبعد حصول والدى على الشهادة الابتدائية التحق بمعهد طنطا الثانوى، وفى السنة الثانية، تناهى إلى مسامع الطلاب أن كتابا يدرس فى كلية الآداب بقرار من عميدها يتضمن مساسا برسول الله ﷺ فثار الطلبة معلنين استنكارهم وأضربوا عن الحضور، فبادر الشيخ إبراهيم الجبالى شيخ المعهد بفصل نفر منهم، فإذا بالشيخ محمود فايد - والدى - يتصدى للدفاع عن زملائه المفصولين، ويستثير حمية زملائه للوقوف بجوارهم بل ويكتب شعرا يقول فيه:

أرى بالإنس إخوانا كراما
لهم فى الحق ألسنة تنادى

رأوا أن العميـد أتـى بسفـر
بـه مـا لا يليـق بـذى الرشـاد
فقامـوا يعلنـون أشـد سـخط
ويبـدون العـداء لمـن يعـادى
فهل فـى مثـل ذاك يليـق فصـل
وهـل إخوانكـم مثـل القتـاد؟!

ثم ختمها بقوله:

فجـدوا وطلبـوا بطريـق سـلم
رجوعـهـم وإلا باشتـداد

فلم يكتف شيخ المعهد بفصله، وإنما استعان برجال الأمن ليدخله السجن، فلم يستسلم أو يخيفه السجن ـ وهو لا يزال صبياً فى السنة الثانية الثانوية ـ وكتب شعرا يعاتب فيه عميد المعهد والمسئولين عتاباً شديدا يصل إلى حد التقريع، وعلى الرغم من ذلك كان ـ عليه رحمة الله ـ إذا سئل عن الشخصيات المؤثرة فى حياته ذكر منها الشيخ محمود العزاوى والشيخ إبراهيم الجبالى شيخى المعهدين الابتدائى والثانوى الأزهرى فقد كان يعجبه فيهما مكانتهما العلمية والهيبة التى كانت لهما بين الناس.

لا ينحنى

ويدخل الشيخ محمود فايد كلية أصول الدين ويتخرج منها بترتيب الأول على الدفعة وتلازمه الروح الثائرة ضد أى ظلم ولا يعرف قلبه الخوف فى مواجهة ما قد يجلبه عليه قلبه الجرىء، فإذا به وهو الأول على دفعته يدعى مع بقية زملائه المتفوقين إلى حفل يحضره الملك فاروق ويصافح فيه المتخرجين وأعطيت الأوامر إلى الجميع بأن ينحنوا عند مصافحة الملك، فيأبى هو الانحناء ويصافح الملك وهو

منتصب القامة مرفوع الرأس، فتكون النتيجة أن تصدر الأوامر بتعيينه ـ وهو الأول ـ فى سوهاج بدلا من القاهرة.

لا يعنينى

وقد كان الشيخ محمود فايد يرجع إلى والده يستشيره فى كل أمور حياته خاصة فيما يعتزمه من مواقف قد تسبب له الأذى، ويذكر لنا ابنه الأكبر المهندس الزراعى محمد محمود فايد بعض هذه المواقف قائلا: فى إحدى المرات أرسل والدى إلى جدى يستشيره فيما يعتزمه من نقد لتصرفات شيخ الأزهر آنذاك بعد أن جرته السياسة إلى مواقف لايرضى عنها الإسلام. وقال لوالده: إنه يتوقع إذا نشر ما يريد أن ينقل إلى قنا، فجاءه رد جدى يرده إلى قلبه ليستفتيه فيما هو مقدم عليه ويقول له «أنا لا يعنينى أن تنقل إلى قنا أو تبقى هنا ـ فى القاهرة ـ إن ما يعنينى فقط أن تلزم جانب الحق فى كل ما تقول»، فما كان من والدى إلا أن أقدم على معركته من أجل الحفاظ على مكانة الأزهر، وفى سبيل ذلك نقل إلى قنا وأحيل إلى مجلس تأديب بعد أن قطع عنه راتبه، وكان قد كتب مقالا وكأنه قنبلة بدأه قائلا «بسم الله والله أكبر، فليستقل شيخ الأزهر»، وضم مجلس التأديب الشيخ الحسينى سلطان (وكيل الأزهر) رئيسا، والشيخ عبد اللطيف السبكى (عضو معين)، وصدر قرار جمهورى بتعيين الدكتور مصطفى الحفناوى عضو يسار، ولما انتشر الخبر تطوع بعض المحامين للدفاع عنه وطلبوا من وكيل الأزهر رئيس مجلس التأديب التنحى عن رئاسة المجلس قائلين.. كيف ترأس مجلس تأديب تحاكم فيه رجلا طالب بتأديبك لكذبك على رسول الله ﷺ؟.. فقد كان والدى نشر مقالا طالب فيه بتعزير وكيل الأزهر لأنه نسب إلى النبى ﷺ ما لم يقله. وتكهرب الجو وأجلت الجلسة، فما كان من وكيل الأزهر إلا أن كتب حكما بفصل والدى قبل انعقاد المجلس، فاستنكر الدكتور مصطفى الحفناوى تصرف وكيل الأزهر وأبلغه إلى رئيس الجمهورية، وشاع النبأ وأخفقت المحاكمة وجاء المفاوضون يغرون والدى بمختلف العروض مقابل سكوته، فرفض كل عرض إلا أن يعود مدرسا كما كان

فى معهد منوف وأن يعود كذلك زملاؤه الذين أيدوه إلى معاهدهم التى نقلوا منها وبالفعل استجيب لكل هذه المطالب وخرج الشيخ من المعركة مرفوع الرأس منتصرا، وجاء المؤيدون يستقبلونه بالتهانى وفى مقدمتهم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله ـ الذى تلا على والدى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون».

هل يجوز؟

وكثيرا ما غامر الشيخ محمود فايد ـ عليه رحمة الله ـ برأسه فى أحلك المواقف والأزمات دفاعا عن الحق حتى ولو وصل الأمر إلى التصدى لرئيس الجمهورية. حدث ذلك فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكان قد ألقى خطبة تعرض فيها للعلماء، ويحكى ابنه أبو بكر هذه الواقعة التى تناقلتها الصحف قائلا:

تعرض الرئيس الراحل فى هذه الخطبة لأصحاب العمائم واتهمهم باستغلال الدين فى سبيل بطونهم وشهواتهم ولو أدى ذلك بهم إلى بيع الفتاوى بالفراخ. فكتب الشيخ محمود فايد مقالا رد فيه على الرئيس الراحل قائلا: أنا من أصحاب العمائم ومن أرباب الأقلام المتواضعة التى لم تدخر وسعا فى محاربة الفساد فى وقت اشتد فيه الضغط واستفحل فيه الاستبداد والإرهاب وكان نفر من الجيش ـ ومن الجيش وحده ـ هو الذى يحمى حمى الفاروق. وكان نفر من الجيش ومن الجيش وحده هو الذى يأكل على مائدة ولى عهده الطفل والقاهرة تحترق، فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم وبجميع اللغات ومن رئيس الجمهورية نفسه مثل هذا الكلام؟ لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوى العمائم كانت لهم مواقف كريمة مشكورة وإحساس مرهف، وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل، ومن فضل الله أن شعبنا فاضل واع ذكى أريب يعرف مقاييس الرجال ويميز الخبيث من الطيب.

إحالته للاستيداع

ولم تكن هذه آخر معارك الشيخ، ففى أعقاب نكسة ١٩٦٧ دعى لإلقاء محاضرة فى جامعة القاهرة وجمعية المحافظة على القرآن الكريم للكلام عن موضوع الساعة وهو النكسة، وبصراحته المعهودة مضى فى توضيح أبعاد الهزيمة ومسئولية الرئيس عنها، ولم يرق ذلك لمراكز القوة التى كانت لا تزال تحيط بالرئيس لدفع النقمة عن نفسها باعتبارها الشريك الأكبر فى المسئولية فسعت إلى تجميد نشاط الشيخ، وهكذا صدر قرار بإحالته إلى الاستيداع، وهكذا لزم الشيخ منزله فى رعاية المخابرات التى كانت ترصد كل حركة من حركاته.

يقول ابنه المهندس محمد عن هذه الفترة:

كان والدى يقول.. «لقد كانت هذه العزلة فرصة ربانية تفرغت فيها لتحقيق بعض الكتب وإنجاز بعض المؤلفات مما عاد على برزق أوسع بكثير من الذى قطع عنى» وقد زاره في هذه العزلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر آنذاك ومستشار رئيس الجمهورية الفريق عبد الرحمن أمين والوزير العراقى السابق اللواء محمود شيت خطاب، ليتذاكروا فيما بينهم فى وضع الشيخ، ثم اقترحوا عليه أن يقدم التماسا بالعودة، ولكن والدى ـ عليه رحمة الله ـ رفض وقال: إنه عندما يرسل التماسا فإن ذلك يعنى ضمنيا أنه كان على خطأ.

أصرح كلمة

ويقرر الرئيس الراحل أنور السادات بعد توليه الحكم إعادته إلى الأزهر فى مجمع البحوث، وبعدها بعام سافر الشيخ للعمل فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقضى بها سبعة عشر عاما، وقبيل سفره فى عام ١٩٧٢ دعى الشيخ للمشاركة فى البحوث المثارة حول الأوضاع الجديدة بمصر، وفى إحدى الجلسات الحافلة بمجلس الشعب ألقى الشيخ كلمة استغرقت عدة صفحات صرح فيها بكل ما يراه، وأكد على وجوب مناجزة إسرائيل قبل أن تستكمل قدراتها المرسومة

والتى يستحيل معها على العرب مواجهتها عسكريا، وقد نوه محمود أبو وافيه عضو مجلس الشعب بكلمة الشيخ فى مقال نشرته الأهرام فى عام ١٩٧٤ بعد حرب أكتوبر وقال فى زيارة له بالمدينة المنورة، إن الرئيس أنور السادات اطلع على كلمة الشيخ فأيدها فى حينها وعلق عليها بقوله: «هذه أصرح كلمة».

على الملأ

وعندما عاد الشيخ محمود فايد من المملكة العربية السعودية مارس نشاطه من خلال الجمعية الشرعية واختير قبل وفاته بعامين رئيسا للجمعية وتفرغ للدعوة، يقول الأستاذ أبو بكر محمود فايد:

أصبح والدى متفرغا للكتابة فى الصحف وإلقاء المحاضرات، وقد سألته فى إحدى المرات.. لماذا لا تلفت نظر من تريد أن تنتقد مواقفه بينك وبينه دون كتابة حتى لا تجلب على نفسك المتاعب؟!

وتكمل شقيقته الدكتورة أسماء إخصائية الولادة وأمراض النساء فى جامعة الأزهر: كان لوالدى فى ذلك وجهة نظر، فقد كان يقص علينا قصة أحد الأئمة الذى أخطأ فى إحدى فتاواه، فأراد أن يصححها ليبرئ ذمته أمام الله، فأخذ يطوف بالناس ويخبرهم بأنه أخطأ فى الفتوى، لذا كان والدى يرى أن المسائل الدينية لابد وأن تصحح، فإذا نشر شخص على الملأ أمورا فى الدين غير صحيحة، فينبغى أن تصحح أيضا على الملأ.

هوو المتنطعون

اشتهر فضيلة الشيخ محمود فايد ـ رحمه الله ـ بالسماحة واليسر، وكان يكره التعصب والتنطع، وهناك الكثير من المواقف التى تدل على ذلك، يذكر لنا ابنه المهندس محمد بعضها قائلا:

كان والدى إذا وجد أن هناك سبيلين لحل مشكلة دينية كلاهما صحيح اختار أيسرهما حتى يرغب الناس فى البحث عن الحلال والحرام وييسر عليهم أداء

عباداتهم، وأذكر أنه فى إحدى المرات عندما أنهى إمامته للمصلين بالمسجد سمع جدلا وراءه بين اثنين من المصلين أفتى فيه أحدهما للآخر بأن صلاته باطلة بسبب كثرة حركاته أثناء الصلاة، فنهاه والدى عن ذلك حتى لاينفر الناس من المساجد بسبب جمود هؤلاء المتنطعين، كما أن هناك قصة وردت فى كتاب «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين» للعالم الأزهرى الكبير الشيخ عبد الجليل عيسى، وفيها.. أن والدى صلى إماما فى مسجد كبير بالأرياف ولم يجهر فى صلاته بالبسملة، وبعد الفراغ من الصلاة نادى وراءه أحد المصلين بأن الصلاة باطلة، أعيدوا صلاتكم، وأسرع المؤذن بإقامة الصلاة وصلى هذا الشخص بالناس ثانية.. فشك والدى فى نفسه وأعاد صلاته معهم، وبعد الفراغ منها ذهب إلى هذا الشخص وسأله قائلا: ها أنذا قد صليت خلفك ثانية ولكن أحب أن أعلم الخطأ الذى استوجب بطلان الصلاة؟ فقال له الرجل.. لأنك لم تجهر بالبسملة فى أول الفاتحة! فقال له والدى: لقد قرأتها سرا وقد جاءت السنة بقراءتها سرا كما جاءت بقراءتها جهرا، بل قال إمام من الأئمة الأربعة وهو الإمام مالك بأن الجهر بها مكروه ولا أظن عاقلا فضلا عن مسلم يقول إن صلاة الإمام مالك كلها باطلة!!

يكمل المهندس محمد.. لقد كان والدى يرى أن الفتوى لها أهلها من المتخصصين الذين درسوا وتعلموا الفقه على أيدى علماء متخصصين، وليس كل من قرأ كتابًا أو تدارسه مع غيره له الحق فى الإفتاء.

مع الأقباط

وكما كان فضيلة الشيخ محمود فايد يميل إلى اليسر فى كل شىء كان يحرص أشد الحرص على الإحسان إلى جيرانه ومعارفه من الأقباط، ويقول المهندس محمد محمود فايد عن ذلك:

كان مالك بيتنا رجلا مسيحيا كما كان غالبية السكان مسيحيين، وكانت علاقتنا بهم وطيدة جدا، يشاركوننا كل المناسبات ونشاركهم فيها، وأذكر فى صغرى أنه كثيرا ما تركتنى أمى عندهم عندما كان والدى يولم الولائم فتنشغل فى إعدادها.

ويقول الابن الثانى للشيخ محمود فايد الأستاذ أبو بكر: لم يعرف والدى التعصب أبدا ضد معتنقى الأديان الأخرى أو يسئ معاملتهم، فقد كان حريصًا جدا أن تكون علاقته طيبة بجرجس عبد الملك صاحب البيت، وبالدكتورة إيزيس جارتنا، حتى إن الدكتور بطرس مترى ابنها عندما سافر إلى أمريكا استضيف فى برنامج تليفزيونى وسئل: من هم الأشخاص الذين تعتز بهم فى مصر؟ قال: إننى أعتز بأسرة الشيخ محمود فايد وأعتبر أولاده أشقاء لى.

قصة زواجه

كان الشيخ محمود فايد ينتمى لأسرة ثرية بالعلم وإن كانت تفتقر إلى المال، أما الزوجة فهى سيدة فاضلة من عائلة البهواش فى أوسيم. وكان والدها ـ رحمه الله ـ صاحب مصانع نسيج.. وقد روى الشيخ ـ عليه رحمة الله ـ قصة زواجه لأولاده قائلا:

كنت أصلى فى الأزهر، فوجدت سيارة فخمة جدا نزل منها السائق وفتح الباب لرجل يرتدى عباءة وعمة، فأدركت من مظهره أنه من رجال الجمعية الشرعية، وانتظر صاحب السيارة حتى ركن السائق السيارة ثم اصطحبه معه لأداء الصلاة فى المسجد، فدعا والدى فى صلاته أن يصاهر رجلا مثل هذا الرجل، وعرف بعد ذلك من صديقه اسم هذا الرجل وعنوانه وأنه صاحب مصانع نسيج وعزب وأطيان ولديه محلات فى شارع الأزهر، فأرسل والدى له خطابا يقول فيه: أنا فلان ابن فلان من حملة كتاب الله ومدرس فى الأزهر وأريد أن أصاهرك، فأرسل له جدى يطلب حضوره وأحسن استقباله ثم أرسل له أبناءه ليزوروه، فلما عادوا إليه بخبره قال لهم جدى: إننى أريد أن أزوج ابنتى لرجل يملك دينا وخلقا ولا يهمنى ما عدا ذلك، وتم الزواج.

كانت حياة الشيخ محمود فايد الزوجية ـ كما يراها أولاده ـ عبارة عن دروس يلقيها لهم فى كل يوم بالفعل وليس بالقول، فقد كانوا يرونه يحسن أشد الإحسان إلى أمهم، وعن ذلك يقول ابنه الأستاذ أبو بكر: كان دائم المداعبة ويحسن

استخدام الألفاظ عند مخاطبة والدتى. يضيف المهندس محمد الابن الأكبر: كان والدى يعتبر والدتى عماد البيت وأساسه فيحرص على إظهار كل احترام لها، ويذكر لها دائما وقوفها إلى جواره خاصة أيام إحالته للاستيداع.

الإطعام.. فى الفم

لم يكن الشيخ محمود فايد حسن العشر والمعاملة لزوجته فقط، ولكنه كان يحرص على الإحسان أيضا لأولاده، وفى ذلك تقول ابنته الدكتورة أسماء.. كان والدى يحرص أثناء تناولنا الطعام على أن يضع الطعام فى أفواهنا بيده ويصر على ذلك قائلا: إن إطعامى لكم فى أفواهكم صدقة، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، وكان هادئ الطبع معنا جدا ولا يثور علينا أبدا ولا يستخدم الضرب أو العنف، فقد كان أبا نادرا.

ويضيف الأستاذ أبو بكر مكملاً كلام شقيقته: كان والدى يصر أيضا على أن يعطى والدتى أثناء الطعام من نصيبه ويطعمها فى فمها حتى آخر يوم من عمره وقبيل نقله إلى المستشفى.

سهران معى

وتذكر الدكتورة هدى ـ أصغر بنات الشيخ فايد وهى مدرس أشعة بجامعة الأزهر ـ لوالدها مواقفه معها أثناء الامتحانات وتقول: كان والدى على كبر سنه يحرص على السهر معى أثناء المذاكرة حتى يؤنس وحدتى ويشجعنى على الاستمرار فى المذاكرة، فقد كان حريصًا على أن نحصل جميعا على درجات عليا وأن نتفوق، وبالفعل أصبحنا أنا وشقيقاتى أسماء وفايزة أطباء وتخرجت شقيقتنا الكبيرة فاطمة من الآداب.. وتضيف: أذكر أنه عندما كان يذهب والدي إلى المسجد ليؤم المصلين يقول لى: لا تخشى سوف أعود للسهر معك، إننى أذهب للمسجد حتى تكون دعواتى لك مستجابة.. وعندما يعود يصر على السهر معى حتى أذهب للنوم، وفى الصباح يحرص على قراءة الأدعية لى وأشهر قوله: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

لا ينام غاضبا

أما السيدة الفاضلة زوجة الشيخ محمود فايد فتقول: كان زوجى لا ينام غاضبا منى أبدا مهما كانت الأسباب، فقد كان حسن المعاملة والمعشر، وكان إذا أغضبنى وهذا أمر نادر، يحاول إرضائى بشتى الوسائل، وكان يحرص على أن نقضى شهر رمضان المبارك فى شقته بشبرا ليصلى بمريديه وأبنائه فى المسجد هناك، وأن يزور أهله ليقضى معهم عدة أيام قبيل شهر رمضان المبارك، وكان اعتاد أن يجمع الأولاد والأحفاد «١٥ حفيدا» بأزواجهم فى ليلة الـ ٢٧ من رمضان «ليلة القدر» ليختتم القرآن معنا ويدعو لنا جميعا قبل الإفطار، وقد استن سنة طيبة وهى أن يجمع كل الأولاد فى كل يوم خميس، وما زلنا نسير على هذه السنة الطيبة حتى الآن ونحرص على التجمع فى ليلة القدر.





اشترط والدى علىَّ التفوق فى الدراسة

حتى يوافق على إتمام زواجى.

د. سعاد صالح

د. سعاد صالح فى بيته



عندما عينت الدكتورة سعاد إبراهيم صالح عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، وفر لها زوجها السيد عبد الرؤوف رئيس تحرير جريدة عقيدتى عربة خاصة بسائق خاص حتى تستطيع أن تذهب فى السادسة والنصف من صباح كل يوم إلى المنصورة وتعود فى الثالثة عصرا، وبذا تستطيع أن تنجح فى أداء عملها ورعاية أسرتها إيمانا منه بأهمية دورها كداعية ومعلمة واقتناعا منه بأن ما تقوم به إنما هو رسالة تخدم بها بنات جنسها ممن يفتقدن إلى من يوجههن ويعلمهن دينهن، وبفضل تشجيعه ومساندته استمرت الدكتورة سعاد عميدة لهذه الكلية خمس سنوات، وبفضل مساندته وحماسه لدورها جعلها تشارك فى كل المؤتمرات وحرص على أن تقدم فى كل مؤتمر بحثًا وأن تقدم فى كل عام إنتاجا علميا جديدا يثرى علمها.

وبذلك.. أصبحت الدكتورة سعاد إبراهيم صالح واحدة من أبرز داعياتنا اللائى لا يزيد عددهن على أصابع اليد الواحدة.

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح هى الابنة الثانية ضمن تسعة أولاد للشيخ إبراهيم صالح شيخ المعهد الدينى الأزهرى فى منطقة حلمية الزيتون لمدة ستة وأربعين عامًا وتقول عن طفولتها:

ولدت فى مدينة القاهرة وبالتحديد فى منطقة حلمية الزيتون فكنت الابنة الثانية ضمن تسعة أولاد خمسة ذكور وأربع إناث، وكان والدى حريصا على أن نتعلم جميعًا تعليمًا عاليًا، ولكنه فى نفس الوقت حرص على إبعادنا فى المراحل الأولى

عن التعليم الأزهرى لأنه كان يخشى المجاملة أو أن يتهم بالمجاملة فى أولاده وأراد أن يعلمنا الاعتماد على النفس والبعد عن الوساطة منذ الصغر.

سُوَر الأحكام

تولى الشيخ إبراهيم صالح تحفيظ أولاده القرآن الكريم إلا أن الدكتورة سعاد صالح لم تحفظ القرآن كله وإنما حفظت منه ١٢ جزءًا فقط وعن ذلك تقول:

كان والدى شديد الحرص على تحفيظنا القرآن الكريم، وقد دفعه هذا الحرص فى بعض الأوقات إلى استخدام أسلوب العنف معنا مما جعلنى أتعثر فى حفظه كاملا، ولكننى حفظت منه ١٢ جزءًا أغلبها السور التى فيها آيات الأحكام مثل سورة البقرة والمائدة والأحزاب والنور، وهى التى نفعتنى فى تخصصى بعد ذلك.

وقد التحقت الدكتورة سعاد صالح فى مراحل الابتدائى والإعدادى والثانوى فى مدارس كلها كانت قريبة من منزلها بمنطقة حلمية الزيتون وكلها مدارس للبنات فقط وتقول عن ذكرياتها فى تلك المدارس:

كان هناك اهتمام كبير فى تلك المدارس بالتربية الدينية للطلاب وكان هناك حرص شديد على أدائنا جميعا للصلاة جماعة فى مواقيتها وكانت هناك أماكن مخصصة للوضوء ملحقة بالمصلى وكان هناك احترام شديد بين الطالب والأستاذ.

على الترابيزة

قدّر أولاد الشيخ إبراهيم صالح ومنهم الدكتورة سعاد ما يبذله والدهم من جهد لتربيتهم والإنفاق عليهم فكان يقوم بأعمال إضافية أخرى إلى جانب عمله كشيخ للمعهد الأزهرى حتى يستطيع الإنفاق على تعليم أبنائه التسعة.. تقول الدكتورة سعاد:

لم تكن هناك حجرات خاصة لكل منا، وإنما كان كل البنات فى غرفة، وكل البنين فى غرفة والأب والأم فى غرفة، ومكان المذاكرة هو ترابيزة السفرة، كل منا يجلس أمام كتابه، لا علاقة له بالآخر، لم يكن هناك تراخ من أحدنا فى تحمل

المسئولية، فكلنا كنا نقدر أن الأب يكافح والأم تكافح، وفى الإجازة الصيفية، كان لابد أن نتحمل مسئولية مساعدة الأم فى الأعمال المنزلية.

عقلية متفتحة

كان الشيخ إبراهيم صالح والد الدكتورة سعاد يتمتع بعقلية متفتحة تدرك أهمية أن يمنح أولاده فرصة المشاركة فى أنشطة المجتمع والاكتفاء بالمراقبة من بعيد، من هنا سمح لابنته الدكتورة سعاد بالاشتراك فى مختلف الأنشطة وعن ذلك تقول:

كان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عندما كان يرأسه الأستاذ توفيق عويضة ـ عليه رحمة الله ـ ينظم معسكرات بالإسكندرية يشترك فيها الطالبات والطلاب من مختلف الجامعات المصرية والجامعات الأجنبية والمبعوثون من العالم للأزهر، ولم تكن تلك المعسكرات مجرد مكان للأكل والشرب وإنما كانت حلقات نقاشية وحلقات تعارف بين ثقافات مختلفة، فكنت أشارك فى هذه المعسكرات وأيضا فى معسكرات منظمة الشباب، وقد أكسبنى وجودى فى هذه المعسكرات القدرة على مخاطبة الجماهير فأخرجتنى هذه المعسكرات من بنت متقوقعة إلى بنت تحترم نفسها وتعرف أن أهلها من أسرة أزهرية وتنتسب إلى جامعة أزهرية وتريد أن تكون سفيرة لجامعتها، فكان الاختلاط فى هذه المعسكرات موجهًا بطريق واحد هو التعاون الثقافى بعيدا عن أى أهواء خاصة.

اختارها الله لى

لم تختر الدكتورة سعاد صالح الالتحاق بكلية بنات جامعة الأزهر وإنما كان لدخولها هذه الكلية قصة ترويها لنا قائلة:

لم أختر الالتحاق بكلية بنات الأزهر ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى اختارها لى ثم والدى، فقد حصلت على مجموع متواضع فى الثانوية العامة بسبب دخولى القسم العلمى ضد رغبتى، فدخلت المعهد العالى للخدمة الاجتماعية، وفى ذلك الوقت افتتحت جامعة الأزهر كلية للبنات، فوجد والدى أنه الأفضل لى هو دخول هذه الكلية، ولم يكن الهدف من إنشاء هذه الكلية

واضحا فى ذلك الوقت، فأخذت أتساءل ماذا سأكون فى المستقبل بعد تخرجى منها؟ فكان والدى يجيب قائلا: المستقبل بيد الله سبحانه وتعالى.

قبل ذلك كنت دخلت القسم العلمى فى المرحلة الثانوية ضد رغبتى، لأن ميولى كلها أدبية، فلما دخلت كلية البنات تفوقت ووجدت فيها غايتى، وكانت الكلية تضم شعبًا صغيرة، للدراسات الإسلامية، واللغة العربية وللدراسات الاجتماعية، وللتجارة، فأخذت شعبة الدراسات الإسلامية وكان عددنا فى هذه الشعبة لايتعدى الـ ٢٢ طالبًا، وكنت حريصة على التخرج من هذه الكلية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وأن يكون ترتيبى الأول حتى أكرم فى عيد العلم من الرئيس جمال عبد الناصر، فقد كنت أحب هذا الزعيم جدا، وبالفعل تحقق حلمى فى الحصول على الترتيب الأول على الكلية، ولكن للأسف تخرجت فى عام ١٩٦٧ وكانت سنة النكسة، فألغى عيد العلم ولم يتحقق أملى فى أن أكرم فى هذا العيد من الرئيس جمال عبد الناصر.

التفوق أولا

تعرفت الدكتورة سعاد صالح على زوجها الأستاذ السيد عبد الرءوف رئيس تحرير جريدة عقيدتى ونائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية قبل تخرجها من الكلية بعام، فقد كان صديقا لأخيها الأستاذ صالح إبراهيم نائب رئيس تحرير الجمهورية، وعن قصة زواجها تقول: كان زوجى زميلا لأخى فى كلية الآداب قسم الصحافة، وتخرجا معا وعملا معا فى جريدة الجمهورية، وكانوا فى ذلك الوقت يقومون بعمل مجلة حائط أثناء الكلية ثم بعد التخرج أسموها «الرأى» فكان زوجى يأتى لزيارة أخى من مجموعة من الزملاء لإخراج المجلة، ومن هنا حدث التعارف، فتقدم للارتباط بى ورحبت بذلك، ولم يعترض والدى عليه كشخص ولكنه كان يخشى أن يؤثر ارتباطى به على دراستى العليا فاشترط عليه ألا يتم الزواج إلا بعد نجاحى فى السنتين التمهيديتين للدراسات العليا بتفوق، وفعلا ظهرت نتيجتى يوم الخميس، وتم الزواج يومَ الأحد.

المراجع.. بدلا من السجاد

كان زواج الدكتورة سعاد من الأستاذ السيد عبد الرءوف شركة قائمة على التعاون كما تقول الدكتورة سعاد، فهو لم يدفع مهراً، وقاما بتجهيز بيت الزوجية معا وتعاونا معا فى أقل الحدود، وتضيف: كان هدفنا هو أن يساعدنى زوجى فى شراء مراجع لرسالة الماجستير قبل شراء الثلاجة والنجف والسجاد، وكان كل همه أن ندخل بأقل الإمكانيات حتى يستطيع أن يوفر لى شراء الكتب حتى لا أضطر للذهاب إلى المكتبات «وركوب المواصلات»، وحتى يكون لدى نواة لمكتبة فقهية فى البيت.

وفى عام ١٩٧٢ حصلت الدكتورة سعاد إبراهيم صالح على درجة الماجستير وموضوعها كما تقول:

«الطلاق بين الإطلاق، والتقييد» وكان الهدف من اختيارى لهذا الموضوع أن أبين أن تشريع الطلاق فى الإسلام تشريع ليس مطلقًا ولكنه مقيد بقيود وتسبقه خطوات لعلاج الخلافات الزوجية، تبدأ بالمعاشرة بالمعروف ثم علاج النشوز ثم علاج الشقاق ثم الخلع إن هى أرادت، ثم بعد ذلك إن كان الطلاق: «وإن يتفرقا يُغْنِ الله كلا من سعته» فإن الطلاق لا يكون مطلقًا، فإن هناك قيودًا ترجع إلى وقته وإلى عدده وإلى الزوج الذى يقع منه الطلاق وإلى الزوجة التى يقع عليها الطلاق.

تحفظات

* تعرضت للخلع فى رسالة الماجستير، فماذا ترين فى هذه المادة التى تضمنها قانون الأحوال الشخصية الحالى؟

ـ لقد أعلنت رأيى فى هذه المسألة، فلى تحفظات عليه، لأن الخلع حينما شرعه الإسلام، شرعه للمرأة التى تبغض أو تكره زوجها بشرط ألا يكون هناك ضرر واقع عليها من الزوج، ما حدث أنهم اختاروه كحل سهل لتحويل حالات الطلاق للضرر كلها المتراكمة إلى حالات خلع فأصبح فى ذلك ظلم كبير للمرأة لأنها هى التى ستدفع على الرغم من وقوع الضرر عليها من الزوج فهى تستحق أن تأخذ لا أن تدفع.

لم تتصد الدكتورة سعاد صالح للعمل الدعوى إلا بعد سفرها مع زوجها إلى المملكة العربية السعودية، فقد عملت أستاذًا بالكلية ولم تختلط بالمجتمع وبسيدات المجتمع ولم تترجم عملها إلى دعوى خارجية إلا بعد سفرها، وعن ذلك تقول:

بعد حصولى على الدكتوراه بسنة سافرت مع زوجى إلى المملكة العربية السعودية وكان ذلك فى عام ١٩٧٦، فكنت أنا والأستاذة الدكتورة كوثر كامل عميدة كلية البنات الحالية، أول سيدتين تحملان دكتوراه فى الفقه وتسافران إلى المملكة السعودية، وهناك وجدنا نوعًا من التلهف علينا ذلك أنه لا يسمح للرجال بالتدريس للبنات هناك، وفوجئت بأن عميدة كلية البنات فى جدة الأستاذة فائزة الدباغ تخبرنى بأنهم سينشئون قسما للدراسات الإسلامية، وفى ذلك الوقت لم يكن هناك سوى ثلاث كليات للبنات على مستوى المملكة فى الرياض وفى جدة وفى مكة، وكان يوجد فى الكلية قسم للغة العربية يضم تخصص الدراسات الإسلامية، فلما وجدت الأستاذة فائزة أننى تخصص فقه إسلامى، قررت إنشاء قسم للدراسات الإسلامية، ولذا فأنا أعتبر هذه السيدة رائدة تعليم المرأة فى المملكة العربية السعودية، وقد تعلمت من هذه السيدة المصارحة وكلمة الحق والعمل الإدارى كيف يكون. وكانت هذه السيدة تهتم جدا بالنشاط الثقافى، فكانت تنظم فى كل عام شهرًا للنشاط الثقافى، فبدأت أحضّر موضوعات لإلقائها ليس فقط لطالبات الكلية ولكن لسيدات المجتمع أيضا، فتعلمت كيف أواجه الجماهير وساعدنى على ذلك أيضا أننى كنت أتلقى دعوات عديدة من داخل المملكة للذهاب إلى أماكن متفرقة لألتقى بالسيدات فى الجمعيات النسائية حيث كنت أخاطب مستويات مختلفة، كل ذلك علمنى كيف أبسط المادة العلمية حتى أستطيع أن أوصلها إلى هذه المستويات المختلفة.

الدراسات الحرة بالأزهر

عندما عادت الدكتورة سعاد صالح من المملكة العربية السعودية كلفت بالإشراف على الدراسات النسائية الحرة فى الجامع الأزهر وعن هذه التجربة تقول:

تتعرض الداعيات الآن لهجوم شرس من بعض المجلات والصحف لأنهن غير

متخصصات، وأنا أرى أنهن لم يفعلن ذلك ويطرقن باب الدعوة إلا بسبب فراغ الساحة من الداعيات المتخصصات، فأين هن المتخصصات فى جامعة الأزهر؟ وفى وزارة الأوقاف الموجود الآن هن المتخرجات من معاهد إعداد الدعاة وأخذن إجازة أو موافقة من وزارة الأوقاف وموافقة أمنية لممارسة الدعوة، ولكنهن غير متخصصات بالقدر الذى يستطعن معه تبيان الحلال من الحرام، والمرأة فى حاجة إلى امرأة متخصصة من بنات جنسها تبين لها ما غمض عليها من فقه المرأة، لذلك، عندما أنشأ رئيس جامعة الأزهر السابق الدكتور عبد الفتاح الشيخ هذه الدراسات الحرة فى الجامع الأزهر للسيدات وللرجال فى محاولة للحفاظ على دور الأزهر كجامعة، خاصة وأن هذا الدور بدأ من أروقة الأزهر نفسها، كلفت بالإشراف على الدراسات النسائية بها، كانت هذه الدراسات فيها تنوع من فقه وتفسير وأحاديث وعقيدة، وكنا نبدأها بعد صلاة العصر وحتى صلاة المغرب، ولقد بدأت فى هذه الدراسات بسيدتين وانتهيت بحوالى مائتين، وأصبح هناك اتصال نفسى بيننا وبين السيدات عن طريق التليفونات وأصبح لنا تواجد فى حل المشكلات الأسرية.

موت وإحياء

* تقولين إن هذه الدراسات انتهت بمائتى سيدة، فهل توقفت هذه الدراسات؟

- نعم.. للأسف الشديد ماتت هذه الدراسات لأنها تحولت إلى مسألة مادية فأصبح المدرسون يبحثون عما سيتقاضونه مقابل التدريس، وفى النهاية قال أمين عام الجامعة إنه لاتوجد ميزانية لهذا البند، فتوقفت هذه التجربة الرائعة، ولكن هناك محاولات لإحيائها، فقد ذهبت منذ حوالى أسبوعين إلى الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وقلت له إننا نريد إحياء هذه الدراسات فرحب بذلك وبدأنا نناقش التفاصيل واتفقنا على أن يقوم مركز صالح كامل بتمويل هذه الدراسات وأن تكون الدراسات النسائية داخل جامعة الأزهر بمدينة نصر والدراسات الرجالية فى أروقة الجامع الأزهر نفسه، وأدعو الله أن ننجح فى إعادة هذه الدراسات إلى الحياة.

سائق وسيارة خاصة

قامت حياة الدكتورة سعاد الزوجية مع الأستاذ السيد عبد الرؤوف على الود والرحمة والتعاون، وتقول عن ذلك:

الفضل لله سبحانه وتعالى ثم لزوجى فى قيامى بدورى كداعية، وقد بدأ ذلك بصفة خاصة عندما كلفت بعمادة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، فكنت أسافر فى السادسة والنصف صباحا وأعود فى الثالثة ظهرا، فكان زوجى يوفر لى السائق الخاص والسيارة الخاصة من جيبه الخاص، لاقتناعه بأهمية دورى كداعية ومعلمة فى كلية بنات، فهو يرى أن تعليم هؤلاء البنات رسالة، وتربيتهن التربية الدينية الصحيحة رسالة، واستمر وجودى فى هذه الكلية خمس سنوات بفضل تشجيعه لى ومساندته لى، فهو لم يحسب فى إحدى المرات بينه وبين نفسه كم يكلفه ذلك من أموال، فضلا عن حماسه الشديد لسفرياتى داخل وخارج مصر من أجل الدعوة، وإصراره على أن أتقدم فى كل مؤتمر ببحث وأن يكون لى فى كل عام إنتاج علمى جديد، على الرغم من أننى حصلت على درجة الأستاذية، ولكنه لا يريدنى أن أقف عند هذا الحد.

بنتان وولد

وقد أسفر زواج الدكتورة سعاد إبراهيم صالح من الأستاذ السيد عبد الرؤوف عن إنجاب بنتين وولد، أكبرهم هى الدكتورة منار وتقول عنها الدكتورة سعاد:

ناقشت ابنتى منار هذا الشهر رسالة دكتوراه فى الكيمياء العضوية بكلية علوم جامعة عين شمس وهى متزوجة من كيميائى ولديها طفل «محمد» أربع سنوات.

وابنى محمد، هو خريج كلية الألسن - إنجليزى وألمانى - ويعمل صحفيا فى «الإيجبشيان جازيت» ولديه طفلان معتز ومروان وزوجته هى ابنة زميل فاضل فى كلية الشريعة هو الدكتور عبد العزيز عزام وهى كاتبة للأطفال واسمها منال عزام.

أما الابنة الثالثة للدكتورة سعاد فهى مها وهى خريجة كلية الألسن قسم إسبانى

وإنجليزى مع مرتبة الشرف، وتعمل مترجمة فى هيئة الاستعلامات وفى عدة صحف.

بعيدا عن العنف

لم تستخدم الدكتورة سعاد والأستاذ عبد الرؤوف فى تربية أولادهما أسلوب العنف أو الشدة وتقول:

إننا نستخدم أسلوب التفاهم والرقابة غير المباشرة حتى أننا لانتدخل فى اختياراتهم إلا بتقديم النصيحة، وأنا أحرص على عدم التدخل إطلاقا فى شئون أولادى داخل أسرهم الصغيرة، بل بالعكس.. إننى أتجاهل وجود المشكلة، وعندما أشعر أن هناك أزمة بين ابنتى وزوجها أعنفها تعنيفا شديدا من أجل احترام زوجها وألا تكون شخصيتها أقوى من شخصيته، فقد كنت أحرص على إفهامها قوله تعالى.. «وللرجال عليهن درجة» ليس فقط بالكلام، ولكن من خلال معاملتى لوالدهم وحرصى على أن أخلع له حذاءه أمامهم كى أعرفهم أن للمرأة دوراً وللرجل دوراً، كما كنت أحرص على أن تحل خلافاتنا الشخصية داخل حجرة النوم حتى لا يشعر بها أولادنا، وفى أخطر الأوقات يأتى الاعتذار من ناحيتى حتى ولو لم أكن أنا المخطئة، ودائما أتذكر إيجابياته ومساندته لى حتى أقنع نفسى بالاعتذار.

أقرأ كل شىء

وقد ورثت مها الابنة الصغرى للدكتورة سعاد عن والدتها ووالدها حب العلم وهواية القراءة، فهى تحب قراءة كل ما يقع تحت يديها خاصة كتب السياسة والتاريخ، وهى تحب القراءة لمحمد حسنين هيكل بالإضافة إلى قراءة الأدب الأسبانى ولم تواجه مشكلة فى الكلية مع الاختلاط وتقول:

كنت أحرص على أن تكون علاقاتى داخل الكلية فى حدود الدراسات والمحاضرات ولذا لم أواجه مشكلة، فقد وضعت حدوداً منذ البداية وجعلت الآخرين يحترمونها.

تشجيعا للمرأة

آمن الأستاذ السيد عبد الرؤوف منذ البداية بدور المرأة فى مجال الدعوة وعن ذلك يقول:

لفترة طويلة جدا كان العمل الدعوى قاصرا على الرجال، فكان لابد من تشجيع المرأة لدخول المجال على المستوى العام وعلى المستوى الخاص لأنها زوجتى ونحن نمثل أسرة متآلفة تقف إلى جوار بعضها، وقد وقفت الدكتورة سعاد إلى جوارى فى عملى، فقد كانت دائما تشجعنى وهى أول قارئة لكل ما أكتبه من قصص أو مقالات.. وفى مختلف المواقف أجد لديها المشورة التى تساعدنى على تخطى الصعاب، من هنا كان لابد وأن يعطى كل منا للآخر من وقته واهتمامه مساحة أكبر للثانى.

* توقفت رحلة اهتماماتك عند الدعوة الإسلامية، فهل كان لبدايات هذه الرحلة دور فى ذلك أم أنها جاءت تأثرا من الدكتورة سعاد صالح؟

ـ الاثنان، فقد جاءت هذه الاهتمامات من البدايات بحكم أننا ننتمى إلى الفلاحين وتلقينا أول علومنا وقراءاتنا فى كتاب القرية مع كتاب الله العزيز، فدائما ما يكون داخل كل منا البذرة الصالحة للإنماء حتى ولو تقلب فى أعمال كثيرة بعيدة عن مجال الدعوة، فقد عملت محرر قضايا وأخبار محلية ومتابعًا لنشاط قطاع الصناعة، ثم سافرت إلى الخارج واكتسبت خبرات كبيرة، ثم عملت مساعدا لرئيس التحرير فأخذت خبرة بانورامية للعمل الصحفى، ولم يكن يخطر ببالى أو خططت لأن أكون رئيسا لتحرير جريدة دينية «عقيدتى» فقد جاء ذلك من عند الله سبحانه وتعالى عندما اتصل بى فجأة الأستاذ سمير رجب وقال لى إن مجلس الإدارة مجتمع وأريد رأيك فورا فى تولى رئاسة تحرير «عقيدتى».. وقد كان.





كان زوجي يؤمن بأن الزواج الناجح
هو زواج «الأسر».
زوجة الدكتور عبد المجيد مطلوب

زوجة الدكتور عبد المجيد مطلوب فى بيته



قال الدكتور عبد المجيد مطلوب ـ رئيس قسم الشريعة السابق بكلية حقوق جامعة عين شمس ـ وهو على فراش الموت لابنته الكبرى الدكتورة عزة: لا تحزنى لفراقى يابنتى، واعتبرى أننى مسافر، فأجابته مداعبة: المسافر يرسل هدايا، أو رسائل.. فما هى تلك الهدايا أو الرسائل التى سترسلها إلينا؟.. وقد أدركت الإجابة على هذا السؤال بعد وفاته بخمسة أيام، عندما جاء عيد الأضحى المبارك وسمعت تسجيلا لصوته عبر إذاعة القرآن الكريم يفسر آيات الله البينات ويتلو الدعوات بمناسبة هذا العيد المبارك، أدركت الدكتورة عزة وبقية أولاده الأربعة أن هذه هى أولى هداياه ورسائله التى يرسلها إليهم، وأدركوا وقتها أنه معهم دائما وإنما هو فقط مسافر.

كان الدكتور عبد المجيد مطلوب نموذجا للثقافة المزدوجة فى عصر انقسم فيه التعليم إلى مدنى ودينى، فقد استطاع بإصراره وكفاءته أن يجمع بين الدراسة الأزهرية بكل مناهجها فحصل على عالمية الشريعة فى رسالة الدكتوراه وكان موضوعها «الإرادة المتفردة فى الفقه الإسلامى» وحصل فى نفس الوقت على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس التى عمل بها معيدا فى قسم الشريعة الإسلامية، كما حصل منها على دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام، ودبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى حصوله على إجازة القضاء الشرعى التى تمثل فى حد ذاتها أطروحة مستقلة تعادل درجة الدكتوراه.

هكذا يعرفه لنا زميله وصديقه الدكتور محمد كمال إمام ـ أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية ـ أما قصة حياة هذا العالم الفذ

فيرويها لنا أولاده، حيث تقول أكبرهم الدكتورة عزة خريجة كلية الصيدلة والباحثة بمركز البحوث:

فى أسرة أزهرية

ولد أبى يوم ٢٣ أكتوبر من عام ١٩٣٢ فى أسرة أزهرية كانت تقطن فى بيت تملكه بشارع القلعة، فقد كان والده من علماء الأزهر، كما كان جده لوالده أيضا من علماء الأزهر، وعندما بلغ والدى سن الحادية عشرة توفى والده وتولاه بالرعاية جده مدة عامين، توفى بعدها بعد أن قام بتحفيظه القرآن الكريم كاملا.

ولأنه نشأ فى أسرة أزهرية أراد جده ووالده له أن يسير على نفس النهج فأدخلاه معهد القاهرة الابتدائى الأزهرى، تقول السيدة الفاضلة زوجته السيدة إقبال صادق الملاح: استطاع الدكتور عبد المجيد أن يجمع بين التعليم الأزهرى والتعليم العام، وذلك أنه كان يتمنى أن يدخل كلية الحقوق، فقد كانت ميوله تتجه لدراسة القانون، فجمع بين التعليم الأزهرى والتعليم العام والتحق بكلية الشريعة والقانون فى الأزهر، وفى نفس الوقت التحق بكلية الحقوق بجامعة عين شمس.

تضيف السيدة إقبال: كان فى الدكتور عبد المجيد مطلوب جوانب متعددة فقد كان عالما موسوعيا، فعلى الرغم من تعليمه الأزهرى ودراسته للحقوق، كان يميل ميلا شديدا لدراسة الرياضيات حتى أنه كان يدرس هذه المادة فى مدارس الجيزويت، كما كان يتقن عدة لغات ويدرس اللغة الفرنسية أثناء دراسته، وقبل حصوله على درجة الدكتوراه.

اثنان فقط

وحصل الدكتور عبد المجيد مطلوب على شهادتين فى نفس الوقت، إحداهما من كلية الشريعة والقانون والثانية من كلية حقوق جامعة عين شمس، وبعد تخرجه بعام أعلنت جامعة عين شمس عن حاجتها لمعيدين بشرط أن يجمعوا بين دراسة الأزهر والحقوق، تقول السيدة إقبال:

فى ذلك العام لم يتقدم للجامعة على مستوى الجمهورية سوى اثنين فقط يجمعان بين دراسة الشريعة والقانون ودراسة الحقوق وهما الدكتور عبد المجيد مطلوب والدكتور يوسف قاسم، فاختير الدكتور عبد المجيد لجامعة عين شمس، واختير الدكتور يوسف لجامعة القاهرة.

العالم المجاهد

وبدأ الدكتور عبد المجيد مطلوب رحلته العلمية فى جامعة عين شمس وفى غيرها، فعين مدرسا فى كلية حقوق جامعة عين شمس ثم أستاذا مساعدا، فأستاذا ورئيسا لقسم الشريعة الإسلامية حتى اليوم الأخير من حياته فى مايو ١٩٩٧ .

وخلال هذه الرحلة الممتدة ـ كما يقول زميله وصديقه الدكتور محمد كمال إمام أستاذ الشريعة بكلية حقوق جامعة الإسكندرية: كان نموذجا للعالم المجاهد سواء فى داخل بلده أو من خلال الجامعات العربية التى قدر له أن يدخل ساحاتها أستاذا ومعلما، وأن يترك فى ساحتها أبناء وتلاميذ خاصة جامعة صنعاء وجامعة الكويت، فقد عمل بهما وألف فى رحابهما، وكانت له أياد بيضاء «على صفوة من الدارسين نهلوا من علمه وتتلمذوا على يديه» ثم عاد إلى مصر ليعكف على إنتاج علمى ضخم وخصيب، فيشارك فى لجان علمية مهمة ومتنوعة، فكان عضوا باللجنة الدائمة لترقيات أساتذة الشريعة، وعضوا بلجنة تعديل اللائحة الشرعية بوزارة العدل، وعضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوا مقررا فى لجنة الفقه المقارن بالمجلس، وعضوا فى اللجنة القومية للإصلاح التشريعى بمركز المعلومات ودعم القرار بمجلس الوزراء المصرى.

فى الفقه الإسلامى

قدم الدكتور عبد المجيد مطلوب للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات التى أثرت هذه المكتبة خاصة فى مجال الفقه الإسلامى والمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون المدنى، ويقول المهندس وائل ـ أكبر أبنائه ـ عن إنتاجه العلمى:

كانت أغلب مؤلفات والدى ـ عليه رحمة الله ـ هى مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقانون المدنى فى الزواج والطلاق والميراث وأحكام الجوار، وأهم مؤلفاته هى: نظرية الإرادة المنفردة فى الفقه الإسلامى، والتدابير الزهيرية فى الفقه الإسلامى، والفضالة فى الفقه الإسلامى، وأصول الفقه الإسلامى، وتاريخ الفقه الإسلامى، والنظريات العامة فى الفقه الإسلامى، والزواج والطلاق فى الفقه الإسلامى، وأحكام الميراث والوصية والوقف، وغير ذلك من الأبحاث والمقالات.

ويضيف: كما كان والدى مسئولا عن الإفتاء فى عدد من الصحف والمجلات وقدم العديد من الأبحاث والدراسات، وكان أيضا مجدثا متميزا فى وسائل الإعلام خاصة إذاعة القرآن الكريم.

اذهبوا إليهم

كان الأستاذ الدكتور عبد المجيد مطلوب ـ عليه رحمة الله ـ أستاذا حريصا على طلابه شديد الإحساس بمسئولية تعليمهم، وعن ذلك يقول زميله الدكتور محمد كمال إمام: أذكر أنه فى الأسبوع الأخير من حياته كان يحدثنى عن طالبتين من أبنائه إحداهما أنجزت رسالتها للدكتوراه والأخرى للماجستير، وكان شديد الحرص على مناقشتهما وتدبير أمرهما قبل أن يذهب إلى رحاب الله، وفى ساعاته الأخيرة ظل يوصى بطلابه فى الدراسات العليا وأبنائه فى المرحلة الجامعية وهو يردد: «اذهبوا إليهم واجلسوا معهم فإنى لا أعرف إن كنت سأقوم من مرضى هذا».

وهكذا كان مهموما رغم خطورة مرضه وشدة آلامه فى مرضه الأخير بمستقبل الشريعة وبالأجيال التى تجىء من وراء الغيب لتحمل لواءها وتقوم على مسئوليتها.

حفيدة الشيخ الزنكلونى

تزوج الدكتور عبد المجيد مطلوب ـ رحمه الله ـ من حفيدة الشيخ الزنكلونى ـ شيخ الأزهر فى العهد الملكى ـ عليه رحمة الله ـ أما قصة زواجه فترويها لنا شريكة حياته السيدة إقبال صادق الملاح قائلة:

كان الدكتور عبد المجيد صديق الطفولة لشقيقى واستمرت صداقته بشقيقى حتى الكبر فكان دائم الزيارة لنا، وقد قال لى: إنه لم يكن يفكر فى الزواج، وإنما كان يفكر فى السفر إلى فرنسا لدراسة القانون بها، ولكن عندما دخل بيتنا، وجده بيتا من بيوت الأزهر، فأسرتنا أسرة دينية تلتصق بالأزهر وتتمتع بأصل طيب، فقد كان جدى لأبى أستاذا فى جامعة الأزهر، وكان جدى لوالدتى هو الشيخ الزنكلونى ـ شيخ الأزهر ـ الذى ناوأ الاحتلال البريطانى ونفى خارج مصر بسبب ذلك، وكان والدى أيضا أستاذا فى جامعة الأزهر فأراد أن يناسب هذه الأسرة، فقرر الزواج من إحدى بناتها وصرف النظر عن السفر إلى فرنسا لدراسة القانون، وفضل الحصول على درجة الدكتوراه فى الشريعة من مصر.

والسيدة إقبال خريجة الخدمة الاجتماعية، وقد عملت سبع سنوات فى وزارة الصناعة ثم تركت العمل لتتفرغ لبيتها وأولادها، وتقول:

لم يكن زوجى راغبا فى عملى، وعلى الرغم من ذلك احترم رغبتى فى العمل، وبعد إنجابى أولادى أقامت والدته معنا فسهل ذلك علىّ الأمر وشجعنى على الاستمرار فى العمل، حتى سافرت مع الدكتور عبد المجيد إلى الكويت، عندما عمل بجامعتها وأنجبت ولدنا الأخير أحمد، وجدت أن أولادى فى حاجة إلى كل وقتى فقررت أن أقدم استقالتى وأتفرغ لهم.

بنتان وولدان

أنجب الدكتور عبد المجيد مطلوب والسيدة إقبال أربعة أولاد أكبرهم الدكتورة عزة ـ خريجة كلية الصيدلة وحاصلة على درجة الماجستير وتعمل بمركز البحوث والكيمياء، ونشوى ـ خريجة كلية العلوم والهندسة، وائل، والمهندس أحمد.. وجميعهم متزوجون، تقول الأم السيدة إقبال:

حرص زوجى ـ عليه رحمة الله ـ أن يختار لأولاده أزواجا وزوجات من أسر تحرص على الأخلاق والدين، فقد كان يختار الأسرة أولا قبل الزوج أو الزوجة، وأصبح لديه سبعة أحفاد هم: كريم وأمير وأحمد وعلا ومحمد ومعتز ومنار.

وتقول الدكتورة عزة: كان والدى ـ عليه رحمة الله ـ لا يصادر حق أحدنا فى اختيار شريك حياته، بل كان يمنحنا الحق فى إبداء الرأى والاختيار، ولكنه أنشأنا على مفهوم أن الزواج السليم والأسرة السليمة لابد وأن تتوافر فيها القيم والأخلاق والتكافؤ، وكان يحرص على اختيار العريس أو العروس التى يتوافر فيها الأصل الطيب والأخلاق القويمة والأسرة التى تتمسك بالدين، ولم يكن يهتم إطلاقا بالمسائل المادية.

لم يهتم الدكتور عبد المجيد بمسائل الشبكة والمهر وخلافه فى تعامله مع أزواج بناته، وعن ذلك تقول الزوجة السيدة إقبال:

كان ـ عليه رحمة الله ـ يقول لى دائما لا ينبغى أن نضغط على الشباب، وعندما تقدم لابنتى الكبرى طبيب من أسرة طيبة رحب به، وقال له: إننى أشترى رجلا، ولا يهمنى ما سوى ذلك، وفعل ذلك أيضا مع زوجات أبنائه فلم يكترث لمسألة الماديات وكان كل همه أن يؤسس لأولاده أسرا تقوم على المبادئ السليمة.

يقول المهندس وائل معلقا على كلام والدته:

لقد أثبتت لنا التجربة أن تفكير والدى كان هو التفكير الإسلامى السليم، فقد استطعنا بفضل هذا التفكير أن نكون أسرا سعيدة صالحة متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الحرية المسئولة

من كان يعرف الدكتور عبد المجيد أو يتعامل معه لأول مرة كان يتصور أنه شديد أو متزمت، ولكن من يقترب منه ويعرفه جيدا كان يقدر فيه اعتزازه بدينه وإيمانه بالحرية.. ولكن الحرية المسئولة، وعن ذلك تقول ابنته الدكتورة عزة:

كان والدى تربطه بنا علاقة تقوم على الثقة، فقد كان يزرع فينا هذه الثقة وكنا نحرص على أن نثبت له دائما أننا أهل لهذه الثقة، ولم نخذله أبدا، ففى أثناء دراساتنا بالكليات.. كنا نفهم جيدا أن الكلية إنما هى مكان للعلم، فلم نكن نفعل ما نرى غيرنا يفعلونه هذه الأيام من خروج مع الصديقات أو البقاء خارج المنزل فترات طويلة حتى ولو كان داخل الكلية، ما دام لا توجد دراسة.

ويقول المهندس وائل: لقد كان والدى يمنحنا الحرية، ولكنه كان يحترم الحرية المسئولة وليست الحرية الهمجية، ولذا كان يتركنى أخرج مع أصدقائى كما أشاء، ولكن كانت هناك مواعيد ينبغى احترامها، فلا يصح مثلا العودة إلى المنزل بعد الساعة العاشرة مساء.

وتقول الأم:

لقد أدرك أولادى أهمية هذا الأسلوب فى التربية بعد أن أصبحوا مسئولين عن أسر، وأذكر أنه منذ أيام قليلة، قال لى ابنى الأصغر المهندس أحمد: لقد استخدم والدى - عليه رحمة الله - فى تربيتنا أسلوبا سليما، لم نفهمه حق الفهم إلا بعد أن كبرنا.

وتعلق الدكتورة عزة قائلة:

واتبعنا هذا الأسلوب مع أولادنا، فنحن نحرص على أن نوجههم دائما إلى تعاليم الدين الإسلامى، ونوضح لهم ما هو الحلال وما هو الحرام وأن نحفظهم القرآن الكريم لإيماننا أن البذرة السليمة تخرج نبتا سليما إذا تعهدناها بالرعاية.

لا.. للدروس الخصوصية

كان الدكتور عبد المجيد مطلوب لا يؤمن بالدروس الخصوصية ويرى أنها مفسدة للأولاد لأنها تجعلهم لا يعرفون كيفية الاعتماد على النفس، ولذلك وكما تقول السيدة الفاضلة زوجته:

رفض أن يحصل أحد أولاده على دروس خصوصية فى مرحلة الثانوية العامة، وقال لى: ينبغى أن يعتمدوا على أنفسهم، وبالفعل كان تفكيره هو السليم، وخرج أولادنا يعرفون أهمية الاعتماد على النفس ويكرهون الاعتماد على الغير.

ويقول المهندس وائل:

الشيء الوحيد الذى كنا نتلقى فيه المساعدة هو اللغتين العربية والإنجليزية، وكان

والدى هو الذى يقدم لنا هذه المساعدة، خاصة قبيل الامتحانات، ولأنه كان يحب الرياضيات كان يدرسها لنا.

ومن منطلق إيمانه بالحرية المسئولة كان يسمح لأولاده بالذهاب فى رحلات للحصول على بعض الترفيه، ولكن بشرط أن يكونوا فى صحبته وفى صحبة السيدة زوجته، ومن هذا المنطلق أيضا كان يسمح لهم بمشاهدة التليفزيون طوال الإجازة، ولكنه كان يمنع مشاهدته فى أيام الدراسة. تقول الدكتورة عزة:

كان التليفزيون فى ذلك الوقت يقدم كل ما هو مفيد وقائم على الاحترام والأخلاق، فلم تكن هناك خطورة من مشاهدته بعكس هذه الأيام، وكان حرص والدى على عدم مشاهدتنا للتليفزيون فى أيام الدراسة إنما ينبع من حرصه على مصلحتنا وتفوقنا، وقد نجحت سياسته هذه، ونحن نحاول الآن الاقتداء به فى هذه السياسة.

رحم الله الدكتور عبد المجيد مطلوب، فقد كان مثالا للعالم العامل الذى قدم الكثير لدينه ومجتمعه ولأسرته فى نفس الوقت.





وصل أبى بعقله الراجح إلى العالِميَّة،

وعندما مات بكاه الباعة الجائلون.

ابن الشيخ محمد أبو زهرة

ابن الشيخ محمد أبو زهرة فى بيته

عندما توفى الشيخ الإمام محمد أبو زهرة.. بكاه الباعة الجائلون والنساء الأرامل والفقراء والبسطاء، فقد كان - رحمه الله - على حلمه ولينه يتحول إلى ثائر عنيف إذا تعلق الأمر بحقوق الضعفاء والفقراء، أو وجد من يؤذيهم أو يسيء معاملتهم.. كان يفتح بابه فى كل وقت لهم جميعا ولكل سائل أو صاحب حاجة.

هذا الشيخ الذى عرف فى مصر كأستاذ فى كلية الحقوق.. وعرف فى العالم الإسلامى والأوروبى على أنه عالم عصره وإمامه.. استوقفه عامل نظافة فى أحد الأيام بشارع الأزهر - وهو شيخ فى الخامسة والسبعين من عمره - وانتحى به جانبا ليستفتيه فى مسألة شرعية، وتعطل المرور وذهب إليه ابنه يرجوه أن يترك العامل لوقت آخر، فرفض وطلب من ابنه أن يأخذ سيارته وينصرف، وظل واقفا مع عامل النظافة حتى استمع إلى كل مسألته وأجابه إلى ما يطمئن له قلبه وتهدأ له نفسه، ثم وجه اللوم لابنه الدكتور مصطفى قائلا: إننا نقتدى برسول الله ﷺ الذى ما أشاح بوجهه عن سائل إلا أن يشيح السائل بوجهه.

وفى شقته الكائنة فى حى مصر الجديدة، اصطحبنا أصغر أبنائه الدكتور مصطفى محمد أبو زهرة فى رحلة عامرة بالذكريات مع فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد أبو زهرة.

ولد الشيخ محمد أبو زهرة فى يوم ٢٩ مارس من عام ١٨٩٨ بمدينة المحلة الكبرى فى أسرة تشتهر بالكرم وإن كانت من الأسر متوسطة الحال. يقول عنها ابنه الدكتور مصطفى محمد أبو زهرة طبيب الأسنان:

نشأ والدى فى أسرة من أواسط الناس، فقد كان وضعه الاجتماعى يجعله يلتقى بالفقر أكثر مما يلتقى بالغنى، وقد تعلم والدى فى كُتّاب بالمدينة ثم التحق بالمدارس الأولية العادية ثم التحق بالمعهد الأزهرى - الأحمدى - فى مدينة طنطا، واستمر فى الأزهر حتى حصل على الشهادة.

فى القضاء الشرعى

ظهر نبوغ الشيخ محمد أبو زهرة فى المعهد الأحمدى وتخرج منه بتفوق وكانت مدرسة القضاء الشرعى قد افتتحت، فالتحق بها، وتخرج منها بترتيب الأول على دفعته، ولكنه رفض أن يعمل بالقضاء، يقول ابنه:

بعد تخرج والدى من مدرسة القضاء بتفوق، رفض أن يعمل بالقضاء خوفا من أن يقع فى المحظور ويصدر حكما خاطئا فيغضب الله، فسافر إلى مدينة سوهاج وعمل مدرسا فى مدرسة فؤاد الأول، ولأن مدرسة القضاء الشرعى كانت تتميز بأنها لا تكتفى بتعليم الطلاب علوم الدين فقط وكانت تدرس لهم علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة، درّس والدى فى تلك المدرسة المواد العلمية كالرياضة فى حالة غياب مدرسيها.

أسرة علمية

نشأ الشيخ محمد أبو زهرة فى أسرة علمية، فقد كان شقيقه الدكتور مصطفى أحمد أبو زهرة أستاذ الرياضة البحتة وعلوم الطيران فى كلية الهندسة، وكانت شقيقته ناظرة مدرسة، وكان له شقيق ثان يعمل وكيلا للسكك الحديدية، أما والدته فقد كانت تحفظ القرآن كاملا وتتمتع بفصاحة جعلتها خطيبة مفوهة من الداعيات، على الرغم من عدم قدرتها على القراءة أو الكتابة.. فأصبح الشيخ أبو زهرة يلم بالعلوم الشرعية والعلوم العلمية.

يقول الدكتور مصطفى.. أصغر أبنائه:

بعد أن عمل الشيخ محمد أبوزهرة فى مدرسة فؤاد الأول بسوهاج عدة سنوات نقل إلى مدرسة فؤاد الأول الثانوية بالقاهرة فى حى الحسينية، ثم درس فى تجهيزية

دار العلوم ثم فى كلية دار العلوم فأعطى محاضرات فى مقارنة الأديان، كما ألقى محاضرات فى الخطابة والجدل بكلية الحقوق وترقى بها حتى أصبح رئيسا لقسم الشريعة الإسلامية ووكيلا للكلية حتى أحيل إلى المعاش فى عام ١٩٥٨ .

من المحلية إلى العالمية

لم يركن الشيخ محمد أبو زهرة بعد إحالته إلى المعاش إلى حياة الدعة والسكون، فقد كان كما يقول ابنه الدكتور مصطفى لا يكاد يجد ما يكفى من الوقت للمحاضرات التى كان يلقيها فى الجامعات وفى الدراسات العليا ومناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه والسفر إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى خاصة سوريا، فقد كان محبوبا جدا فيها كما كان محبا جدا لها، فقد كان يؤمن بالوحدة بين مصر وسوريا، وأذكر أنه زار مدينة حلب فى عام ١٩٥٦ أى قبل عامين من قيام الوحدة بين مصر وسوريا وألقى محاضرة قيّمة عن الشريعة الإسلامية طبعها مريدوه فى كتاب يحمل اسم «محاضرات فى الشريعة الإسلامية».. وقدم له الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف الأسبق قائلا:

«تلاميذه وهم بالملايين فى العالم العربى والعالم الإسلامى والعالم الإنسانى ومعهم الرأى العام الواعى، لقبوه فى حياته وبعد مماته بالإمام، وأخذوا يكتبون الرسائل ويؤلفون الكتب عنه، وذلك لملكاته العقلية النافعة وذاكرته وحافظته الأمينة، وجمعه بين الصحيح المنقول وصريح المعقول وسعة علمه وتنوع معارفه ومثابرته وجهوده وجهاده وما أوتيه من الحكمة وفصل الخطاب «ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا».

الشريعة مُطبَّقة

عالج فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة العديد من القضايا، وكان له الكثير من المواقف الوطنية، وعن تلك القضايا يحكى لنا الدكتور مصطفى قائلا: كان والدى - عليه رحمة الله - يرى أن الشريعة مطبقة فى مصر فى أمور كثيرة منها العقود وقوانين الأحوال الشخصية والمواريث، أما الحدود، فكان يرى أنه من الصعب جدا

إقامة بعضها مثل حد الزنا، الذى يستلزم لإقامته وجود أربعة شهود عدول وأن يعزلوا عن بعض وأن تتطابق شهاداتهم وإلا يجلدوا..

ويضيف.. وكان الشيخ أبو زهرة يرى أن للحاكم أن يعزر حتى القتل حتى تثبت أركان الدولة.

وعن مواقفه الوطنية يقول ابنه: كان للشيخ أبو زهرة مواقف وطنية لاتنسى، منها رفضه لإلغاء الأحزاب بعد قيام الثورة فى عام ١٩٥٣ حيث تصدى لذلك وقال إن إلغاء الأحزاب يعنى أن تحكم الدولة عسكريا وهذا معناه القضاء على الديمقراطية. حدث ذلك فى وقت طالب فيه الجميع بإلغاء الأحزاب والدستور الذى عمله النحاس باشا، وقال إن وجود الأحزاب هو الضمان الوحيد لوجود الديمقراطية، وأثبتت الأيام صدق رأيه وعرف مهاجموه بعد ذلك أنه كان أبعد منهم نظرا.. فقد كان الشيخ محمد أبو زهرة ديمقراطيًا يحترم دائما الرأى الآخر ويحرص عليه.

ومن المواقف الوطنية التى تصدى لها الشيخ أبو زهرة فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قضية تحديد النسل، فقد اختلف مع جمال عبد الناصر فى هذه القضية وأعلن أنها فكرة صهيونية لوقف نسل المسلمين بدليل أن اليهود جمعوا أشتاتهم من جميع أنحاء العالم وهاجروا إلى فلسطين ليزدادوا عددا، حتى إن روسيا وحدها أرسلت ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين، وهذا يعنى أنهم يخافون من كثرة عدد المسلمين.

لم يغلق الشيخ محمد أبو زهرة بابه دون أحد.. وكانت له ندوة أسبوعية يعقدها فى بيته كل خميس ويستقبل فيها كل الناس. يقول الدكتور مصطفى:

ـ كنا نرى فى هذه الندوة الإفريقى والعربى والباكستانى والهندى والإنجليزى، الكل يحضرها ويحرص عليها فى شقته الفسيحة بشارع حفيظة الألفى فى مصر الجديدة، والتى تركها لى بعد ذلك وانتقل إلى فيلا بالزيتون.. واستمرت فيها الندوات الأسبوعية.

كثير من الناس كانوا يرون فى الإمام الشيخ محمد أبو زهرة قوة فى الدفاع عن الحق والتصدى للقضايا الهامة.. ولكن ابنه يقول:

نعم كان والدى عنيفًا فى الدفاع عن الحق، أما فيما عدا ذلك فقد كان لينًا هينًا خاصة إذا تعلق الأمر بحقوقه الشخصية أو أمواله، فإذا مر عليه بائع جائل لم يكن يفاصل إطلاقا فى الشراء، ولذا عندما مات بكى عليه الباعة الجائلون الذين كانوا يمرون علينا بكاء شديدا، وعندما كنت أسأله عن سر تهاونه الشديد معهم كان يقول.. هذه حسنة خفية وهم يستحقونها.

وكانت هناك سيدة أرملة تتردد علينا رأيتها مرة تصلى بالفاتحة ولا تقرأ التشهد، فسألته هل تنفع صلاة هذه السيدة؟ فقال لى: إذا أردت أن ترى امرأة من أهل الجنة.. فانظر إليها.. لأنها كانت تعمل فى صمت وصبر وتتاجر وتسافر حتى تربى أولادها الأيتام.. فهى من أهل الجنة.

ذاكرة نادرة

تمتع الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ بحافظة قوية وذاكرة نادرة وذكاء خارق، ويذكر لنا ابنه الدكتور مصطفى موقفًا يوضح ذلك عايشه وحضره، يقول:

أذكر فى مناقشة لرسالة دكتوراه الدكتور حسين حامد ـ أستاذ الشريعة فيما بعد ـ وكانت الرسالة ضخمة وطويلة، أن اختلف الشيخ أبو زهرة فى الرأى مع حسين حامد، فقال له: أنت ذكرت كذا وكذا فى الصفحة كذا، فرد الدكتور حسين حامد قائلا: أنا لم أقل هذا الكلام.

فرد الشيخ قائلا: إذن افتح الرسالة فى الصفحة رقم كذا السطر كذا موجود هذا الكلام.. وارتجت القاعة، فقد فتح حسين حامد الرسالة ووجد كلام الشيخ محمد أبو زهرة صحيحًا، فقد كان والدى عالما نادرا، كان يجلس إلى المكتب ١٦ أو ١٧ ساعة فى اليوم وهو فى الخامسة والسبعين من عمره، فإذا سألته: ماذا تفعل كل هذا الوقت، أجابنى قائلا.. أذاكر.

التيسير لا التعسير

كان فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة يميل إلى التيسير فى كل شىء متبعًا حديث الرسول ﷺ «يَسِّروا ولا تعسروا». . يقول ابنه:

كان والدى إذا استفتاه أحد فى مسألة. . يقول: رأى الإمام أبو حنيفة كذا ورأى الإمام الشافعى كذا ورأى الإمام مالك كذا، وابن حنبل كذا وابن حزم كذا وزيد ـ إمام الشيعة ـ كذا وجعفر الصادق كذا، وأنا أميل إلى الرأى كذا. فلا يقول رأيه إلا بعد عرض كل آراء الأئمة، وإذا عرض عليه أمران اختار أيسرهما، وعلى سبيل المثال. . كان الإمام مالك يرى أنه إذا ألقى رجل على زوجته يمين الطلاق ـ بالثلاثة ـ أصبحت طالقًا ولا تحل له واعتبرها ثلاث طلقات. .

أما الإمام أبو حنيفة فيرى أنها طلقة واحدة ما دامت فى نفس الوقت والمكان، ولذا كان الشيخ محمد أبو زهرة يميل لرأى الإمام أبو حنيفة لأنه الأيسر والأفضل للحفاظ على الأسرة.

مؤلفاته

أثرى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب المهمة، منها كتابه القيّم «بحوث فى الربا» وفيه أثبت أن الأديان كلها تحرم الربا حتى البوذية. . وكتاب «تاريخ الجدل»، وأصول الفقه، والجريمة والعقوبة، والأحوال الشخصية، وتاريخ المذاهب، وأحكام التركات والمواريث، كما أنه كتب عن جميع أئمة الفقه، أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وابن تيمية وزيد، وجعفر الصادق وابن حزم، كما ألف عن الوحدة الإسلامية، وعن الخطابة والملكية وقانون العقد، وشرح قانون الوصية، ومحاضرات فى الوقف.

أربع بنات وولدان

تزوج الشيخ محمد أبو زهرة من بنت تاجر كبير بمدينة المحلة الكبرى، وأسفر زواجه عن أربع بنات وولدين وهم. . الأستاذة أميرة مدير عام فى الجهاز المركزى للمحاسبات وهى على المعاش، والسيدة سهير ربة منزل حاصلة على الثقافة

النسوية، والدكتورة نادية أبو زهرة أستاذ أنثربولوجى فى جامعة أوكسفورد، والدكتورة حياة أبو زهرة الرئيس السابق لقسم الفسيولوجى فى كلية طب جامعة القاهرة، والدكتور أحمد أبو زهرة ـ صيدلى، وأصغر الأبناء هو دكتور مصطفى أبو زهرة ـ طبيب أسنان ـ الذى صحبنا معه فى رحلة عبر الذكريات.

أب ملتزم

يوى الدكتور مصطفى فى والده صفات الأب الملتزم البسيط المتواضع اللين ويقول: لم يكن الشيخ ـ رحمه الله ـ يتعامل معنا بالشدة أو بالضرب، وكان أبا ملتزما فى مواعيده: فى عمله وفى بيته، وكان يتصف بالبساطة الشديدة والتواضع، وأعتقد أن أصعب الأمور على الأب أن يتعامل مع أولاده ببساطة، لم يكن يبالغ فى اهتمامه بنا وبمقدار ما نذاكره من دروس وإنما كان يهتم بأن يربى فينا الشجاعة والصدق والتقوى ومساعدة الفقراء.

من هنا كنت أعرض عليه جميع أمورى دون أى حرج أو حاجة للكذب، كان يغضب فى حالة واحدة، إذا وجد أحدا يعتدى على حقوق غيره أو حقوق الضعفاء والفقراء.

إسكندر أبو زهرة!!

كان الشيخ محمد أبو زهرة من أكثر الناس حرصا على جيرانه وحبا لهم، هذا ما يؤكده ابنه الدكتور مصطفى أبو زهرة قائلا:

كان والدى يحب جيرانه جميعا مسلمين ومسيحيين، وكان المسيحيون يحبونه جدا حتى إن أحدهم واسمه إسكندر أطلق على نفسه اسم إسكندر أبو زهرة، ويضيف.. أننى أذكر جاراً لنا فى الزيتون اسمه المهندس إبراهيم الزهر، كان إذا أراد أن يزوج إحدى بناته يعرض العريس أولا علي الشيخ محمد أبو زهرة، فإذا وافق عليه يقره ويزوجه ابنته، فقد كان والدى جاراً يتمتع بسماحة نادرة ولا يحرج جاره أو يجرحه حتى ولو اعتدى عليه.

وعلى نفس النهج فى النشأة والتربية. . سار أولاد الشيخ محمد أبو زهرة فى تربية أولادهم، ويقول الدكتور مصطفى محمد أبو زهرة:

كان لى ولدان تمنيت أن يكونا مثل والدى فأدخلتهما كلية الحقوق، وهما أحمد ويحيى، أراد الله أن يختار إلى جواره ابنى أحمد وكان محامياً، وبقى ابنى يحيى وهو يعمل وكيل نيابة النزهة، وقد اتبعت فى تربيتهما نفس الأسلوب اللين الذي اتبعه معى والدى. وقد تزوج الدكتور مصطفى من ابنة خاله الأستاذة يسرية مصطفى صبرى عام ١٩٧٠ وهى ناظرة مدرسة مصر الجديدة الإعدادية العامة ويقول. . لقد قامت زوجتى بدور كبير فى رعاية أبى وأمى فقد كنا نقيم معهما فى الزيتون، هذه الأيام اختلفت الأوضاع وأصبح من النادر أن تجد زوجة توافق على رعاية حماها وحماتها.

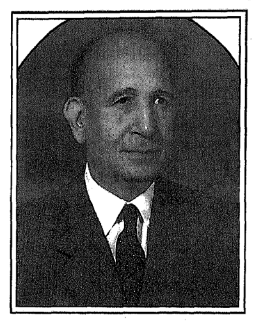
حتى الكلية

وكما قامت السيدة يسرية بدور هام فى رعاية عمتها وزوج عمتها الشيخ محمد أبو زهرة قامت أيضا بدور هام فى رعاية ولديها وتنشئتهما النشأة الصالحة، وتقول: لم يلجأ ولدانا إلى دروس خصوصية فقد كنت أقوم بمساعدتهما حتى وهما فى الكلية، وتضيف: لقد اتبعت معهما أسلوبًا تربويًا يقوم على التعامل بالحسنى، ولم يحدث أن استخدمت الضرب أو العنف، وهو نفس الأسلوب الذى أتبعه مع بناتى من تلاميذ المدرسة وإن كانت الأحوال تغيرت والأوضاع اختلفت.

مدارس أبو زهرة

أوصى الشيخ محمد أبو زهرة ابنه الدكتور مصطفى أن ينشئ جمعية خيرية لها مدارس وتعالج المرضى وتساعد المحتاجين، وقد نفذ الدكتور مصطفى وصية والده فأنشأ مسجداً وجمعية لها مدارس خاصة هى مدارس أبو زهرة فى ميدان الحجاز تعطى إلى جانب المنهج المقرر ثمانية أجزاء من القرآن، وتقدم الزكاة لألف أسرة وتعالج المرضى.

* * *



أطلق والدى على العصافير أسماء أقاربنا

حتى لا تنسينا الغُربة أهلينا.

ابنة الدكتور مهدى علاّم

ابنة الدكتور مهدى علام فى بيته

عندما أصيبت السيدة صفية زوجة الدكتور محمد مهدى علام بمرض السكر، ومنعها الأطباء من تناول الكثير من الأطعمة والمشروبات، حرم الدكتور محمد مهدى علام على نفسه تناول كل هذه الأطعمة، وقال لابنته السيدة ثريا: كيف يطيب لى تناول أى من هذه الأطعمة وقد حُرمت هى من تناولها؟!

بهذه العلاقة المثالية قضيا حياتهما الزوجية، وبهذا الود والتفاهم ربيا ابنتهما ثريا وابنهما حسام على حب الزوجة أو الزوج واحترامهما.

ولد الدكتور محمد مهدى علام فى شهر أكتوبر من عام ١٩٠٠ بحى الدرب الأحمر بالقاهرة، فهو ابن القاهرة كما جاء فى مذكراته التى أخرجها له الباحث الراحل أبو بكر عبد الرازق فى كتاب، ثم تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة اسمها «مدرسة جوهر اللالاه» وهو اسم تركى، وبعد ذلك انتقل إلى مدرسة عثمان ماهر باشا، وقد كانت هذاه المدرسة تقوم بالإعداد للدراسة العليا فى النواحى الدينية، وقد قضى بهذه المدرسة خمس سنوات، وفى أثناء وجوده فى هذه المدرسة علم أن هناك فرصة للقبول فى مدرسة دار العلوم، وذلك بعد إجراء امتحان مسابقة للقبول، يقول الدكتور محمد مهدى علام فى مذكراته: إن السبب فى رغبتى فى الالتحاق بمدرسة دار العلوم بيتين من الشعر، فقد كان المرحوم الأستاذ الحملاوى يدرس لنا البلاغة. وفى الكلام عن الجناس الذى يسمى «الجناس المصحف» جناسا مضبوطا، أعطى أمثلة فيه، ثم قال: وكقولى مودعا زميلى الأستاذ حسن توفيق العدل عندما انتدب لتدريس اللغة العربية فى برلين:

سْر فى أمان إلى برلين مدرعا
سيفا من الحزم يمضى حده اللسن
فيها الإشارة فاتلوها مصحفة
البر واللين أو فالبر واللبن

يضيف الدكتور محمد مهدى علام:

هذا المعنى وهذا التصوير فجر فى نفسى شوقا عظيما جدا لهذا الحسن العدل، فسألت الأستاذ الحملاوى فى آخر الدرس: يا أفندى، من حسن توفيق العدل؟ فقال لى : كان زميلى.. تخرجنا فى دار العلوم سويا، وله تاريخ عظيم جدا، سألته : هل له كتب ؟ فذكر لى أسماء بعض كتبه، فحصلت عليها وأنا فى ذلك الوقت فى الخامسة عشرة من عمرى، وتملكنى شعور بأن أسير فى مسار حسن توفيق العدل، كما يتشبه الجهال بالعلماء والصغار بالكبار.

وحسن توفيق العدل، كان ـ كما وصفه ـ أبو بكر عبد الرازق ـ أبىّ النفس عالى الهمة بمكانة عظيمة من العلم والفضل والأدب وحسن الخلق، محبوبا لدى جميع من عرفه. عين أستاذا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين ثم تولى وظيفة التفتيش فى نظارة المعارف المصرية فوظيفة التدريس فى دار العلوم.

أنت أسرعت !!

وهكذا.. قرر الدكتور محمد مهدى علام وهو مازال صبيا فى الخامسة عشرة من عمره أن يلتحق بكلية دار العلوم. وكان يعقد للدخول بها امتحان مسابقة اشترك فيه آنذاك نحو ثلاثمائة وخمسين متقدما من كل الطوائف، أزهر ومدارس وجهات أخرى، وتذكر ابنته الأستاذة ثريا مهدى علام واقعة طريفة رواها والدها لها عن اجتيازه لهذا الامتحان، تقول:

كان والدى يجيب عن أسئلة الامتحان بسرعة ثم ينزل للعب وأحيانا لشرب الشاى وينتظر الجلسة التى بعدها، وكان اليوم يأخذ جلستين، كان المشرف على الامتحان فى ذلك الوقت المرحوم محمد شريف سليم بك كبير مفتشى اللغة

العربية، ولم يكن والدى يعرفه، فكان يلقاه وهو نازل يجرى على السلالم عقب كل امتحان، فكان يقول له : أنت لم تحسن الكتابة، أنت أسرعت ونزلت!! فكان والدى لايعيره اهتماما وظن أنه متطفل، وتكرر هذا الموقف مرتين، فسأل والدى عنه وعرف أنه أكبر رجل فى وزارة المعارف، وظهرت نتيجة التحرير، وكان والدى أول الناجحين، ثم دخل الامتحان الشفوى، وكان فى القرآن وألفية ابن مالك وفى المعلومات العامة والقراءة فى الأدب، وبدأت لجنة القرآن وكان يجلس فيها أستاذان، وقبل أن يبدأ وجد كرسيا أعد إلى جانب الكرسى الذى يجلس عليه، فجلس عليه محمد شريف سليم بك الذى كان يلقاه بعد كل امتحان ويقول: أنت كان ينبغى أن تتأخر سنة أو سنتين لتحسن الإجابة، فقال والدى فى نفسه: هذا الرجل لم يستطع أن يفعل شيئا فى التحريرى لأنه بأرقام سرية، فلعل هذه فرصته فى أن يثأر لسوء أدبى عندما خاطبته، وجلس والدى وأجاب وكان يحفظ القرآن حفظا جيداً، ورأى حركة القلم فى يد محمد شريف سليم تدل على كتابة رقم أربعة ونقطة فأدرك أنه حصل على الدرجة النهائية «٤٠».

لا تنس حفظ الـ ٥٠

وتكرر هذا المشهد فى بقية مواد الامتحان، فقد دخل والدى حجرة ثانية لأداء الامتحان فى ألفية ابن مالك حفظا وشرحا، وكان أحد الممتحنين هو الشيخ أحمد السكندرى ـ رحمه الله ـ والذى أصبح استاذه فى الكلية بعد ذلك، ووجد كرسيا أعد إلى جواره جلس عليه أيضا محمد شريف سليم بك، وكان والدى يحفظ الألفية كلها. إلا خمسين بيتا تتعلق بالإدغام والإمالة، فظن أن الفرصة ستكون مواتية له عندما يتوقف والدى فى هذا الجزء، فخاطب الأستاذ السكندرى قائلا: يا أفندى اسمح لى أن أشرح لحضرتك أن الألفية ألف بيت وأنا أحفظ منها تسعمائة وخمسين فإذا أذنت لى أن أمتحن حفظا وشرحا فى الألفية كلها أكون شاكرا، وقد كان. . وقال لوالدى سآخذ منك درجتين للخمسين بيتا هذه، ولم يقل شريف سليم بك شيئا، وبعد أداء والدى لبقية الامتحانات وتفوقه فيها جميعا طلبه محمد

شريف سليم وقال له: لا تنس أن تحفظ الخمسين بيتا، فكان كل ما يهمه أن يستكمل والدى حفظ الخمسين بيتا المتبقية من الألفية.

ممثلا فى ثوة ١٩١٩

شارك الدكتور محمد مهدى علام فى ثورة ١٩١٩، فقد انتخب ـ سريًا ـ ليكون الممثل للثورة فى مدرسة دار العلوم فيما كان يعرف باسم لجنة المدارس العليا لأنه لم يكن هناك جامعة فى هذا التاريخ، وكانت هذه اللجنة تضم تسع مدارس عليا هى الطب والهندسة والزراعة والطب البيطرى والمعلمين العليا ودار العلوم والتجارة والصيدلة والقضاء الشرعى.

تقول الأستاذة ثريا محمد مهدى علام أكبر أولاد الدكتور محمد مهدى علام والحاصلة على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب المترجم:

كان من أعمال هذه اللجنة نشر منشورات سرية لتبصير الأمة بالظروف السياسية، وتولى والدى وزميل له بالمهندسخانة اسمه المرحوم عبد العزيز عز العرب كتابة هذه المنشورات، وكانا يقابلان عبد الرحمن فهمى سكرتير عام لجنة الوفد المركزية والوسيط بينهما وبين سعد زغلول الذى كان فى ذلك الوقت فى باريس مع الوفد الذى سافر للدفاع عن الوطن وعن الاستقلال وشرح القضية أمام مؤتمر فرساى، فكان والدى وزميله يتنكران فى صورة باعة الجرائد ويلبسان ثيابا مزرية ليذهبا إلى بيت عبد الرحمن بك فهمى ويأخذا التعليمات.

كانت المطابع فى ذلك الوقت تتسابق فى طبع المنشورات الوطنية مع خطورتها، بل وقد يدخل صاحب المطبعة السجن بسببها ويتستر على الذين قدموها له. يذكر الدكتور محمد مهدى علام واقعة توضح ذلك فى مذكراته يقول فيها:

فى إحدى المرات ذهبت إلى المطبعة ووعدنى صاحبها أن يطبع لى المنشور فى حدود الخمسين ألف نسخة، وذهبت فى اليوم التالى كى أتسلم المنشور فإذا بالشرطة فى المطبعة يحملون المنشور مطبوعا وقد اقتادوا صاحب المطبعة، فحاولت أن أقف أمامه كى يعترف علىّ، فإذا به يشيح بوجهه عنى متعمدا، وفى عام

١٩٣٢ كنت أطبع كتابا لى اسمه «فلسفة الكذب» وكانت هناك مطبعة فى الخرنفش اسمها مطبعة شرف، وكان صاحبها يجلس معى يحتسى القهوة وأحدثه عن إعجابى بحروف المطبعة، فسألته متى بدأتم إنشاء هذه المطبعة، فقال لى بعد خروجى من السجن، وحكى لى قصة دخوله السجن، فعرفت أنه صاحب المطبعة الذى طبع لنا المنشورات، فقلت له لو أنك رأيت الولد الذى أعطاك المنشورات ماذا تفعل ؟ قال : أقبله، فقلت له.. قبلنى .. أنا ذلك الولد.

لكن الله سلم

لازمت الوطنية والإحساس بالانتماء الدكتور محمد مهدى علام فى كل حياته وكانت هى المحرك لأغلب سلوكياته، وعن ذلك تقول ابنته الأستاذة ثريا: فى عام ١٩٢٢ بعد حصول مصر على استقلال جزئى، حسبما جاء فى تصريح ٢٨ فبراير الشهير، سافر والدى فى بعثة عملية إلى إنجلترا، وفى نهاية ١٩٢٥ وبينما كان يؤدى امتحانا نهائيا فى علوم التربية، وهذا الامتحان يقضى أن يقوم الطالب بتدريس درسين أمام اللجنة، فاختار والدى الدرس الأول عن الأدب الإنجليزى، والدرس الثانى فى جغرافيا قناة السويس، ودرس بالفعل الدرس الأول، وفى اليوم المحدد للدرس الثانى، ذهب ومعه دراسة وافية بجميع المراحل التى يمر فيها هذا المجرى المائى، وفى نهاية الدرس قال: عند نهاية عقد الامتياز تؤول قناة السويس للحكومة المصرية، فإذا بأحد التلاميذ يرفع يده قائلا بالإنجليزية: وماذا عن إمبراطوريتنا ياسيدى؟!

وكان والدى يعرف السر فى هذا السؤال، فهم يريدون الطريق إلى الهند وغيرها فقال له: اجلس، ولم يشأ أن يدخل فى مناقشة سياسية، فأسر له أحد الأساتذة الإنجليز بأنهم يريدون أن يعرفوا كيف يعالج الرد على هذا السؤال، فرسم والدى على السبورة ما يشبه بيتين بينهما ممر يوصل بينهما، وقال للولد هذا بيتى وهذا بيتك، وأنا وأنت لا نستطيع أن نصل إلى بيتك، إلا إذا مررنا فى هذا الطريق، وهذا الطريق ملكى فماذا تفعل؟ فارتبك الولد، فقال له والدى: اشترِ منى هذا الطريق!.. ففرح الولد جدا، وقال: نعم ياسيدى .. اشتريت. فقال له

والدى : أنا لا أبيع ... اشترِ بيتى ! .. قال الولد: ممكن. فقال والدى: لا أبيع، ولم يَعُدْ إلا أن تغتصبه منى ! .. فخجل الولد، ثم قدم له والدى حلا قائلا: أَجِّرْهُ منى وأجرُ مرورك فيه عَلَىَّ فى كل مرة!

ثم أضاف : هذا هو الذى سيحدث عندما تؤول القناة إلينا، فنحن لن نمنع أحدا لا إنجليز ولا غيرهم، وسيكون الطريق طريقا مائيا مفتوحا لكل دول الدنيا مقابل رسوم يدفعها من يريد المرور فيها، وكان هذا ختاما لهذا الفصل، وهنأه الأستاذ الذى أسر فى أذنيه وقال: أحسنت المناقشة.

مربى الأمير

درس الدكتور محمد مهدى علام للملك فاروق عندما كان طفلا فى العاشرة من عمره، هذا ما تؤكده ابنته ثريا مهدى علام، حيث تقول: كان والدى مكلفا بتدريس اللغة العربية والثقافة الدينية والتاريخ للأمير فاروق وقد كان الأمير فاروق لا يعلم شيئا فى الدين، حتى أن والدى قال عن ذلك، إنه عندما كان يحفظه التحيات، كان يظن أن اللهم صلّ على محمد تعنى محمد على باشا، جده، وعلى إبراهيم تعنى إبراهيم - جده أيضا!!.

تزوج الدكتور محمد مهدى علام من السيدة صفية على العطار، وهي من أسرة طيبة كانت تجاور أسرته، وعن قصة زواجه تقول ابنته الكبرى ثريا: كان والدى فى ذلك الوقت مرشحا للسفر فى بعثة ليدرس فى جامعة مانشستر بإنجلترا، وكانت والدتى فى ذلك الوقت تبلغ من العمر ستة عشر عاما، فعقد والدى قرانه عليها ثم سافر مدة خمس سنوات، انتظرته فيها والدتى، وعندما عاد أتم الزفاف، وقد أسفر الزواج عن بنت، هى أنا وولد هو الدكتور حسام، ولما بلغنا من العمر ثلاث سنوات وسنتين، سافر بنا والدى إلى مانشستر، وهناك جعلنا نزور البيوت التى أقام فيها وهو طالب فى هذه الجامعة.

حتى لا ننسى

عندما كنا فى إنجلترا كنا مترابطين جدا، نشعر أننا وحدة واحدة لا ينفصم عراها.. هذا ما تقول ثريا مهدى علام، وتضيف:

كان والدى يذكرنا دائما ببلدنا وبأهلنا، حتى أنه عندما كان يشترى لنا عصافير لنربيها، كان يطلق عليها أسماء أولاد عمى وأقاربنا حتى لا ننسى أهلنا، فقد كان من المتعذر فى ذلك الوقت إرسال خطابات بسبب ظروف الحرب وحصار الألمان لإنجلترا، وكان والدى يحرص دائما على أن يجعلنا نفتخر بكوننا مصريين، ويذكرنا دائما بأنه لا فضل لأحد علينا، فنحن لم نذهب إلى إنجلترا للاسترزاق، مؤكدا أنه يحصل على راتبه من مصر.

وتضيف: لم يكن هناك ـ تقريبا ـ مصريون فى إنجلترا، ولكن بعض الهنود المسلمين، فكان والدى يؤمهم فى الأعياد ويلقى أحاديث ومحاضرات على وحدات الجيش ليصحح فيها المفاهيم عن مصر وعن الإسلام، وكان يحرص على اصطحابنا إلى هذه الندوات وإلى الصلاة الجامعة، وأذكر فى أول مرة صمنا خلال شهر رمضان كان الإفطار فى العاشرة ليلا، فاقترحت والدتى أن نصوم مع مصر، شفقة علينا لصغر سننا، فقال لها والدى:

وماذا أقول لهم بعد عودتنا، إن صيامهم كان غير سليم؟ لابد وأن يصوموا حتى غروب الشمس.

هو يرفض ... وأنا أرفض

حصلت ثريا مهدى علام على شهادة تعادل الثانوية العامة من إنجلترا بتقدير امتياز، وكانت الأولى على زملائها على الرغم من أنها امتحنت عامين فى عام واحد، فحصلت على هذه الشهادة وهى فى الخامسة عشرة ، وعندما عادوا إلى مصر أرادت أن تدخل كلية الآداب قسم التاريخ. . فوقفت اللغة عقبة أمامها، فلم تكن تعرف الكتابة أو القراءة باللغة العربية ودخلت قسم اللغة الإنجليزية وتخرجت بدرجة امتياز، ثم سافرت إلى أمريكا مع زوجها الدكتور رياض هاميسة مستشار الأسمدة فى مركز البحوث الزراعية، وتقول:

كان والدى رئيس قسم اللغة الإنجليزية واللغة العربية فى جامعة عين شمس فضلا عن عمادته لكلية الآداب. فقال لى البعض: هذه فرصة كى تسجلى معه

للحصول على درجة الماجستير ثم الدكتوراه، فقلت لهم.. هو يرفض وأنا أرفض، ثم انشغلت بالزواج والأولاد، إلا أننى أجيد كتابة الشعر وترجمته إلى اللغة الإنجليزية وصدر لى حوالى ستة كتب كان أولها.. أصداء اللغة العربية بالشعر الإنجليزى، حصلت به على جائزة الدولة التقديرية فى الترجمة، كما ترجمت كتاب الدكتور محمود حمدى زقزوق «الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك».

أما ثانى أولاد الدكتور محمد مهدى علام، فهو الدكتور حسام كبير الأطباء فى شركة الحديد والصلب سابقا وهو الآن على المعاش، وتقول عنه الأستاذة ثريا:

عندما عدنا إلى مصر كان المفروض أن يلتحق أخى بالسنة الثالثة الثانوية وأصر والدى على إدخاله مدرسة «عربى» حتى يتعلم اللغة العربية، وأحضر لنا فى الأجازة الصيفية مدرسين ليبدأوا معنا من الصفر حتى نتعلم اللغة العربية.

علاقة مثالية

كانت العلاقة بين الدكتور محمد مهدى علام وزوجته، علاقة مثالية نادرة، كما تقول ابنته الأستاذة ثريا:

كانت هذه هى المرة الأولى التى تغترب فيها والدتى، ولكنها أثبتت قدرة على تنظيم أمور والدى وترتيبها، كان والدى يقضى طوال اليوم فى عمله فكانت والدتى تذهب بنا إلى المدرسة وتعود بنا منها.... وكانت علاقتها بوالدى علاقة مثالية، فلم نرهما متخاصمين إطلاقا، أو شعرنا أنهما مختلفان، كانت والدتى تحرص دائما على تهيئة الجو المناسب له كى ينجز عمله . وفى ذلك الوقت كان هناك قحط شديد فى إنجلترا بسبب الحرب، فكان يصرف لكل شخص ثلاث بيضات فقط فى الشهر ونصف رطل لحمة فى الأسبوع، فاضطرت والدتى إلى تربية الدجاج فى الحديقة الخلفية للمنزل حتى تنتج لنا ١٢ بيضة يوميا، ومن حسن الحظ أننا كنا نسكن بجوار الشاطئ، فكان صيد السمك من الأمور السهلة، فكانت والدتى تقود العجلة فى الصباح الباكر وتنتظر الصيادين وهم عائدون من البحر لتشترى منهم.

وفى المقابل . . كان والدى يحب جدا أن يخدم نفسه، ولم أره يطلب مطلقا أى شيء، وإنما يقوم بإحضاره لنفسه. وعندما أصيبت والدتى بمرض السكر، حرّم والدى على نفسه كل الأطعمة المحرمة عليها، وكان يقول، لا أستطيع أن أبتلع هذا الطعام، فكيف تُحرم هى منه وأتناوله أنا.

أفضل من عشرين مكالمة

على الرغم من مؤلفات الدكتور محمد مهدى علام العديدة وثروته العلمية إلا أنه قضى عمره العلمى ـ حوالى ستين عاما ـ لم يفكر فيها أن يطبع مذكرات أو يتربح من كتب يقررها على طلابه، وفى ذلك تقول الأستاذة ثريا علام:

لم يحدث أن استغل والدى عمله كأستاذ فى التربح من الكتب والمذكرات، وكان يعتز جدا بطلابه ويحرص على دعوتهم بشكل منتظم لتناول الشاى معه، ولذا كان طلابه يحبونه جدا ويبجلونه، وكثيرا ما كانوا يطلبونه ليسألوا عنه دون حتى أن يذكروا أسماءهم، وعندما أخبر والدى بذلك كان يقول لى: هذه المكالمات عندى أفضل من عشرين مكالمة من أشخاص مشهورين أو مهمين. . .





في لبنان قدمت للتحقيق بسبب «إسلام بلا مذاهب»،

وسلمت من مخاطر الفتنة بدعاء أمي.

د. مصطفى الشكعة

د. مصطفى الشكعة فى بيته

ع عندما قامت ثورة اليمن، وفشلت هذه الثورة؛ دخل أغلب المصريين الذين كانوا يعملون هناك ـ ومنهم الدكتور مصطفى الشكعة ـ السجن بتهمة التواطؤ مع هذه الثورة؛ ودخلتْ معهم زوجاتُهم، ومنهم زوجة الدكتور مصطفى الشكعة.. تلك السيدة التى لم تعرف فى حياتها سوى الطاعة والإحسانِ لزوجها ولأولادها وحب الخير والبر بالفقراء؛ ولذا فعندما توفيت هذه السيدة الفاضلة منذ حوالى سبع سنوات، بكاها الغرباء قبل الأقرباء، وحزن عليها الدكتور مصطفى الشكعة حزنًا شديدًا، ولا يزال يذكرها هوَ وأولادُها بكل الخير.

ولد الدكتور مصطفى الشكعة ـ الأستاذ بكلية الآداب، وعضوَ مَجْمَع البحوث الإسلامية، وعضو مجلس جامعة الأزهر، وجامعة ويلز التى يرأسها الأمير تشارلز ـ فى عام ١٩١٩م بقرية «محلة مرْحوم» التى تبعد عن طنطا إلى الشمال الغربى أربعة كيلو مترات تقلصت الآن وصارت كيلو مترين؛ وأصل تسمية هذه القرية ـ كما يقول ـ هو محلة الشيخ المحروم، ثم تحولت إلى محلة الشيخ المرحوم، ثم صارت محلة المرحوم، وأخيرًا: محلة مرحوم.

وقد ولد الدكتور مصطفى الشكعة فى أسرة من العلماء، فقد كان والده أزهريًا التعليم والثقافة، وكذا عمه؛ أما خاله فقد كان نائبًا للمحكمة الشرعية العليا.. وهو الشيخ أحمد صلاح، والد السفير ـ المرحوم بإذن الله ـ كمال الدين صلاح.

التحق الدكتور مصطفى الشكعة بكتّاب القرية مثل أى طفل فى القرية؛ ولما أصبح فى سن التعليم الابتدائى، أدخله والده مدرسة طنطا الابتدائية، وكانت

تسمى آنذاك المدرسة الأميرية، ومازال الدكتور مصطفى الشكعة يتذكر أساتذة هذه المدرسة التى يُكِنُّ لها كل الولاء والحب قائلاً:

لقد كُوِّنْتُ فى هذه المدرسة تكوينًا جيدًا، وقد كان الأساتذة وقتَها يُعَلِّمُون ولا بأس من أن يضربوا؛ وقد ضُرِبْتُ مرةً واحدة، والذى ضربنى هو الأستاذ المبرور محمد بهجت والد الأستاذ أحمد بهجت الكاتب الصحفى، ولذا فأنا أعتبر الأستاذ أحمد بهجت أخًا لى؛ أما لماذا ضُربت، فلأننى كنتُ الأول، والمفروض فيمن يكون ترتيبه الأول ألاّ يخطئ إذا سُئل، فقد سأل الفصلَ كله سؤالاً واحدًا فلم يُجِبْ أحد، ولما جاء الدور عَلَىَّ أجبتُ ثلاثة أرباع إجابة، وكان السؤال: ماذا فعل جوهر الصِّقلِّى؟.. وكنا فى السنة الثالثة الابتدائية، فأجبت قائلا: قائد الجيش الفاطمى فى مصر، وحاول فتحها ثلاث مرات وفشل، وفى المرة الأخيرة نجح لأن كافورًا الإخشيدىَّ العظيم كان قد مات، وقلتُ إن جوهر الصقلى فتح مصر وبنى مدينة القاهرة وأخضع الأقطار المجاورة بما فيها سوريا لنفوذ الفاطميين، فقال لى الأستاذ: هناك شيء هام ناقص وهو بناء الجامع الأزهر!.. من أجل ذلك ضُرِبْتُ؛ وصار الأستاذ بهجت - عليه رحمة الله - يذكرنى فى قلبه، إلى أن كان آخر لقاء لنا فى الحرم الشريف ونحن نعتمر.. فقد قابلتُ الأستاذ أحمد بهجت أمام الكعبة وسألتُه عن الوالد، وكان يجلس فى الخلف، وكان لقاءً تاريخيّـًا؛ فقد تركنى طفلاً دون العاشرة، وقابلنى وأنا عميد لكلية الآداب.

كانت وصية والد الدكتور مصطفى الشكعة له أن يدخل كلية الحقوق ويفتح مكتبًا للمحاماة فى طنطا، وألاّ يقبل إلا قضايا المظلومين ضد الظالمين؛ وتوفى الوالد قبل أن تتحقق هذه الوصية، ولكن الابن الدكتور مصطفى الشكعة حفظها عن ظهر قلب، وحصل على الثانوية العامة بمجموع يربو على ٩٠٪، فأخذ أوراقه وذهب بها إلى كلية الحقوق، ولكن بعد أن مضى أسبوعان من العام الدراسى؛ يقول الدكتور مصطفى الشكعة:

قال لى سكرتير الكلية: أين كنتَ يا بنى؟ فقلتُ له: كنت مريضًا. قال: لماذا

لم ترسل أحداً بالورق. . إن موعد التقديم قد انتهى، لكننى سأحاول أن أجعل عميد الكلية يستثنيك.

ويضيف: كانت كلية الحقوق فى ذلك الوقت قريبة عهدٍ بمحنةٍ سَبَّبَها رفض عميدها السابق الدكتور على بدوى - عليه رحمة الله - تنفيذ تعليمات رئيس الوزراء بقبوله عدد من الطلاب بعد انتهاء موعد التقديم، فما كان من رئيس الوزراء إلا أن نقله إلى فرع الكلية بالإسكندرية؛ فاستقال الدكتور على بدوى وفتح مكتبًا للمحاماة... ولذا عندما ذهبتُ بعد أسبوع وأنا أتوقع أن أُبَشَّرَ بالقبول، فوجئتُ بسكرتير الكلية يعتذر لى عن عدم قبولى، فخرجتُ حزينًا واتجهتُ إلى الكلية المقابلة - وهى كلية الآداب - لأرى أصدقائى، فلما عرفوا ما حدث طلبوا منى الالتحاق بالآداب، فقلتُ لهم: إننى لا أحب هذه الكلية. . فرَدُّوا: أيهما أفضل، أن تدخل كلية لا تحبُّها أم تظل فى الشارع؟. . وبالفعل دخلتُ كلية الآداب رغم أنفى.

وفى كلية الآداب سأله حامد أفندى الموظف المختص بتوزيع الطلاب على الأقسام، والذى أصبح حاليًّا الدكتور حامد عبد المجيد: أى الأقسام تريد؟ فرد الدكتور مصطفى الشكعة قائلاً: وما هى هذه الأقسام؟ فقال حامد أفندى: قسم طه حسين؛ وقبل أن يكمل قال الدكتور مصطفى الشكعة: أذهب إلى قسم طه حسين؛ وبعدها اكتشف أن قسم طه حسين هو قسم اللغة العربية، وهو أصعب الأقسام، ويبلغ عدد الطلاب فيه أحد عشر طالبًا فقط. يقول الدكتور مصطفى الشكعة:

فى دُفعَتِى

فى هذا العام قرر الدكتور طه حسين لأول مرة أن يُدَرِّس للسنة الأولى، وقد كان يُدَرِّسُ للسنتين الثالثة والرابعة؛ ولمّا دَرَّسَ لنا قرر أن يستمر معنا ويتعهدنا حتى التخرج. ولذلك كانت هذه الدفعة كلها أساتذة.

عمل الدكتور مصطفى الشكعة بعد التخرج مدرس ثانوى، والطريف أنه كان

يُدَرِّسُ اللغة العربية واللغة الإنجليزية فى نفس الوقت. وقد مكث الدكتور مصطفى الشكعة فى التدريس مدة عامين بالقاهرة، ثم علم أن هناك مكانًا أصبح شاغرًا فى الكلية الداوودية بلبنان، فسعى لشغله؛ وبالفعل سافر إلى لبنان، وهناك اكتشف أن هذه الكلية كلية دُرْزِيَّة، ومن هنا بدأت متاعبه التى يرويها لنا قائلاً: كنتُ أظن أن الدروز مسلمون، ولكننى اكتشفتُ هناك أنه دين مستقل؛ وقد كان فى الكلية بعضُ الشِّيعَة، وأنا رجل سُنِّى، ورأيتُ بعضَ العَلَوِيِّين، فتجمعتْ عندى فكرةٌ عن المذاهب، خاصةً أن بعضَها فيه تباعُدٌ تامٌ عن الدين الإسلامى، وأيضًا.. اكتشفتُ أن الدُّرْزِيَّةَ دينٌ مستقل، يشترك أتْباعُه معنا فى صلاة الجنازة فقط، وهم يُصَلُّونَ فى الخلوة، والصلاة عبارة عن قراءات، ولهم مصحف خاص بهم اسمه «مصحف المنفرد بذاته».. وعندما سألتُ فى ذلك الوقت الوزير كمال جنبلاط: هل الدروز مسلمون؟ أجاب قائلاً:

ـ لا. نحن أصحاب دينٌ مستقلٌ؛ وكنا ذات يوم مسلمين، وقبل الإسلام كنا نَصَارَى، وقبل النصرانية كنا يهودًا، ونحن الآن فى المرحلة الدُّرْزِيَّة، وهو دين مستقل!

كل ذلك دفعنى إلى عمل كتاب (إسلام بلا مذاهب)، وقد سَبَّبَ لى هذا الكتاب متاعب كبيرة، فقد اتهمتُ بإشعال الفتنة، وما زلتُ أذكر القاضى الذى حَقَّقَ معى وأحترمه، واسمه جورج أبو مراد، فقد قال لى إنه قرأ كتابى عدة مرات، فكثيرًا ما كان يجيب فى التحقيق نيابةً عنى، ونشأتْ بيننا صداقة، فى حين التف المسلمون حول سرايا العدل ـ كما يسمونها ـ والتى احتُجِزْتُ فيها للتحقيق، من سُنِّيِّين وشيعة ونساء الدروز، لأننى أنصفتهن فى هذا الكتاب، فقد كان خصوم الدروز يقولون: إن هناك ليلةً معينة فى السنة يلتقى فيها الرجال والنساء فيما يسمى بالخلوة، وتطفأ الأنوار ويختلط الحابل بالنابل، ويحدث ما يحدث؛ وبذلك أصبحتْ كل سيدة درزية متهمة، فقلتُ فى كتابى إن نساء الدروز

عفيفات متعفِّفات طاهرات، ونحن تربطنا بكثير من الأُسَر الدرزية روابط متينة، ودافعتُ عنهن.

بعدها لم يتحمل الدكتور مصطفى الشكعة الإقامة فى لبنان أكثر من ذلك، ورفض أن يُمَدَّ له العمل فى الكلية اللبنانية سنة أخرى، فقالوا له: هناك مكان شاغر فى صنعاء فهل تذهب؟ وسافر الدكتور مصطفى الشكعة إلى صنعاء لتبدأ متاعب أخرى أكثر صعوبة، يقول عنها:

قضيتُ فى صنعاء سنة، هى بكل المقاييس سنة كبيسة، ليس بمعنى أنها ٣٦٦ يومًا، وإنما بمعنى أنها كانت سنة قاسية جدًا، ففيها حدثت فتنة مقتل الإمام يحيى، وقد كنتُ على صلة به، فقد كنتُ أُدَرِّسُ لابنه الصغير عبد الرحمن، وقد كان الإمام يحيى رجلاً من علماء الدين وكان شاعرًا، وطلب لابنه أستاذًا من المُبْتَعَثِين، ولم يعجب الطفل أىٌّ من الأساتذة ربما بسبب كِبَر سنهم، وقد كنتُ أصغرَهم سنـًا، وكان الإمام يعرفنى، فقد طلب إلىَّ أن أقول فيه قصيدةَ مدح عند لقائنا به، وعندما ذهبتُ لأُدَرِّسَ لابنه قال لى: أتمنى أن تُقَدِّرَ محبتى وحرصى على هذا الابن، لأنه فى الثامنة من عمره، وأبوه فى الثمانين.

وعندما قامت الثورة وقُتل الإمام، وجاء مستشاره إمامًا ـ وهو الإمام ابن الوزير ـ بعدَه، كَلَّفَ الدكتور مصطفى الشكعة وزملاءه الخمسة بأعمال، فكلف الدكتور الشكعة بتولى منصب مدير الإذاعة، وكانت تسمى هناك «دار الهواء»، وكانت تعمل نصف ساعة يوم الخميس من كل أسبوع بعد صلاة المغرب، فجعلها الدكتور الشكعة تعمل أربع ساعات فى كل يوم.. ولكنّ الثورة فشلت، فأُودِعَ كلُّ مَن كان له علاقة بها بشكل مباشر أو غير مباشر فى السجن.

الزوجة الصابرة

لا تفارق الدكتور الشكعة ذكرى هذه الأيام الصعبة التى قضاها فى السجن، لأنها ارتبطت بأغلى الناس عنده، وهى زوجته عليها رحمة الله، فيقول:

كنتُ فى ذلك الوقت متزوجًا حديثًا، وكانت زوجتى صديقةً لبنات محافظ

صنعاء، فأخذها لتقيم معهم فى المنزل؛ ثم جاء أمرٌ من الإمام التالى، وهو الإمام أحمد، أن الزوجات يدخلن السجن مع أزواجهن، فوضعوهن فى الدور الأرضى من السجن، وتحملتْ زوجتى ذلك بنفس صابرة راضية، إلى أنْ استطعنا أن نرسل برقية مُشَفَّرَة إلى وزير خارجية مصر، وكان النقراشى باشا رئيسًا للوزراء آنذاك، وعرف من البرقية أننا في السجن؛ فاستدعى ممثل اليمن فى مصر، وقال له اقرأ هذه البرقية، وكانت البرقية فى ظاهرها عبارات كلها مديح، ولكن تتخللها عبارات مثل «أيامنا جميلة كأيام طُرَه؛ ولياليناطيبة كليالى الزيتون.. نرجو أن تُطَمْئِنُوا أهلينا وطَمْئِنُونا»؛ فمرت البرقية من صنعاء، وعندما وصلت إلى مصر انكشف أمرُها، وعرفوا أننا فى السجن، وحمدوا الله أننا أحياء، لأن جريدة أخبار اليوم كانت قد نشرت مانشيتات قيل فيها: «المصريون فى صنعاء مفقودون»، فتَقَبَّلَ الأهلُ فينا العزاء.

ولم يكن من الممكن أن يستمر الدكتور مصطفى الشكعة وزملاؤه العائدون من اليمن فى وزارة التربية والتعليم، فعملوا مساعى كبيرة حتى استطاعوا الإفلات منها، وعمل الدكتور الشكعة فى مكتب جلال باشا فهيم وزير الشئون الاجتماعية، ثم أعير للعمل فى منظمة اليونسكو، وأثناء ذلك حصل على درجة الماجستير، وكان موضوعها (بديع الزمان الهمذانى)

ثم حصل الدكتور مصطفى الشكعة على درجة الدكتوراه فى موضوع «الأدب فى ظل بنى حمدان».

وعلى الرغم من أنه كان يحصل على دخلٍ عالٍ من اليونسكو وأنهم قرروا أن يمدوا له الإعارة عشر سنوات بمرتب يصل إلى أربعمائة جنيه، إلا أنه فَضَّلَ العمل بدرجة مدرس فى كلية آداب عين شمس بمرتب لا يتعدى الأربعين جنيها، ويقول عن ذلك:

قبلتُ الأربعين جنيهًا لكى أكونَ مُدَرِّسًا فى الجامعة، وكان يُعاب عَلَيَّ فى ذلك

الوقت لما فعلته، ولكننى كنتُ أحب الكلية، لأن كل أبناء عمرى ودُفعتى فيها؛ وظللتُ أعمل فى هذه الكلية إلى الآن، ولكن تَخَلَّلَ ذلك انتدابى للعمل مستشارًا ثقافيـّـا فى سفارتنا بواشنطن.

أعظم السُّفَرَاء

يعتبر الدكتور مصطفى الشكعة فترة وجوده فى واشنطن من أهم المراحل التى مرت بها حياته، فقد أَثْرَتْ حياتَه بكثير من المهمات، منها: الإشراف على المبعوثين، والعلاقات الثقافية الأمريكية، والاتصال بالعرب وبالمسلمين فى أمريكا، وشىء من النشاط مع السُّود المضطهَدين، وأيضًا لأنه عمل مع السفير الدكتور مصطفى كامل، الذى يقول عنه:

هذا الرجل أعظم السُّفَرَاء فى تاريخ الدبلوماسية المصرية، فقد كانت تحترمه أمريكا على الرغم من سوء العلاقات بينها وبين مصر، حتى أن دين رسك وزير الخارجية الأمريكى المشهور كان دائمًا يستشيره فى الشئون الدولية، وكان يسميه «السفير الحكيم».. وقد استفدتُ بوجودى مع هذا الرجل كثيرًا.

وقد استطاع الدكتور مصطفى الشكعة أن يقف على أحوال المسلمين فى أمريكا، وقَدَّمَ لهم الكثير من المساعدات، وأَمَدَّهُم بما يحتاجونه من معلومات عن دينهم.

ثلاثة أولاد

وللدكتور مصطفى الشكعة ثلاثة أولاد، هم: زياد، الابن الكبير خَرِّيج كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وهو أستاذ فى هذا القسم، وقد أنجب أربعة أولاد هو الآخر.. طارق ومروة وعمرو وسامر.

يقول طارق أكبر أحفاد الدكتور مصطفى الشكعة وأقربهم إلى نفسه: لقد تعلمتُ من جَدِّى أشياء كثيرة، أهمها معرفة دينى والحفاظ على الصلاة والصوم وقراءة القرآن.

وعلى الرغم من أن طارقًا ثقافته إنجليزية، إلا أنه استطاع أن يحفظ جزء «عَمَّ» من القرآن.. وهو يحرص على ممارسة الرياضة، ففيها صيانة للجسم وللعقل، ويقول: إننى أهوى لعب رياضة الكونغ فو، كما أهوى ممارسة السباحة، وحصلتُ فيها على بطولات.

وطارق طالب فى الأكاديمية الحديثة بالمعادى، وله منطق فى الحياة وهو أنه لا ينبغى الحكم على شىء إلا بعد معرفته، ولذا فهو يخرج كثيراً ويختلط بالناس، ولكنه لا يرتكب ما يُغضب الله ووالدَيه.

أما الابن الثانى للدكتور مصطفى الشكعة فهو الدكتور حسام، وهو أيضًا أستاذ فى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الألْسُن، ومتزوج من خَرِّيجة لهذه الكلية، ولديْه ثلاثة أطفال: مصطفى وحسن، ونُهَى التى لا تزال رضيعة، وهو مُعَارٌ حاليّـا للمملكة العربية السعودية؛ يقول الدكتور مصطفى الشكعة عنه:

عندما عُدْنا من أمريكا، كان حسام يتكلم اللغة العربية «مكَسَّر»، مما كان يُثير ضحك أقرانه، ويُسَبِّبُ له الخجل؛ فأصَرَّ ألاّ يتحدثها حتى استطاع أن يتقنها، وقد استغرق ذلك منه سنتَيْن.

أما سُمَيَّة، أصغر أولاد الدكتور مصطفى الشكعة، فهى خَرِّيجة كلية آداب عين شمس قسم اللغة الإنجليزية، وتعمل مُدَرِّسَةً للغة الإنجليزية فى كلية الدراسات الإنسانية بالأزهر؛ ولكى تدخل هذه الكلية، درست المواد الإسلامية من عقيدة وفقه وسيرة وتاريخ إسلامى وحديث نبوى، وحصلت على درجة الماجستير من هذه الكلية؛ يقول الدكتور مصطفى الشكعة عنها: أصبحت سُمَيَّة أكثر أولادى فهمًا للدين.

وقد تزوجتْ سمية من ابن شقيق الدكتور عبد المنعم خزبك، صديق الدكتور مصطفى الشكعة، زواجًا تقليديّـا، تقول عنه: إننى مقتنعة تمامًا بهذا الأسلوب فى الزواج، حتى عندما كنتُ فى المدرسة وأعرف أن فتاةً تخرج مع شاب، كنتُ أحذّرها وأؤكد لها أن الشاب الذى يخرج مع فتاة لا يتزوجها.

وقد ورثت سمية عن والدتها صفاتٍ طيبةً كثيرة، أهمها الصدق وطاعة الزوج والبر بالفقراء، وتحرص على أن تزرع هذه الصفات فى ابنتيها آية وهبة، وتشجعهما على ممارسة الرياضة والهوايات المختلفة، وتقول: آية تعزف أورْج، وتحب الفنون الجميلة، وعندها القدرة على الابتكار، كما أن لديها فضولاً دائمًا للسؤال عن أمور الدين، خاصةً وأن منهج التربية الدينية المقرَّر عليها فى السنة الثالثة الابتدائية لا يجيب على هذه التساؤلات.

هذا، والدكتور مصطفى الشكعة يقتنى فى بيته مكتبة كبيرة تَزْخَرُ بنفائس كتب التراث الأدبى الإسلامى، وتحتل حجرات البيت جميعًا برغم اتساعه، وهو يستقبل فيها طلابه الذين يدرسون على يدَيه الماجستير والدكتوراه؛ وقد تَخرَّجَ على يديه عشراتٌ من الطلاب المصريين وأبناء الأقطار العربية، وقد صار بعضُهم وزراءَ ورؤساءَ جامعات وعُمَدَاء؛ وبهذه المناسبة، فإن اثنين من طلابه فى مرحلة الدكتوراه اختار أحدهما تفسير الشيخ الشعراوى مقارنًا بالتفاسير المعاصرة، وأما الطالب الآخر فإنه يجمع فقه الإمام الليث إمام مصر ومَرْوِيّاته، وعند إتمام هذا العمل يكون فقه الإمام المصرى ـ الذى قال عنه الإمام الشافعى: الليثُ أَفقَهُ من مالك، غير أن تلامذته لم يقوموا به (أى لم يجمعوا فقهه) ـ قد تم جمعُه وتَيَسَّرَ الاطلاعُ عليه.

هذا ولما كانت مكتبة الدكتور مصطفى الشكعة من أكبر المكتبات الخاصة حجما ونفاسة محتوى، فقد يكون من الأمور الحسنة أن نقف عندها قليلا لأن المكتبة فى بيت العالم طعامه المعنوى وزاده الأدبى ومدده العلمى.

وإن أول ما تقع عليه العين فى تلك المكتبة هو قسم القرآن الكريم وعلومه، وتطل علينا من فوق رفوفها عدد من التفاسير النفيسة وفى مقدمتها تفسير الطبرى وتفسير القرطبى، ومن كتب الإعجاز الكثيرة يطل علينا كتاب الباقلانى، فضلاً عن علوم القرآن الأخرى، ويضم هذا القسم أيضا عدد كبيرا من المصاحف الفاخرة وفى مقدمتها مصحف الملك فؤاد ومصحف الملك الحسن الثانى ملك المغرب، كما

أن هذا القسم يضم عددا كبيرا من ترجمات معانى القرآن إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

والقسم الثانى من المكتبة الذى لفت نظرى بشدة هو قسم الحديث النبوى الشريف الذى يضم جميع كتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكتب الستة بصفة خاصة، وفى مقدمتها كتاب فتح البارى فى شرح أحاديث البخارى ويقع فى اثنين وعشرين مجلدا، وكتاب شرح النووى لأحاديث مسلم، ويقع فى تسعة مجلدات أنيقة، وهنا سألت الدكتور الشكعة: هل هذه الكتب هى التى ساعدتك على تأليف كتابك النفيس «البيان المحمدى»؟ وكانت إجابته بالإيجاب مع ذكر عشرات أخرى من كتب السيرة والحديث مهدت له الطريق إلى أن استكمل «البيان المحمدى».

وكان القسم الثالث هو ذلك الذى يضم كتب الفقه والفتاوى وكتب الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وابن حزم وكتب أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى المعتدلة من شيعة وظاهرية وإباضية.

وتمتوثمتقسم رابع كبير يضم مئات الكتب فى الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ثم حائط كبير ذو عدد كبير من الرفوف يكتظ بكتب التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامى بشكل خاص، وهو من أكثر الرفوف عددا وأكثرها ازدحاما بالمجلدات التى تضم تاريخ أمتنا.

أما كتب الأدب فتحويها غرفة كاملة رأيت على رفوفها مئات من دواوين الشعر والنثر، وكتب التراث، والنقد الأدبى، والموسوعات الكبرى مثل صبح الأعشى ونهاية الأرب، وما تم طبعه من موسوعة مسالك الأبصار. ثم وقع نظرى على ركن أنيق ذى عدد من الرفوف لا أذكر عدتها، وإذا به ركن الأدب الأندلسى الذى يضم دواوين شعر الأندلس وآدابه وتاريخه وتراجم رجاله من أمراء وعلماء وشعراء ووزراء وأعيان.. وقد دفع بى الفضول إلى أن أسأل صاحب المكتبة الكبيرة عما إذا كانت هناك كتب أخرى للتراجم، فأخذ بيدى إلى غرفة أخرى من البيت الذى

حسبته مكتبة فى شكل بيت، وإذا بى أمام عشرات المجلدات من كتب التراجم والطبقات التى لا يتسع المقام لذكر بعضها، ثم وقع بصرى على خزانة مستقلة تحمل رفوفها مجلدات ضخمة، وسرعان ما عرفت أنها قواميس عربية وإنجليزية وفرنسية وفارسية وهى اللغات التى يتقنها مضيفنا، ومعها فى منطقتها كتب علوم اللغة العربية من بلاغة ونحو وصرف وما شاكلها، ثم وقع نظرى على ثلاثة رفوف طويلة عليها كتب مختلفة الأحجام والأطوال، وإذا بى أمام كتب الجغرافية والبلدان والمدن، وإن كتابا واحدا مثل كتاب معجم البلدان لياقوت الرومى المشهور بالحموى يحتل بمجلداته الست الضخام نصف رف طويل.

وما كدت أنتهى من هذه الرحلة بين الكتب من كل لون وفن وعلم حتى وقع بصرى على حائط كامل ملء رفوفه كتب كثيرة وافرة الأناقة تضم أنواع الأدب والمعرفة لقطر شقيق بعينه، وقدرت أنها أكبر مكتبة تضم كتب علماء عمان وأدبائها تاريخا وفقها وحضارة وشعرا وتراجم، فوقفت أتأملها طويلا، ولكن عينى لم تلبثا أن وقعت على عشرات الكتب التى ألفها الدكتور مصطفى الشكعة وهى تتجاوز أربعين كتابا فى العلوم الإسلامية والأدب والنقد، ووقع نظرى على كتاب ظاهر الضخامة عرفت أنه (الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية)، وإذابأولى صفحاته تحمل صيغة إهداء عميق الدلالة إلى السيدة والدته التى توفيت فى القرية أثناء وجود الابن فى سنوات أمريكا، وكان وقتها قد بدأ فى كتابة هذا الكتاب بالإنجليزية ثم تحول به إلى العربية وأهداه إلى والدته الجليلة.

وبدت ظاهرة إهداء الدكتور الشكعة كتبه إلى أحبابه المقربين من أحياء وأموات تأخذ شكلا فريدا وبليغا، فقد أهدى كتابه الشهير «إسلام بلا مذاهب» إلى والده وكان الوالد قد فارق دنيانا حين كان الدكتور الشكعة فى مستهل السنوات الأولى من عقده الثانى، وأما صيغة إهداء كتابه إلى أبيه فذلك نصها: «إلى روح أبى فى الرحاب الكريم، فإن جوهر ما فى هذا الكتاب ليس إلا ثمرة لغرسه الباكر فى سنوات اليفاع، ثم ما لبث أن فارق».

وحديث صيغ إهداء الدكتور الشكعة كتبه لأحبابه غريبة متنوعة تلمس قلب

القارئ بأنامل هادئة ولكن بألفاظ عميقة، لقد أهدى كتابه «مناهج التأليف عند العلماء العرب» إلى زوجته وأولاده لأنه أخذ سنوات فى كتابته كانت حقا لهم دون الكتاب، وأهدى كتاب بديع الزمان الهمذانى إلى أستاذه الذى أحبه أكثر مما أحب أحدًا من أساتذته الآخرين، إنه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام، كما أهدى كتابه «سيف الدولة الحمدانى» إلى ابن خاله السفير الشهيد كمال الدين صلاح.

مرة أخرى نعود إلى حديثنا عن الدكتور مصطفى الشكعة أحد علمائنا فى بيته فنقول:

وللدكتور مصطفى الشكعة من المؤلَّفات ما يَرْبُو على أربعين كتابًا كبيرًا، نصفُها فى الإسلام عقيدةً وفكرًا وحضارةً وشريعةً وتصويبًا لأخطاء المستشرقين ومَن ساروا على دربهم، والنصف الآخر فى الأدب العربى شعرًا ونثرًا ونقدًا وتصويبًا لمن غفلوا عن الشخصية الأصيلة المتميزة للغة العربية التى عاشت ـ دون أن تشاركها فى ذلك لغة أخرى ـ ألفًا وستمائة سنة موصولة غير منقطعة، وافرة العطاء والنماء.

وإذا كان الحديث مع الدكتور الشكعة لا يَخلُو منَ التَّرَحُّم على روجته، فإنه فى الوقت نفسه لا يُقَصِّرُ فى ذِكْر والدته، ويقول: لقد رَعَتْنى منذ الصِّغَر وتعبتْ علينا وحملتْ همومَنا، لأن أبى فارقنا إلى دار البقاء وكنا لا نزال صغارًا؛ وبكَتْنِى طويلاً وأنا على قيد الحياة حين كنتُ فى سجن صنعاء، وكانت قد علمتْ من الصحف أننى مفقود مع سائر المصريين فى صنعاء؛ ولقد بكيتُها طويلاً حين أُبْلِغْتُ بوفاتها وأنا فى مُغْتَرَبِى الطويل بعيدًا عنها عدة سنين.





فهرســـت



تصميم: محمد حجي

مع علماء المسلمين في بيوتهم

أجمع علماء الاجتماع والفكر الديني والتربوي على أن آفة أي مجتمع هي افتقاد أبنائه للقدوة الصالحة ... فلنا أن نتصور مجتمعا بلا قـدوة، يفتقـد أبناؤه المثل الصالح والقدوة الحسنة في البيت وفي المدرسـة وفي العمل وفي وسائل الإعلام ... كيف يخرج مثل هذا المجتمع شبابا قـادرا على أن يقود مسيرة الأمة ويرتقي بها لتلحق بـركب الحـضارة؟! .. فلا شـك أن وجود هذه القدوة يمد المجتمع بأجيال نشأت على أسـس أخلاقـية ودينية سليمة، فيصبح رصيد الأمة في أمان بوجود هذه الأجيال، ومن ثم يجد هذا المجتمع سبيله الى الرقي والتقدم بـما لـه من رصيد وافر يتمثل في صورة أجيال صالحة نافعة لنفسـها ولأمتها وللعالم. ومن هذا المنطلق، جاء هذا الكتاب ليقدم للقارئ واحد وعشرين حوارا ممتعا مع واحد وعشرين عالما من علماء المسلمين .. قدوة الشباب، ومثلهم الأعلى الجدير بأن يحتذى به .. يتحدث كل منهم عن مشوار حياته، وكفاحه لتكوين ذاته، ورحـلته في طلب العلم، وقـصة زواجه، والمعايير التي على أساسـها اختار زوجت[illegible] وارتبط بها، وكيف كان نهجه في تربية أبنائه وتنشئتهم، وكيف سـاعد[illegible] على خوض معركة الحـياة .. وذلك إلى جانب أهم الفتاوي الدينية الت[illegible] تشغل بال كثير من المسلمين في هذه الأيام. والكتاب - بهذا - لا يقدم سي[illegible] فقط لهؤلاء العلماء، وإنما يتجاوز ذلك ليخاطب شباب هذه الأمة، ويبـ[illegible] لهم كيف يهتدون بسير هؤلاء الأعلام في حـياتهم، ويتخذون منهم قـدو[illegible] ونبراسا ينير لهم الطريق في مقبل حياتهم.

الدار المصرية اللبنانية